نادي المدينة المنورة الأدبي

٤٩

محمد المجذوب

ردود.. ومناقشات

إلى أستاذنا الشيخ ...

الطبعة الأولى

ملتزم النشر والتوزيع
دار الاعتصام بالقاهرة



بسم الله الرحمن الرحيم

هذا الكتاب

هذه المقالات نُشِر أكثرها فى (مجلة الجامعة الإسلامية) بعنوان (تعقيب لا تثريب) ونُشر بعضها الآخر فى بعض المجلات الإسلامية الأخرى بالمملكة وسورية من قبلُ تحت عنوانات أخرى ، وكان الغرض منها التعقيب على أغاليط بعض العلماء والمفكرين من غير تثريب ولا تأثيم ، بل رغبةً فى إظهار الحق بالدليل المقنع من كتاب الله وسنة رسوله ، ﷺ ، ومنطق التاريخ والأحداث .. وقد وفق الله فلم نخرج عن حدود هذا المنهج فى كل ما سطرناه من هذه المعقبات إلا حين تكون وراء الأغلوطة المناقَشة نزعة بينة إلى الهجوم المتعمَّد على الإسلام ، ففى هذه الحال نقابل السلاح بمثله ، عملاً بقوله تعالى ﴿ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم.. ﴾ ولن يكون عملنا حينئذ اعتداءً بل هو ضرب من الدفاع المشروع ، الذى يأبى الانحناء للباغى ، ويشعره أبداً بعزة الحق الذى لا يعرف الجمجمة ولا التحايل ..

وذلك هو سبيل سلفنا الصالح فى علاج الشواذّ النادَّة عن التى هى أقوم ، بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتى هى أحسن ، فإذا استقاد المنحرف لهواهِ ، ورفض منهج الحكمة ومنطق السداد ، لم يبق أمامهم سوى الأخذ بأنف المبطل حتى يعلم جلال الحق .. ولولا هذا التفريق بين الفريقين ، وإعطاء كل من الحالين ما يستحقه من الغلظة واللين لاختلط الحق بالباطل ، ولم يعد لأحدهما فضل على الآخر . وشتان بين مجتهد يخطىء فينبَّه فيثوب إلى الرشد ، ومجنَّدٍ فى حزب الشيطان يفترى الكذب وهو يعلم ما يعمل ، وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم ..

وقد كان المأمول أن تستمر هذه المقالات ما اتَّسع أمام النقد البرىء مجالُ القول . ولكن عقبات الحياة حالت دون مواصلة المسيرة ، فتوقف القلم عن واجبه فى هذا المضمار معتذراً بتقدم السن وكثرة الأعباء وفقدان المساعد .

ولعل الله أن ييسر لهذه الخطوات من يستأنفها تأييداً للحق وإعلاءً لكلمة الله ، وما ذلك على الله بعزيز .

والحمد لله فى الأولى والآخرة ..

المدينة المنورة ـ ساحة مسجد قباء　　　　محمد المجذوب

* * *

نظرات في « قصة الإيمان »

فضيلة العلامة الاستاذ عبد الله نديم الجسر حفظه الله وأيد به دينه وشريعته .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته « وبعد فاسمح لى ، على غير معرفة شخصية سابقة ، أن أهنئك على ما قدمته للعقل والحق من خدمة لا تُقوَّم فى كتابك (قصة الإيمان) الذى أتيتُ على آخر كلمة منه ضحى اليوم بعد قراءة متَّصلة واعية استغرقت قرابة الأسبوع .

أول ما سمعت بكتابك هذا من أخ لى حبيب أثق بدينه وإدراكه ، وكان عائداً من مصر حيث أنهى دراسته الجامعية ، ولقد استهوانى بإطرائه ، وذكر لى أنه كان ذا وقع معَجِب فى الوسط الذى لابسه وفى مختلف الأوساط الثقافية الأخرى ، ولم أجد فى ذلك غرابة ، فأنا أعرفك ككاتب أنيق رصين من خلال ما قرأت لك من قبل ، وبخاصة فى « الرسالة » خلال عهدها الذهبى ، وكنت قبل ذلك أعرف منبتك العبقرى ، من ثنايا الأثر العظيم الذى أتحف به المغفور له والدك دنيا المسلمين والمفكرين ، فى مؤلفه « الرسالة الحميدية » فتوقعت أن يكون إنتاجك الجديد قبساً حياً من ذلك الإشعاع القديم ، تجدد به مجدَ طرابلس ، البلدِ الذى كان ذات يوم غير بعيد إحدى منارات الإسلام فى هذه البقعة التى توشك أن تتنكر للإسلام .

وبهذا التوقع أخذت (قصة الإيمان) ضمن مجموعة من المؤلفات التى انتقيتها زاداً لهذا الصيف ، فما إن إحتوتنى فصولها الأولى حتى وجدت كل ما توقعت ، وفوق ما توقعت ، ولما انتهيت إلى خاتمتها أحسست حافزاً لا يقاوم يدفعنى إلى كتابة هذه الرسالة إليك ، قبل ان أسمح لنفسى بالإطلاع على آراء مقدِرِّيها ، لأننى أحب أن أصور انطباعى بالكتاب فى منجاة من التأثر بأى شعور أو رأى لغيرى ..

● أن أول تصور استوحيته من فصول كتابك هو أنك نسجتها تحت ضغط من القلق

الفلسفى العاصف . فأنت تريد به علاج صراع بين إيمان فطرى ، يرى الله من خلال كل شىء ، ومقولات عقلانية لا تكاد تطمئن إلى شىء ، فرحت تستقصى مسارب الأفكار الفلسفية من أقصى مطالع التاريخ حتى اليوم .... ولكن حاجتك النفسية كانت أميل بك إلى الإيجابية ، فإذا أنت تحشد أدلتها مرتبةً حول المركز المشترك ، دون أن تعطى الجانب السلبى المضاد إلا القليل من عنايتك .

وعلى الرغم من أنك لم تُضِف جديداً إلى هذه القضية ، فلقد كان نجاحك رائعاً فى إبراز ذلك التلاقى العجيب على الحقيقة فى مختلف مراحل التاريخ العقلى . ولعل أعجب مجالى ذلك المجهود هو الإحاطة الدقيقة بالنتاج الفكرى لكل من أولئك البُحاث الذين سجلوا أكثر الأنصبة فى تراث الفكر البشرى ..... ثم عَرْضُ ذلك كله فى خلاصات مبسطة ترضى الأعلَينَ من رجال العلم ولا تضيق بالأدنينَ من شُدَاته وإنه لعمر الله لمجهود جبار تعيا ببعضه الهِممُ الكبار .

ولقد كنتَ فى مؤلفك النفيس أديباً موهوباً يتصرف بالكلمة وفق الأرفع والأروع من قوانين البلاغة العربية ، وشاعراً ملهَماً تتهاوى على قلمه الأنغام والظلال والألوان ، وعالِمًا موضوعياً يحاسب نفسه على الخلجة والإشارة ، وفيلسوفاً عميق النظر ، لا يشغله الجزء عن الكل ، ولا الكل عن الجزء ، بل يتتبع الدقائق ليصل بها إلى المبادىء ، التى فيها تنطلق الخطوط الخفية من مخطط الكون الكبير.

ولقد وُفقت إلى كثير من الخير عندما عمدت إلى بعض الكنوز من متحف والدك العظيم ، غفر الله له ، فنفضت عنها غبار الزمن ، وعرضتها فى ثنايا تلك المباحث ، لألىء تأخذ بالأفكار ، وجواهر نوادر تكاد تَخطَف الأبصار ....

فأتحت بذلك لقراء كتابك ، من الجيل المبهور بأضواء الغرب ، أن يتعرف ذلك العقلَ الذى شاء الله أن يصل به ما انقطع من سلسلة التراث الإسلامى المجيد .

● ولربما كان من عجائب الموافقات أن أقرأ كتابك بعد أسبوع واحد ينقضى على حديث لى حول « الرسالة الحميدية » عرضتُ به فى مجلس أدبى ، صورةً مصغرة لخطوط ذلك الكتاب ، الذى ما أزال منذ ربع قرن فى دهشة من مضمونه السابق زمانه ، وشد ما تمنيت يومئذ أن يُقيض اللهُ له أكفاء يُقبلون على دراسته ، ثم يعملون

على نشر كنوزه ، فى تقسيم جديد ، وحلة أنيقة مناسبة ، فإذا أنت تحقق الكثير من أُمنيتى بذلك العمل الناهر ، الذى ليس أحق به منك ولا أقدر عليه .

أعود مرة ثانية إلى تهنئتك بهذا المجهود الكبير ، الذى أرجو أن يجعله الله من مثقِلات موازينك ﴿ **يوم لا ينفعُ مالٌ ولا بنونَ إلا مَن أتى الله بقلب سليم** ﴾ وعملٍ كريم ... على أن إعجابى بكتابك يحفزنى على أن أذكرك بما أعتقده مُتَمماً له لا مندوحة عنه ... وهذا المتمم فى نظرى إنما هو كتاب مماثل يَطرح للعقل الإنسانى بعد قضية الإيمان ، قضية الإسلام ...

أجل ... أن (قضية الإيمان) هى كما أرى قصة الجهاد القلبى الدائب فى البحث عن الله ، وهى قصة لا تخصُّ جيلاً ولا أمة ، ولكنها مَشْغَلة العقل الإنسانى كله ... فإذا ما انتهى هذا الجهاد إلى هدفه الأعلى من الإيمان بالله ، كان على هذا العقل أن يعرف ما يريد منه هذا الآله الحق ، الذى اهتدى إليه .. ولا سبيل إلى جواب صحيح عن هذا السؤال إلا عن طريق هذا الدين ، الذى شاء الله عز شأنه أن يجعله خاتم رسالاته إلى أنبيائه ، وأن يجعل مصادره الآلهية ـ الكتاب والسنة ـ فى حرز من كل عابث أو مفسد على كثرة العابثين والمفسدين ... فهل ليراعك السباق أن يجعل جولته القادمة فى هذا الميدان ، فتُتم بذلك الفضيلتين ، وتحقق المثوبتين ، فى جنتين مدهامَّتين ؟ !

إن بحث الإيمان على ضوء العلم والفلسفة ، إنما ينتفع به الخاصة من ذوى الشك العقلى ، وحتى هؤلاء إذا انتفعوا به فقلما يجدون فيه بَرْدَ اليقين ، الذى لا يتم إلا بالإنسجام الكامل بين الفطرة والوحى ... إذ من طبيعة العقل الطُّلَعَةِ ألاَّ يقع على جواب لسؤال ، إلا دفعه ذلك إلى ابتداع غيرِه فغيرِه إلى غير نهاية ...ولِسرٍّ فى هذا التوالد الذاتى العجيب يقص الله علينا جل وعلا قصة أولئك المغرورين بحذلقاتهم ، إذ يرفضون وحيه على ألسنة أنبيائه ، اعتداداً بما لديهم من مَقولات مكرورة ﴿ ... **فلما جاءتهم رسلُهم بالبيناتِ فرحوا بما عندَهم من العِلمِ ، وحاقَ بهم ما كانوا به يَستهزئون** ... ﴾ ولا غرابة ، فليست الفلسفة ـ فى نطاق الآلهيات بخاصةٍ ـ إلا افتراضاتٍ ظنيةً لا سند لها من الواقع ، وإلاَّ محاولات متتابعة من أجل العثور على رِيٍّ لذلك العطش الفطرى إلى البعيد المجهول ! .. وهيهات لافتراضات ظنية وتكهنات

وهمية أن تنتهى بصاحبها إلى قرار مطمئن .. ﴿ **ومَن أضل ممن اتَّبعَ هَواه بغير هدى من الله ! ..** ﴾ .

وإذا كان هذا هو مجال الفلسفة النظرية ، فى نطاق الآلهيات ، فحرىٌّ بأولى النهى أن يختصروا متاعب الكثرة الكاثرة من البشر ، بدعوتهم إلى الإيمان عن طريق الوحى الذى لا تمارٍ فيه ، وهم مطمئنون إلى أنهم بذلك يدقون أبواب الوعى البديهى فى ضمائر الناس ، على اختلاف مستوياتهم العقلية ، لأنهم سالكون بهم على نور من الله ، الذى حكم بإن الهدى هداه وأن وحيه هو الوسيلة الوحيدة إلى رضاه ...

﴿ **فإمَّا يأتينكم منى هدى ، فمن اتَّبع هدايَ فلا يضل ولا يشقى ..** ﴾ وايم الله ما كان لهذه البشرية أن تتوزعها المذاهب التى لا عداد لها ، لولا انسلاخها عن الوحى ، وإستجابتها لأهواء المضلِّين ، الذين قال خالقهم فى أمثالهم ﴿ **ما أشهدتُهم خلقَ السمواتِ والأرضِ ولا خلقَ أنفسِهم ، وما كنتُ متخذَ المضلين عضداً** ﴾ وقديماً قيل لأحد العارفين « إن فلاناً اكتشف ألف دليل على وجود الله ، فقال : « ذلك لأن فى قلبه ألف شك فى وجوده تعالى ! » ، وما أروع هنا تلك العبرة فى موقف الرازى ، الذى أضاع معظم عمره فى فيافى الفلسفة ، ثم اكتشف أخيراً ألاَّ سبيل إلى اليقين إلا بمنطق القرآن المبين ...

● بيد أن الواقع المحزن هو أن هذا الوحى الإلٰهى قد استدار به الزمن إلى مثل اليوم الذى بدأ نزوله ، فالمؤمنون به عملياً قليل ، والصادُّون عن سبيله ، ولا سيما فى أوساط المتسلطين من المنتسبين إلى ملته ، كثير كثير ، ومن هنا كان كل مجهود يبذله أولو العلم من المؤمنين به ، لهداية الخلق عن غير طريقه الحق ، ضائعاً بل وهماً لا بقاء له إلا بمقدار ما يوفر من الطرافة لأصحاب الترف العقلى ، الذين لا تهمهم الحقيقة بقدر ما يهمهم ادعاء البحث عن الحقيقة ! .. ولهذا كله كان العمل على جَلاء الحقائق الإسلامية وعرضها بالأسلوب الممتع المقنع ، أفضل خدمة يؤديها مفكر مؤمن للعقل الإنسانى ، ثم للمجتمع الإسلامى ، فى هذه الظلمات المطبقة من مدعيات المضلِّين ، وأوهام المضلَّلين ...

ولست بناس جهدكم المبرور فى عرضٍ نتاج الفكر البشرى على التقريرات الآلهية فى « **كلمات ربى** » ... فقد فجرتم بهذا التلاقى المدهش منهلاً عذب الورود للعقول

الحائرة ، تكب عليه فى نهم لاذٍّ شاف ، ولكن لم أنس أيضاً أن هذا النجاح لم يخرج عن موضوع الإيمان بوجوده تعالى وعنايته وقدرته وحكمته ... وهى - كما أسلفت - أصول تطوف حولها العقول كلها دون تحديد للطريق الذى يجب عليها سلوكه من بعد . ونحن حين نتذكر أن موضوع الإيمان بواجب الوجود سبحانه لا يؤلف إلا نصفَ المشكلة البشرية ، على حين أن موضوع النظام العملى ، الذى يجب أن يحكم تصرفات الإنسان فى هذه الدنيا ، يؤلف نصفَها الآخر .. حين نتذكر ذلك ندرك أن عمل المفكرين فى الكشف عن محكمات النظام الإسلامى ، فى سياسة الحكم والأخلاق والمال والأسرة ، والعلائق الاجتماعية والبشرية ، لا يقل أهمية بالنسبة إلى حاجة الإنسان ، العالمى بعامة والإسلامى بخاصة ، عن تحقيق قضية الإيمان ... ولقد أتيح للنظام الإسلامى حتى اليوم رجال ملهمون ، كشفوا ستور القصور عن الكثير من مواطن جماله وحقائق كماله ... ولكن مجهوداتِهم ظلت موزعة لم تنتظمها وحدة بارزة ، وفى يقينى أن القلم الذى سيوفق إلى تنسيقها ، فى إطار عصرى مقنع مُشْبع ، لن ينزل قدره عند الله عن مستوى جهاد السابقين الأوَّلين ، من الذين فتحوا أقطار الدنيا لِحقائق القرآن ... ومن يدرى فقد يُصلح الله بهذا القلم ما أفسدته تيارات المذاهب المستوردة فى كل مكان ... إلا فى هذا القرآن .

* * *

● وأنتقل الآن إلى بعض الملاحظات التى أحب ألاَّ أختم رسالتى قبل أن أضعها بين يدى الأستاذ ، وكل ما أرجوه بصددها ان تقع منه حفظه الله موقع التذكير الذى يحبه المؤمنون ، والتنبيه الذى لا يضيق به المفكرون :

١ - فى أكثر من موضوع من (قصة الإيمان) كلام يوهم بأنك لا ترى ضرورة لرد قول القائلين من الفلاسفة بفناء الروح والجسد معاً ، ماداموا لا ينكرون قدرة الله على إيجاده الناس بعد فناء أعيانهم [١] ، وسَنَدُك فى ذلك أنك لا تجد فى كتاب الله ما يعارض ذلك الرأى صراحة .. وهو كلام على شدته ، لا غبار عليه ، لولا أننا نجد فى القرآن العظيم ما يدعونا إلى الوقوف بإزائه موقف الردِّ البات .. فالله تعالى يقول :

(١) انظر كلام المؤلف حول زعم ابن رشد وأرسطو فناء الشخصية الفردية - الروح - ٩٠ و ٩١ ط ٢ دار الأندلس .

﴿ **وإذْ أخذَ اللهُ من بنى آدمَ من ظهورِهم ذرياتِهم وأشهدَهم على أنفسِهم « ألستُ بربّكم ! .. قالوا بلى ...** ﴾ فهنا ذرية مفصولة عن الظهور – ج ظَهْر – ثم أنفس مجردة تشهد على ذاتها قبل خروجها إلى عالم المادة بزمن لا نعرف بَدْءَه ... أفليس ذلك كافياً للقطع بأننا تلقاء مخلوق خاصّ ذى طبيعة تباين المادة بما لها من الوعى والتصميم على تحمل المسئولية ! ... وهذا واقع لا يتفق أبداً مع القول بأن الروح لا تعدو أن تكون طاقة متولدة من تفاعل المادة فى مصنع الجسم ، تحيى بحياته وتبيد بيبدودته ! ..

وللوالد غفر الله له ، فى « الرسالة الحميدية » حول تفسير هذه الآية الكونية جولات عبقرية تُطرب وتُعجب ، وهى مركزة على الفصل بين طبيعتى كل من الجسد والنفس والروح – فصلاً تاماً – ٣٤١ – ٣٦٠ .

وقد جاء فى صحيح مسلم عن مسروق قال : سألنا عبد الله بن مسعود عن هذه الآية ﴿ **ولا تحسبنَّ الذين قُتلوا فى سبيل الله أمواتاً ، بل أحياءٌ عند ربِّهم يُرزقون** ﴾ قال : أمَا إنا سألنا النبى عن ذلك فقال : « **أرواحهم فى جوف طير خضرٍ لها قناديل معلقة بالعرش ، تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوى إلى تلك القناديل** » ... وروى الزهرى وغيره فى حديث صحيح عن كعب بن مالك الأنصارى .. أن رسول الله ﷺ قال : « **إنما نسمةُ المؤمنِ طائر يعلق فى شجر الجنة حتى يرجعه اللهُ إلى جسده ..** » وفى حديث المنهال الذى رواه الأمام أحمد فى مسنده تفصيل دقيق عن الروح : قبضها ومصايرها ، وأنواعها ، وفيه قوله ﷺ : « **ثم يجىء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول : أيتها النفسُ المطمئنةُ اخرجى إلى مغفرة من الله ورضوان .. فتخرج فتسيل كما تسيل القطرة من فى – فم – السِقاء ... حتى يأخذوها .. ويخرج منها ريح كأطيب نفحة مسك ، فيصعدون بها .. حتى ينتهوا بها إلى السماء السابعة ..** » وهو حديث طويل عرضه شيخ الإسلام ابن تيمية فى (شرح حديث النزول) – ٧٧ – ثم قال فى الكلام عنه : إنه مما اتفق السلف والخلف على روايته وتلقيها بالقبول وبديهى أن الأثر النبوى هنا ، كالنص القرآنى فيما تقدم ، لا يدع مجالاً للتردد فى التأكيد على استقلال الروح بمميزاتها الخاصة المفارقة لكل خصائص الجسد [١].

هذا إلى أن الكشوف العلمية فى أيامنا هذه لا تحيد – فى نتائجها – عن هذا

---

(١) انظر تفصيل هذه المعانى فى ج ٢ ص ١٥٤ ، ١٥٥ من تفسير ابن كثير ط دار الفكر .

الطريق ، فبفضل هذه الكشوف مثلاً نعلم أن رأس القلم الذى أكتب به كلماتى هذه تتألف مساحته من ملايين الذرات ، وإن الناسلة ، وهى ذات الدور الهائل فى تكوين الأشكال الحيوانية ، لا تعدو مساحتها الجزء من مئة مليون من الستيمتر ، فإذا تأملنا فى ماهية الروح على ضوء هذه المكتشفات الذرية ، لم نجد مانعاً من القول بأنه قد يأتى يوم قريب ننكر فيه وجود المادة لنقرر أن عالمنا هذا ليس سوى كيان روحى صرف ، تكاثفت أجزاء بعضه فبدا للأعين المجردة على شكل ما ، ولَطُفت أجزاء بعضه ، ففات قدرة البصر ، ولم يبق من سبيل لتبينه إلا عن طريق التصور الذهنى ، أو التصور الألكترونى ! ..

٢ ـ لقد قررتَ أن الدليل القرآنى الواحد ضعيف أمام ضغط الشك ، وضربت لذلك مَثَلَ القطرة من الماء تكون أضعف شىء ، وألينه حتى تندمج مع أخواتها فى مجرى السيل ـ ٣٨٥ ـ .. وهو تقرير عليه طابع العجلة ، لأن الله وهو الحكيم العليم ، الذى وزع هذه الأدلة ، فى مختلف سور القرآن ، جعل فى كل دليل منفرداً ومجتمعاً ـ قدرة البت القاطع فى موضوع الوجود الآلهى والعناية الربانية .. ولعل فى حكمة هذا التوزيع تمكين كل حافظ ، لأى جزء من الكتاب العزيز ، أن يجد فى محفوظه البرهان اليقينى البديهى على الحقيقة الأولى .

ولنأخذ لذلك مثلاً من سورة (آل عمران) قوله تعالى : ﴿ **إن فى خلقِ السمواتِ والأرضِ واختلافِ الليلِ والنهارِ لآياتٍ لأولِى الألباب ، الذينَ يذكرون اللهَ قياماً وقعوداً وعلى جنوبِهم ، ويتفكرون فى خلقِ السمواتِ والأرض ، ربَّنا ما خلقتَ هذا باطلاً** ﴾ .

إن ههنا إشاراتٍ مجملةً إلى قصة الخلق الأول ، وانبثاقه من الإرادة الآلهية فى الموعد الذى قدر له فى الأزل ، ثم تكوين الأفلاك على وجه يحقق الدورة الزمنية .. وهى إشارات مرنة تستوعب أرقى العقول الفلسفية كما تَرضى وتقنع أبسط العقول الفطرية ، التى تستغنى بالبدائه المركوزه فى فِطرِها ، عن الدلائل الصُّنعية فى إدراك النتائج المغيَّبة من خلال مقدماتها المشهودة .

ثم لننظر فى هذا المثل الآخر من سورة النبأ : ﴿ **ألم نجعلِ الأرضَ مِهاداً ، والجبالَ**

أوتاداً ، وخلقناكم أزواجاً ، وجعلنا نومَكم سُباتاً ، وجعلنا الليلَ لباساً . وجعلنا النهار معاشاً . وبنينا فوقكم سبعاً شِداداً .. ﴾ .

أن ههنا صوراً متلاحقة من النظام الآلهى فى تكوين أجهزة الطبيعة لاستقبال الحياة ، وتأمين حركة الأحياء ، فى عناية لا يستطيع إنكارها أشدُّ الخلق كرهاً للحق .. وهى كذلك مما يستوى فى الانتفاع به الأميُّ والفيلسوف ، على ما بين الفريقين من تفاوت النسبة فى مقدار الانتفاع .. ولو رحنا نستحضر كلا من أدلة القرآن العظيم على حدة لانتهينا إلى النتيجة نفسها من حيث غَناء كل دليل بنفسه ومع غيره .. ونحن بالطبع نذكر جيداً كيف كانت سورة قصيرة أو بعض آيات من الكتاب الحكيم ، كافية لإقناع البدوى ذى الفطرة السليمة باعتناق الإسلام ، والاستجابة لدعوة الله ..

وطبيعى أنْ ليس بين علماء المسلمين من يقول بأن الإيمانَ بالقرآن غير واجب الا على مَن بلغه كاملاً ، أو بلغتْه أدلتهُ جملة ، لأنهم موقنون أن أىَّ جزء منه أو من بيان الذى نُزِّل عليه ﷺ تام الإفادة ، كاف لإقامة الحجة على من بلغه ، وهذا أمر لاَ يصِحُّ فى العقول إذا وصحَّت نسبة الضعف إلى الدليل الواحد من كتاب الله أمام ضغط الشك ! ..

والذى أفهمه أن مثل هذه المَقولة قطعية الدِّلالِة فى حق الأدلة الفلسفية وحدها ، إذ يستحيل علينا أن نقطع بإيمان مفكر أو كفره من خلال عبارة واحدة مفصولة عن كلامه ، ألا أن نجمع أدلته مرتبة بحسب زمانها ، ثم نصل بين كل فكرة وأخرى سلباً أو إيجاباً ، حتى يتبين تسلسل تفكيره ، والغاية التى استقر عليها . وما ذلك إلا لأن الإنسان ابن ظروفه خاضعاً لمؤثرات الحياة ، بما فيها من حوافز الشك واليقين .. بخلاف الله الذى لا يعترى الوهمُ كلامه ، ولا يُتَصَور فى أحكامه التناقض « ولو كان من عندِ غيرِ اللهِ لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً » وإنما من شأنه تعالى جده أن يكون فى الآية القصيرة من كلامه الحقُّ نفسهُ الذى فى الكون كله . مَثَلُ كلامه فى ذلك كمثل أثره فى الطبيعة ، ففى الذرة الواحدة من أسرار قدرته ، مِثل الذى فى الكون كله من دلائل هذه القدرة .. فتبارك الله أحسن الخالقين ! .

٣ ـ فى تعليل الأستاذ لفكرة الزمان والمكان عند المعرى ـ ٩٩ ـ محاولة لتفسير

إنكاره الفصل بينهما وبين واجب الوجود سبحانه ، على أساس الكلال العقلى عن تصور المعنى الحادث للزمان والمكان ..

وفى هذا التفسير غموض لم ينجل ، لأن المعرىَّ مصر على القطع بملازمتهما الله عز وجل ، حتى ليصف منكرى ذلك بأنهم (زاعمون) .. وهو تعبير لا يراد به فى مثل هذا المقام إلا السُّخرُ من مخالفيه . ويؤكد ذلك قوله فى مكان آخر :

ولو طار جبريلٌ بقيةَ عمرِهِ   من الدهر ما استطاع الخروجَ من الدهر

فالزمن إذن فى رأى المعرى قديم لم يحدث بحركة الخلق أو لم يستطع تصوره كذلك ، وهو رأى مباين لما ذهبتم إليه أنتم والمؤمنون مِن قَبْلِكم ، ونحن لسنا مكلَّفين بالبحث عن المسوّغات لتبرئة المعرى وغيره من الخطأ الذى هو من ملازمات الإنسان ، ولكن هذا لا يمنع العقل كذلك من التغلغل إلى تصوُّر المعرى نفسه ، فلعله يريد بالزمان شيئا آخر غير الذى نفهمه مرافقاً لحركة المادة . وهنا ألفت نظر الأستاذ إلى تعليل طه حسين لمفهوم المعرى فى هذا الشأن ، فهو يخترع له مفهوماً فلسفياً يليق بكمال القديم سبحانه ، ولعله ـ فيما أظن ـ يطلق عليه اسم (الزمان الفلسفى) و (المكان الفلسفى) ولعلى قرأت كلامه هذا قديماً فى كتابه (مع أبى العلاء ..) .

٤ ـ وفى مناقشة الأستاذ لصوفية (مالبرانش) أنكر عليه القول بأن الله هو خالق الإنسان وفعله ! .. وما أدرى أى شطط فى هذا القول ، إذا كان الرجل يعنى بالخلق غير الكسب ! . ونحن كمسلمين مضطرون بالحق إلى التفريق بين الأمرين ، فالعمل الذى نقوم به أياًّ كان إنما حدث بخلق الله له ، وإنما نحن محاسبون بتحرك الإرادة والسعى لقصده ، وهذا ما ينطوى تحت مدلول الكسب ﴿ **لها ما كَسَبَتْ وعليها ما اكتسبت** ... ﴾ أما الخلق هنا فهو تمكين الحى من العمل الذى لو شاء الله لحبسه عنه ، ولعطل أعضاءه فلم يستطع تحركاً نحوه ﴿ **ولو شاء الله ما فعلوه** .. ﴾ ثم إحداث قابلية التفاعل بين الأجسام ، بحيث تصبح النار صالحة للإحراق ، والمغنطيس صالحاً للجذب .. وهذا أمر ليس من خواص الحى ، ولا يد له فيه ، والذى أراه أن (مالبرانش) لم يرد بقولته إلا هذا ، وإذا كان الأمر كذلك فلا جبرية ولا شذوذ ...

٥ ـ لا أدرى لِمَ جعل الأستاذ شيخنا الموزون وحَيْرانه يغفلان عن صلاة الصبح حتى فات وقتها ـ ٣٦٧ ـ ثم جعلهما يقضيانها بعد الشروق ، دون أن تَنِدَّ منهما أو من

أحدهما كلمة ندم أو أسف ! .. مع أن بعض معلومات ابن الجسر أن أداء الصلاة لوقتها أفضل من فلسفات البشر جميعاً .. وما يعقل ان يُشغل مؤمن عن هذه الفريضة بحديث كائناً ما كان شأنه ، حتى يفوت زمنها ، ثم ينهض لقضائها ، كأنه ناهض لأدائها ! .. هذه فلتة قلم لا أحسب الأستاذ ، أكرمه الله ، إلا مصوبها فى الطبعة الثالثة إن شاء الله ...

٦ ــ ولعل من هذا القبيل قول الأستاذ على لسان الموزون ــ ٢٧١ ــ : (... نشعر بلذة التذلل إلى الله عن طريق الاستشفاع بأوليائه وأحبائه ، كأننا نعترف بذنوبنا ونرى نفوسنا أذلَّ وأهونَ أمامَ الله من أن تدنو من باب رحمته ، إلا متوارية وراء عبد من عباده المقرَّبين ...) .

لا أكتم الأستاذ أننى راجعت هذه العبارة عدداً من المرات لأتحقق من كونى غير مخطىء فى قراءتها ولا فهمها ... ومرد ذلك بالتأكيد إلى ثقتى الكبيرة بأن العقل الذى كتب (قصة الإيمان ..) لا يُعقل أن يغفل عن تلك الحقيقة الكبيرة التى تلخص رسالة الإسلام بأنها « تحرير الإنسان بالتوحيد من كل وساطة بينه وبين ربه .. » وكيف يفوته ذلك وهو يقرأ فى كتاب الله نعيَه على عقول الجاهلين برواية قولهم : ﴿ **وما نعبُدُهم إلا ليقربونا إلى اللهِ زلفى** ... ﴾ فهم يزعمون أنما يتقربون إلى ربهم عن طريق أصنامهم ، استشعاراً منهم بأنهم غير صالحين للاتصال المباشر بالله ، لِما يثقلهم من الآثام الحائلةِ بينهم وبين ذلك المقام الأعلى ، الذى لا مكان فيه إلا للبراءة المستحيلة ــ بزعمهم ــ على الإنسان .

بل كيف يفوت الأستاذ ، وهو يقرأ فى الصحيح أن صحابة رسول الله ﷺ لم يتخذوا من زيارة قبره الشريف ذريعة إلى الاستشفاع به وهو أحب خلق الله إليه ، بل كانوا يكتفون بالسلام الخاشع على الحبيب ، ثم يتجهون إلى القبلة ليسألوا الله من فضله كفاحاً بغير وسيط ! ..

ولست فى حاجة إلى تذكيره كذلك بالحديث الصحيح الذى يخبرنا بأن الله تبارك وتعالى يضحك لتوبة عبده ، بل هو أشد بها فرحاً من رجل فقد راحلته وعليها زاده ، فبحث عنها حتى غلبه العياء وألجاه النصب إلى النوم ، فلما استيقظ وجدها بإزائه فطغى

عليه الفرح حتى راح يقول فى شكره لله : أنت عبدى وأنا ربك ! .. يريد أنت ربى وأنا عبدك ! .

أفى دين كهذا يصل بالإنسان إلى أسمى مقامات التجلة حتى يصور له فرح ربه بتوبته على هذا الوجه العجيب ، يزين للإنسان الاختباء وراء الشفعاء ! .. أوليس مجرد التفكير بهذا التدبير حطا لمكانته وغضًّا من كرامته ! ..

إنها لَشَطْحة .. لا أدرى كيف تسربت إلى قلم برهن أنه عَصِىٌّ إلا على منطق الحق ! .. ولكنى وطيد الأمل كذلك بأنها كتلك ، ستزول فى الطبعة القادمة إن شاء الله .

● وأخيراً وبدافع الغيرة على تلك البلاغة الرفيعة أن تشوبها الشوائب ، أسمح لنفسى أن أذكِّر الأستاذ بعض الهنات التى لم يشملها التصويب الذى ذيل به الكتاب .. فأول ذلك تاريخى ، وهو تحديد زمن ابن سينا والغزالى بأنه القرن الثانى والثالث ـ ٢٥٤ ـ مع أن ميلاد الغزالى كان فى العام الخمسين بعد المئة الرابعة ، وقد توفى فى الخامس بعد المئة الخامسة .

ثم بعض الهفوات اللغوية كإدخال اللام على خبر أنَّ ـ مفتوحة الهمزة ـ (لأن سر العالم الواحد لَيَكشف ـ ٩٢ ـ) وهى خاصة بالمتأخر من معمولي إنَّ المكسورة همزتها . وكاستعمال (أبداً) ظرفاً للماضى (لم نستطع أبداً ـ ٩٨ ـ) وهو خاص بالمستقبل إذ الدال على الزمن الماضى هو (قط) فى مثل هذا المقام ..

وقد أدخل فعل (طالما) على الجملة الأسمية (طالما أن الحواس ـ ١٠٧ ـ) ليؤدى معنى الديمومة ، ومعلوم أن (طالما) وأخواتٍ لها لا يدخلن إلا على الأفعال الماضية للدلالة على الكثرة . وكذلك جُرَّتْ (وحد) باللام (تقرأ لوحدكِ ـ ١٣٦ ـ) ولا وجه لجرها إذ هى منصوبة أبداً على الحال ، ولعل مجرد الإشارة إلى مثل هذه الهُفَيَّات النوادر فى كتاب يستغرق أربعمئة الصفحات ، شهيد آخر على مدى النجاح الذى حققه فى عالم البلاغة ، إلى جانب المكانة التى احتلها من تراث الفكر الحديث ...

أجل .. أن (قصة الإيمان) لواحد من المؤلفات القليلة تمثل ـ فى العربية ـ قمة الإنتاج الفكرى خلال العشرين سنةً الأخيرة . وإنى لأضعه مطمئناً مع (ماذا خسر

العالم) لأبى الحسن الندوى و (السنة) للدكتور مصطفى السباعى (والاتجاهات الوطنية) للدكتور محمد محمد حسين و (العدالة الاجتماعية) و (الإنسان بين المادية والإسلام) لسيد ومحمد قطب ...

هذه الأسفار التى سيقول تاريخ الفكر الإسلامى : إنها كانت مصدر الكثير من عوامل التكوين الثقافى الصحيح للجيل العربى والإسلامى الحديث ..

والله المسئول أن يجزيك وهؤلاء المفكرين الأحرار ، عن جهودكم النبيلة النيرة ، خير ما يُجزى العاملون الأخيار.

* * *

ملاحظات إسلاميّة
على كتاب « أبى ذر والشيوعيّة »

كثيراً ما حاول الشيوعيون استغلال شخصية الصحابى الجليل أبى ذر الغفارى ، لإيهام العامة وأشباه العامة من المسلمين ، بسداد نحلتهم ، وأنها تلتقى مع الإسلام فى أهم أهدافه الإنسانية ، من حيث تأمين العدالة وتحقيق المساواة ! .. وكثيراً ما سكت المفكرون من المسلمين عن هذه الفرية الكبيرة ، التى تضع ماركس اليهودى الحاقد الهدام فى مستوى الصحابى المجاهد لإعلاء كلمة الله ، العامل بحقها فى بناء المجتمع الأفضل ، الذى يحمل إلى البشرية الضائعة رسالة ربها الهادية إلى التى هى أقوم ..

ومن هنا كان للكتيب الذى أصدره العلامة الدكتور عبد الحليم محمود بعنوان (أبو ذر والشيوعية) أثره الطيب فى نفوس القراء من العارفين بأكاذيب الشيوعيين ، الشاعرين بالحاجة إلى مواجهة أولئك الضُلال بالحقيقة التى تدمغ باطلهم .

وعلى الرغم من أن الكتيب لم يخرج عن كونه لمحات عجلى عن حياة الصحابى الكريم ، تنتظر القلم الذى يتم ما بدأ فى استقصاء للأحداث ، وتحليل للمواقف ، يسدان على المستغلين طريق العودة إلى مثل هذا التضليل ، فقد جاء بالإجمال صفحة مشرقة فى سفر قيم يسهم فى تأليفه العديد من حملة القلم المسلم ، الذين كتبوا ولا يزالون يكتبون فى رد مفتريات الأفاكين على دين الله ، وحَمَلة مشاعله من تلاميذ النبوة الأولين رضوان الله عليهم أجمعين .

على أن تقديرنا لجهود الدكتور حفظه الله ، فى هذا الكتيب وغيره من المواقف الرائعة فى خدمة الإسلام ، والدفاع عن دعاته وفضح مؤامرات أعدائه ، والدعوة إلى تنفيذ أحكامه ، لا ينبغى أن يصرفنا عن بعض الهفوات التى يتعثر بها فضيلته بين الحين والآخر ، فتشوه النقي من أعماله بنقاط ماكان لها من سبيل إلى قلمه لو نهنه من غربه

قليلا ، فوقف به عند الحدود التى لا يبيح الشرع ولا العقل السليم تجاوزها .. ولو هو قد فعل ذلك لما وقف القارئون من المسلمين اليوم على ذلك التناقض المؤسف بين الشيخ ، الذى يرفض المنهج العلمى فى دراسة حياة (الأولياء) ـ من حماة السويس والاسكندرية والزقازيق وقنا ـ ويأبى إلا الاعتماد على الأحلام والرؤى وما إليهما ، مما يرسخ تقاليد العامة فى الشطط عن طريقة السلف ، وبين وزير الأوقاف الذى يضطر إلى الرد عليه فى نشرة رسمية تحت عنوان (تقاليد يجب أن تزول) ! ..

ولكن .. ما الحيلة .. وقد شاء الله أن ينفرد بالكمال ، ويحصن أنبياءه وحدهم بالعصمة ، فلا أحد إلا يؤخذ منه ويرد عليه غيرهم ..

لقد أبى الدكتور أصلحنا الله وإياه أن يقصر جهوده على أعداء الإسلام فى ذلك الكتيب ، فخص دعاة الإلتزام لكتاب الله وسنة رسوله ببعض الغمزات التى أقحمها فى مقدمته دون ما حاجة أو مسوِّغ .

يقول الدكتور : (هل آن لنا أن نكف عن الحديث عن زيارة القبور ، وعن قراءة سورة الكهف ، وعن الكتابة فى الجبر والاختيار وعن حمل المسبحة ... وعن شد الرحال : وهل يتضمن النهى عن زيارة الأولياء أولاً ؟ ...[1]) .

إنها لعبارة تحمل من الحرارة والعنف ما يصور ضيق صدر الشيخ بهؤلاء الذين يرون الإسلام الصحيح وقوفاً عند حدود ما أمر الله وبيَّن رسوله صلوات الله وسلامه عليه .. ولا جرم أن من حق كل مسلم يؤمن بهذه الحقيقة أن يعتبر كلام الشيخ موجهاً إليه ، فمن حقه إذن أن يدلى برأيه فيه .

لقد اعتاد المخالفون لهذه الطائفة الملتزمة أن يرددوا مثل هذا الكلام كلما ارتفع لأحد أفرادها صوت بالدعوة إلى الصراط السوى ، ونبذ كل ما غشيه من انحرافات واختراعات .. وحجتهم فى ردهم ذاك أن أعداء الإسلام يتكالبون عليه من كل صوب ، فواجب المسلمين والحالة هذه أن يقفوا كل إمكاناتهم على مناجزة هؤلاء الأعداء ، دون أن يتحدثوا بكلمة واحدة خارج هذا النطاق ! .

ويقولون : إن بلاد المسلمين غارقة فى آلاف المعاصى ، من الربا والخمر والفجور ،

---

(١) مقدمة الكتيب ص ٨ .

وما إلى ذلك من ألوان البلاء ، ففى هؤلاء فلنجاهد ، ولندع كل شذوذ عن جادة الوحى يجرف إخواننا الذين لا يرون رأينا من التزام جانب الوحى دون سواه ..

ويالها من حجة عجيبة فات أصحابها أن الشرط الأساسى فى الجيش المحارب إرتباطه بوحدة الهدف ، والتزامه تعاليم القيادة ، وتعاون أجزائه فى إنسجام تام لا يشوبه الاختلاف .. وإلا فما أيسر أن تتفرق كلمة هذا الجيش فيخذل بعضه بعضاً وهو فى صميم المعركة ، ثم تكون النهاية كارثة على الجميع .

ونعود الآن إلى تحليل عبارة الشيخ .

إنه يحصر مآخذه على الجماعة بأشياء ليست على مستوى واحد من الأهمية أو قابلية الاختلاف . فزيارة القبور أمر مسلم عند السلفيين ومخالفيهم على سواء ، وهى كغيرها من القربات إما أن تقف عند حدود الشرع فتكون دعاء للميت ، وعبرة للحى ، وإما أن يشتط الزائر فيخرج بها إلى الاستغاثة بأصحابها وسؤالهم النفع والضر ، وفى ذلك من الزيغ ما لا يصح أن يختلف فى إنكاره عاقلان . وفى قراءة سورة الكهف يوم الجمعة أحاديث تسوغ للمطلع عليها الحكم بفضلها ، والعمل بها ، وعلى هذا فلا داعى لاعتبار هذا الأمر من مظان الخلاف ذوات الشأن . وكذلك القول فى المسبحة ، فمع أنها لم تعرف فى الصدر الأول ، لا تستدعى الكثير من الأخذ والرد ، إذا كان الغرض منها هو ضبط العدد المسنون للتسبيحات .. وقد رأى رسول الله ﷺ إحدى أزواجه تستعين على ذلك بالنوى فلم ينكره عليها ، بل أرشدها إلى خير منه ، أما موضوع زيارة الأولياء - ولعله أهم المهمات بالنسبة إلى القوم - فما ينبغى أن يترك أمره للأهواء والأذواق ، لما يترتب عليه من نواتج تمس عقيدة التوحيد فى الصميم .

فقبور الأولياء وغيرها من أضرحة المسلمين مجال صالح للدعاء لأهلها والاعتبار بمصايرهم ، فلا اعتراض على زائريها على هذا الوجه المشروع ، ولكن الإنكار إنما ينصب على تخصيصها بالقصد والسفر ، وتوجيه النذور ، وذبح (العجول) التى تعد لها وتنحر على اسمها ، وما يعترى قصادها بإزائها من الخشوع الذى لا يعهد منهم بعضه بين يدى الله ، وهم يقومون بأعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين . فكيف إذا أضيف إلى ذلك الطواف والتمسح ونشدان الحاجات .. مما لا يجد فاعله مستمسكاً يحتج به من وحى أو عقل .

وبقى من النقاط التى شملتها إشارات الشيخ الأكبر تلك الطامة الهامة التى لا أحسبه قد تنبه إلى أبعادها الخطيرة حين حشرها بين ما يعتبره من المآخذ ..

إنها قضية الجبر والاختيار ، وفى عبارة الشيخ ما يوحى أنها لا تستحق بنظره أى اهتمام ، ناسياً حفظه الله انها مدار كل الفلسفات التى حاولت تحديد مسئولية الإنسان ..

إن القول بأن الإنسان مجبر على سلوكه إنما هو تقرير قاطع بتجريده من كل أثر للحرية ، ومن ثم إعفائه من أى مسئولية عن أى فعل يأتيه .. وحصيلة ذلك تعطيل الشرائع ، وإبطال القوانين ، واعتبار كل محاولة لتصحيح مسيرة الإنسان عبثاً لا مردود له .. وهذا ما انتهى إليه تفكير السواد الأكبر من عامة المسلمين فى العصور المتأخرة إذ سيطر عليهم الوهم ، فأقنعوا أنفسهم بأنهم فى كل ما يقترفون إنما ينفذون إرادة الله ، الذى ألزمهم ذلك على طريق الإكراه . وليست الوجودية والسوفسطائية واللا أدرية إلا صوراً مكرورة أو متقاربة لهذا الإتجاه المظلم .. بل لعله اليوم أبرز ما يكون فى الماركسية التى تعتبر أخلاق الإنسان كسائر تصرفاته نتيجة لازمة لنظام الإنتاج ..

ثم إن وضع (الاختيار) فى مقابل الجبر يوحى كذلك بأن المراد منه ما ذهب إليه منكرو القدر والقائلون بأن الإنسان خالق لأفعاله فى معزل عن قدرة الله وإرادته ..

ومعلوم لدى أولى العلم والفطر السليمة أن كلا المذهبين من الضلالات الكبرى المنافية لحقائق الإسلام ، الذى وضع كل فرد تلقاء تبعته ، وألزمه طائره فى عنقه ، فإذا ما تركنا للناس أن ينحرفوا عن جادته يمنة أو يسرة ، لم يكن لنا أى حق فى دعوتهم إلى التعاون لإشاعة المعروف وإزالة المنكر ، إلا كما نتعاون مع أى فريق من الناس على أساس المنفعة العارضة ، تجمع الملتقين عليها إلى حين ثم لا تلبث أن تمزقهم أيدى سبأ .

وهكذا يتضح خطر السكوت عن معظم القضايا الواردة فى عبارة فضيلة الدكتور ، والتى يرى أن الكف عن ذكرها وتنبيه المسلمين إلى أخطارها ، من الشروط التى لا مندوحة عنها للتعاون فى وجوه أعداء الإسلام .

أما نحن ـ وأعنى كل المؤمنين بخطأ هذا الرأى ـ فلا نستطيع أن نتناسى أن الإسلام نظام الله الشامل الكامل ، لا يسع مسلماً أن يساوم على أى جزء منه ، فكما يفرض علينا إعلان الحرب على الشيوعية والوجودية والإلحاد أياً كان مصدرها يلزمنا كذلك

تنقية صفوف المسلمين من عناصر الهزيمة الذين لُبّس عليهم دينهم ، وأبعدوا عن منهج الحق ، فضلوا عن سبيل المؤمنين ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً .

وأخيراً ليسمح لى صاحب الفضيلة أن أذكره بالحقيقة التى يجب أن تكون القاسم المشترك بين أفراد المسلمين جميعاً ، مهما تتفاوت سويتهم العلمية ، ألا وهى ضرورة احتفاظ الأمة ، أفراداً وجماعات ، بعناصر الشخصية المتميزة على سائر أصناف الناس . فإذا كان من شأن الشيوعى النفاق السياسى ، حتى ليتظاهر بالإيمان وهو ألد أعدائه ، ويحتج بمبادىء الإسلام وهو أول الكافرين بها .. وإذا كان من خصائص اليهودى والنصرانى الإنسياق وراء مقررات رجال الدين من أحبار ورهبان ، مهما تتصادم مع العقل والنقل .. فإن ميزة المسلم التى لا تتم مقوماته إلا بها هى التزامه هدى الله كما أنزله على رسوله ، حتى يكون جديراً بتمثيل حقائق الإسلام فى حياته كلها ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ..

ومن أجل هذا نستميح فضيلة الشيخ الأكبر عذراً إذا قلنا له : لقد قدمت للإسلام بكتابك هذا خدمة نرجو أن تجد ثوابك عليها جزيلاً عند الله ، ولكنك أخطأت كثيراً عندما دعوت المصلحين للكف عن تنقية الإسلام من بقايا رواسب خلفتها تعاليم الباطنية العبيدية ، التى كادت تقطع صلة مصر بالإسلام ذات يوم ، لو لم يتداركها الله بالناصر الأمين صلاح الدين والحمد لله رب العالمين .

* * *

أتفسير أم تغرير ؟ !

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً . يُصْلِحْ لَكُمْ أعمالَكم ويغفر لكم ذنوبكم ، ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً ﴾ [الأحزاب : ٧٠ ـ ٧١] .

فى هذه الكلمات الإلهية تخطيط شامل لكل مقومات الحياة السعيدة ، يحدد بها بارىء الكون سبحانه لأحبائه الطريق الأقوم الذى يوصلهم إلى الفوز الأعظم فى الدنيا والآخرة .

إنها التقوى ، وهى الصورة المثلى لصلاح الباطن ، ثم القول السديد ، الذى هو حصيلة الصدق ، الذى يتلاقى عليه القلب السليم والعقل الحكيم .. فلا جرم أن يكون التزامها فى كل موقف ، وفى كل أمر ، مؤديا لصلاح العمل ، وموجباً لمغفرة الذنوب لأنه مظهر الطاعة الصميمة لله ورسوله .. وأى فوز من شأنه أن يدانى هذا الفوز العظيم ! .

ولكن ذلك من العزائم التى لا تتيسر إلا لمن أعانه الله فزينه فى قلبه ، فهو يحاسب نفسه على النبسة والهمسة خشية أن تشذ عن التقوى ، وتفارق منهج القول السديد .

وإنه لمن الآفات المفسدة للعمل أن يستنيم الباحث إلى الكسل ، أو يستسلم إلى الهوى فيرسل القول على عواهنه دون تحقيق ولا تدقيق ، فيسىء إلى نفسه بحرمانها أجر المجتهد المسدد ، ويسىء إلى قارئه بإلقائه فى عماية لا يتبين فيها السبيل إلى الحق .

هذه المعانى كثيراً ما تراودنى وأنا أستمع إلى مفكر يريد أن يدعو الناس إلى الخير ولكن العجلة تصرفه عن التمحيص ، فهو يخلط خبراً صحيحاً فى أثر مضطرب . وأكثر من ذلك ما أقع عليه خلال البحوث أو المؤلفات من هنات ماكان لها أن تتسلل إليها فتشوهها لو أخذ أصحابها أنفسهم بالصبر ، فسألوا أهل الذكر ، أو استفسروا المرْجع الموثوق لتجنب هاتيك الفتوق .

هذه الأسطر أقدم بها لأكثر من تعقيب ، وكان من حقها أن تسبق الحلقة الماضية كما تتقدم حلقة اليوم ، والحلقة التى تليها ، لأن الإطار الذى يضمُّهن جميعاً واحد ، يعرض لضروب متشابهة من التهاون بحق التدقيق .

حسنات وهفوات :

فى الخامس والعشرين من جمادى الأولى لعام ثلاثة وثمانين ، وعقيب فراغى من مطالعة كتاب (الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى) من عمل الدكتور محمد البهى ، أثبت فى آخر صفحة منه تعقيباً مفصلاً ختمته بهذه الكلمة (إن فى هذا الكتاب لعلماً غزيراً ، وتحقيقاً خطيراً ، ومادة غنية بالخير ، من شأنها أن تساعد على إنشاء الجيل الذى يعى مشكلات أمته ودينه وعالمه ، بشرط أن يصل إلى السواد الأعظم من القراء المسلمين فى كل مكان ..) .

فالدكتور البهى إذن من الكتّاب الذين أعجب بهم فأنا أتتبع ما يكتبون ، وأحث طلابى وإخوانى على مطالعة نتاجهم ، سواء فى الكتب أو المجلات ، ومن هنا كان أسفى لما أجده فى بعض آثاره المكتوبة أو المسموعة من مفارقات لا تتفق مع ما عهدته من أناته وعمقه ووفرة سداده فى مثل كتابه الآنف ذكره ..

لقد فوجئت ببعض هفواته الغريبة ذات يوم ، وأنا أستمع إلى حديث له حول قصة نبى الله لوط فى القرآن الكريم ، فسجلتها فى مفكرتى على نية أن أكتب إليه بشأنها مستفسراً ، ولكن حالت المشاغل دون ذلك ، ثم عثرت له على مثلها فى محاولته تفسير بعض الآى من كتاب الله فى مجلة الوعى الإسلامى ، فاستيقظ فى نفسى ما كدت أنساه من هفواته الأولى ، على أن أعباء العمل عادت فحالت دون ذلك ، حتى وقفت اليوم من آثاره على كتيّبه المسمى (تفسير سورة الجن) فلم أجد بدا من التفرغ لتسطير هذا التعقيب خدمة لكتاب الله ، وغيرة على قلم الدكتور العزيز أن يندفع أكثر فى هذا التيار المعرض للأخطار .

أفكار غريبة :

ولنقف تعقيبنا اليوم على تفسيره (الجنى) فهو يقع فى ما دون الخمسين من الصفحات مقسماً إلى مقدمة وتمهيد ثم التفسير ، ففى المقدمة يعرض منهجه فى ما سيليها

من البحث ويكاد يلخص فى صفحاتها الأربع أفكاره القائمة على إنكار ما أجمع عليه الثقات من مفسرى الكتاب الكريم فى موضوع الجن ، وما ورد من أخبارهم فى سورتى الأحقاف والجن ، ليؤكد ما يعتقده من أن الإسلام ، وهو دين الإنسان وحده على الأرض ، لا علاقة به للجن البتة ، ويختم مقدمته بجملة مشكورة على أولئك المضللين من (رسميين) و (رجال دين) الذين أخذوا على عاتقهم تنفيذ مخططات أعداء الإسلام بإخضاع المفهومات الدينية لموحياتهم الشيطانية .

ومن ثم ينتقل إلى القسم الثانى حيث ينطلق فى تفصيل ما أجملته المقدمة . فيقف صفحاته العشرين على محاولة إقناع القارىء بـ (اكتشافاته) التى يحسبها تحريراً للعقل المسلم من دوامة الخرافة المفسدة للتصور الصحيح . ومن ثم يخلص إلى تفسير السورة الكريمة فلا يخرج عن مضمون المقدمة والتمهيد .

ويمكن تلخيص أفكاره بالخطوط التالية : ـ

١ ـ أن إبليس واحد من أفراد الملائكة فى الجنس ، فهو مثلهم لا نسل له ، ومن ثم لا تكليف عليه ، وإنما كان تكليفه يوم صدر الأمر الأعلى بالسجود لآدم ، فجاء تمرده عليه إعلاناً لسقوطه فى الامتحان .

٢ ـ إن الملائكة مخلوقون من النار ، وما ثبت فى القرآن عن خلق إبليس من النار شامل لهم بوحدة الجنس .

٣ ـ إن تقريره ملائكية إبليس وما يستتبعها من استحالة تناسله قد حداه إلى القطع بأن الجن الوارد ذكرهم فى السورتين لا يخرجون عن كونهم بشراً من أبناء آدم ، ويركّز على معنى الخفاء الذى يميز اسمهم ، فيعتبر كل ساع بالخفاء فى أمر ما جانًّا ، بل إنه ليرجح (إن هذا الفريق الذى تخفى ـ عند سماعه القرآن بمكة دون علم رسول الله بهم ـ هو من يثرب ومن المتأثرين بأفكار يهود بحكم مجاورتهم إياهم) . ومن ثم يأتى إصراره على حصر رسالة محمد ﷺ بالبشر وحدهم .

٤ ـ من هذا التوسع فى التأويل الشخصى يمضى إلى تفسير اعترافات الجن فى قولهم (وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع ، فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً) بالاتكاء على الكناية التى يراد بها لازم اللفظ دون حقيقته ، فلا حرس ولا

شهب ، وإنما هو (الفصل النهائى بين الخرافة وممارستها من جانب ، والحق والواقع من جانب آخر) ! .

تشويش محير :

وقبل البداء بمناقشة هذه الأفكار أحب أن أذكر القارىء بأن فى بعض تعابير المؤلف عند الكلام عن شخصية الجن ، تشويشاً يبعث على الحيرة ، إذ يخيل لمطالعه بادىء الأمر أنه مقر بوجود ذلك العالم الخاص المستقل عن عالَمَى الملائكة والبشر ، وذلك كقوله ص ٨ من التمهيد (والجن موجود قطعاً ، وهم قوى مخلوقه من نار صافية .. وعالم الجن قائم إلى يوم البعث ، لا مرية فى ذلك) . إلا أنه لا يلبث أن يعقب هذا الإقرار بقوله فى الصفحة نفسها : (فإبليس ملك عصى ربه ، وإبليس جان من عالم غير المرئيات . والملائكة من الجن كما هم من النار الصافية .. ويدخل فى عالم الجن من يتخفى من عالم الإنسان فى إيمانه وكفره وفى خيره وشره .. كشياطين الجن فإنهم من الإنسان ..) ويستمد العون على ذلك من قوله تعالى ـ فى وصف الشيطان وقومه ـ ﴿ **إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم** ﴾ ويعلل ذلك بقوله (لأن إبليس بحكم طبيعته من عالم الجن ، وأعوانه بحكم تخفيهم فى الشر ألحقوا بهذا العالم وأصبحوا شياطين الجن ..) .

وفى ظنى أن مرد هذا التشويش إلى غموض الفكرة فى نفس المؤلف . فهو لا يستطيع تخليصها من الاضطراب الذى نبع عن شعوره هو باهتزازها . على أن المبدأ الذى يريد القطع به على الرغم من كل شىء هو نفى المفهوم المتواتر عن استقلالية الجن ، ولهذا يلح على كون (شياطين الجن هم من الإنسان) . وإن إضافتهم إلى الجن لا تخرج عن كونهم ملحقين بهم بعامل التسلط أو الملك ، كما تقول : هؤلاء حزب فلان وجماعته ، ولا تعنى أبداً أنهم من جنسه وهُويته ... على حين يظل متشبثاً بما ذهب إليه من أن الوحدة الجنسية إنما تشمل إبليس والملائكة بحكم وحدة العنصر النارى ، الذى خلقوا منه جميعاً ، وعلى هذا فلن يكون هناك سوى عالمين أحدهما من النار وهو فريق الملائكة وفيهم إبليس ، والآخر من التراب وهو فريق الآدميين .

إبليس والملائكة :

وننتقل الآن إلى مناقشة المؤلف فى أساس أحكامه . وطبيعى أن تكون مناقشته على

ضوء الوحى الذى يلزم المؤمن بالخضوع له . وإخضاع رأيه لِحكمه ولو صدم ذلك هواه وخيَّب مناه .

أن منطلق الدكتور فى أفكاره عن استقلالية عالم الجن عائد إلى تقديره لمبدأ الخلق ، ونوعية العنصر الذى استُحدِث منه عالم المَلَك والجن .

لقد وقف المؤلف عند قوله تعالى من سورة الكهف : ﴿ **وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس ..** ﴾ فلم يستطع أن يتجاوز بالاستثناء حدود الاتصال بين فريق الملائكة وإبليس . كما هو الحال فى مثل قول أحدنا . جاء الأصدقاء إلا سعيداً ، على اعتبار أن سعيداً واحد من جنس الأصدقاء . ونسى المدلول الآخر للاستثناء حين يكون منقطعاً فى مثل قول القائل جاء القوم إلا أمتعتَهم .. وبخاصة عند وجود القرينة المانعة من وحدة الجنس كما هو الشأن فى الآية الكريمة ، إذ جاءت القرينة لفظية صريحة فى قوله سبحانه ﴿ **كان من الجن** ﴾ وهى ضرب من الأطناب الذى يفسره البلاغيون بقصد الاحتراس ، لئلا يلتبس المستثنى منه بالمستثنى .. ثم تأتى القرينة الأخرى التى لا تدع مجالاً لإدخال إبليس فى زمرة الملائكة . وذلك فى التوبيخ المخجل الذى يوجهه الحق تبارك اسمه إلى المغفَّلين من أبناء آدم الذين رضوا لأنفسهم بمشايعة إبليس على الرغم من رفضه المشاركة فى تكريم أبيهم الأول ، وإعلانه الحرب على نسله إلى يوم الدين ﴿ **أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو** ﴾ ففى نسبة الذرية لإبليس مقنع كاف لاعتباره جنساً آخر لا يمت إلى عالم الملائكة بأى صلة .. إذ لا خلاف على أن التناسل موقوف على غيرهم من عوالم الأحياء الأخرى . ولكن المؤلف هداه الله بدلاً من الأخذ بالمدلول العفوى للقرينتين ، عمد إلى تكلف التأويل . فراح يبذل المستحيل لإقناع قرائه بأن المراد بذرية إبليس هم أعوانه من أبناء آدم . ناسياً أن إضافة الذرية إلى مخلوق مالم ترد فى الكتاب الحكيم ولا فى كلام العرب على ما نعلم إلا على وجه الحقيقة . وإنما يقع المجاز فى ما عداها من الألفاظ ، كالابن والأخ والأب وما إليها ، ولذلك وبدافع من إصراره على أساس نظريته فى ملائكية إبليس يتخذ من لفظ الذرية دعامة لرأيه . فيعتبرها من البراهين القواطع على صحة ما ذهب إليه من بشرية الجن ، لأن إبليس ملاك ، والملاك لا ينسل ، فلم يبق من مفهوم لتلك الذرية إذن سوى القرار الذى اتخذه فى شأنها . وهو أنهم جنوده العاملون فى الخفاء من نسل عدوه الذى كرمه الله عليه !

متاهات إسرائيلية :

والقارىء الذى يفاجأ بمثل هذه التأويلات المتعسفة لابد سائل نفسه عما إذا كان ثمة من سابقة لها فى عالم التفسير. أم أنها من مكتشفات المؤلف التى لم يسبق إليها ؟ ... فإذا ما راح يستقصى الخبر عثر على تلك الروايات المنسوبة إلى ابن عباس رضى الله عنه وخلاصتها أن إبليس من قبيلة من الملائكة اسمها الجن . عصى الله فمسخه شيطاناً . وفى رواية أخرى عنه أنه كان من الجنانين وكأنه فى هذه الرواية ينفى عنه هوية الملائكة بجعله من العاملين فى خدمة الجنة ولئن خدع بظاهر هذه الروايات من أراح نفسه من تحقيقها فمضى يشيد عليها قصور الوهم ، إن هناك من تنبه لما فيها من الدخن فلم تفته ملاحظة لونها الإسرائيلى وهو ما عقب به عليها الحافظ ابن كثير حين أردفها بقوله (وغالبها من الإسرائيليات التى تنقل لينظر فيها .. ومنها ما قد يقطع بكذبه لمخالفته الحق الذى بأيدينا . وفى القرآن غنية عن كل ما عداه من الأخبار المتقدمة ، لأنها لا تكاد تخلو من تبديل وزيادة ونقصان ولم يتيسر لها من ينفى عنها تحريف الغالين .. وانتحال المبطلين كما قيض لهذه الأمة[1] وهكذا يردنا هذا الحافظ المحقق إلى منطق القرآن الذى لا يأتيه الباطل ، بدلاً من الضرب فى متاهات المخرفين المحرفين الذين لا يؤمنون على علم ولا دين ، والذين فتحنا لهم عقولنا حتى استعمروها بكاذب الأخبار ، كما استعمروا مقدساتنا بالحديد والنار.

ولا جرم أن مجرد الوقوف عند حدود الوحى من قرآن وسنة صحيحة عاصم من كل تشويش واضطراب ، وقائد إلى الحق الذى لا مرية فيه ولا مراء .. وهو فى موضوع إبليس وذريته بارز الخطوط لا معدى عنه لناشد الحقيقة . فإبليس ـ كما قال الحسن البصرى ـ (ما كان من الملائكة طرفة عين قط ، وإنه لأصل الجن . كما أن آدم عليه السلام أصل البشر)[2] وليست ذريته سوى الشياطين ـ كما يقول مجاهد[3] .

بحث لغوى :

ولعل من الخير التذكير بما بين لفظى (الجن) و (الشيطان) من فروق لغوية

(١) انظر ابن كثير ـ ج ١ تفسير الآية ٣٤ من سورة البقرة و ج ٤ تفسير الآية ٥٠ من سورة الكهف .
(٢) المرجع نفسه ص ٣٩٦ ط (دار الفكر) بيروت .
(٣) انظر تفسير مجاهد ص ٣٧٧ ط قطر .

دقيقة . ذلك أن الأول يدل على الجنس المخلوق من النار ، فى مقابل البشر المخلوقين من التراب ، كما ورد فى سورة الرحمن ﴿ **فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان** ﴾ وفى سورة (الناس) عند ذكر ﴿ **الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس . من الجنة والناس** ﴾ فهناك موسوسون نزاعون للفساد أمّارون به بعضهم من الجِنة ، وبعضهم من الناس ، فلا وحدة بينهما ، ولا صلة خارج نطاق التعاون على الشر ، على حين تتسع كلمة (الشيطان) حتى تشمل كل شرير من الجنسين وغيرهما . ومن ذلك قوله تعالى فى سورة الأنعام ﴿ **وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الإنس والجن** ﴾ . وفى الحديث « **الكلب الأسود شيطان** »[٤] بمعنى أنه مؤذ شرير ، ووصف الإبل بأنها (من الشياطين)[٥] لكبر خطرها عند الهياج ..

ويقول جرير فى وصف طفولته :

وكن يدعوننى الشيطان فى صغرى ... وكن يهويننى إذ كنت شيطانا

ولا يزال الناس يسمون الصغير الكثير النشاط والمزعج شيطاناً .

وعند التأمل فى مورد التعبير القرآنى بـ ﴿**شياطين الإنس والجن**﴾ . نلاحظ هذه الخاصة اللغوية فى دلالة (الشيطنة) على طبيعة الإفساد . كما نلاحظ اشتراك الوصف بين جنسين مختلفين من حيث الهوية عن طريق العطف المتغاير ، الذى يقطع باستقلال كل من الجنسين فى عنصره وهويته .. وقد أحسن المؤلف عندما جعل من شياطين الإنس (الكبراء أو الزعماء الذين يصدون عن سبيل الله علنا وفى غير خجل ..) وألحق بهم رجال الدين الذين يحترفون بدينهم خدمة للشيطان) . وحين جعل من ذرائعهم لهذه الخدمة (وسائل الإعلام المختلفة ، وضروب القوة المتنوعة فى الإرهاب والتخويف)[٦] .

أحكام عجْلى :

إلا أنه لا يرضى إلا أن يعمم حكمه فيشمل شياطين الجن ، إذ يكرر ويلح على كونهم (من البشر تخفوا ويتخففون فى مباشرة الشر للناس) فكلا الفريقين عنده من

---

(٤) أخرجه مسلم عن أبى ذر .

(٥) لأبى داود .

(٦) الكتيب ص ١٧ و ١٨ .

ذرية آدم إلا أن أحدهما ينشر فساده علانية وبالقوة ويعمد الثانى إلى الدهاليز المظلمة ، يدس من خلالها سمومه المضلة وانسياقاً مع هذا الإتجاه يضطر إلى تأويل ما أورده الله عن لسان الجن فى قوله عز من قائل (وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهبا) بأنه كما أسلفنا ـ كناية عن إنهاء عهد الخرافة بعد نزول القرآن (إذ بعد نزوله لا يمكن أن يكون للخرافة وضع فى البشرية ، كما لا يمكن أن تكون هناك طبقة كطبقة الكهان تحترف بالعقيدة وتملى على الناس بدعوى علم الغيب[7] .

وعلى رأيه هذا فلا مقاعد للسمع ، ولا تَسَمُّع لأنباء السماء ، بل هى الكناية التى تتسع لكل تأويل ، مادام الموضوع متعلقاً بهذا المخلوق الذى سُمِىَ بالجن من ذرية آدم ، فراح يزعم للمخدوعين به أنه ينقل إليهم أخبار السماء كذباً وزورا .. وإذن فلا سبيل أيضاً لقبول فكرة (القرين) الموسوس فى الصدور ، لأنها (تجعل الناس يعيشون فى ظلام الأوهام وترقب مالا يقع فى الحياة أبدا[8] وفى ظنى أن قليلاً من التأمل فى واقع الحياة البشرية كان كافياً لإقناع الدكتور بالإقلاع عن هذه الأحكام العجلى ، فليس ثمة مكان من هذه الأرض خالياً من أولئك الدجاجلة الذين يبشرنا بانتهاء عهدهم . والقرآن العظيم فى عرضه لأخبار ذلك النفر من الجن ، وحوارهم حول التغيُّرات الفلكية التى واجهتهم بعد البعثة النبوية ، لا يحكم بزوال تلك المحاولات الشيطانية ، بل يعلمنا فقط بأنه تعالى قد حجز الشياطين عن استراق السمع ، الذى يمكنهم من تلقف بعض الآى من القرآن لئلا ينقلوها إلى وسطائهم ، فيختلط الأمر على الخلق ، حتى لا يفرقوا بين أخبار الكهنة وبلاغات النبوة[9] وأى دلالة على هذه الحقيقة أوضح من الخبر النبوى الذى يتحدث عن محاولات هؤلاء الشياطين حتى يقول : (فما جاؤا به على وجهه فهو حق ، ولكنهم يقذفون فيه ويزيدون[10] وذلك هو الإفك الذى يشير إليه قوله تعالى فى سورة الشعراء : ﴿ **هل أنبئكم على من تَنَزَّلُ الشياطين .. تنزل على كل أفَّاك أثيم . يلقون السمع وأكثرهم كاذبون** ﴾ وكذلك وصفه عزَّ شأنه لآكل الربا ﴿ **كالذى يَتَخَبَّطه الشيطان من المس** ﴾ ٢٧٥/٢ . هذا الوصف

---

(٧) الكتيب ٢١ و ٢٢ .

(٨) الكتيب ص ٢٢ .

(٩) انظر تفسير ابن كثير لسورة الجن .

(١٠) مسلم والترمذى .

الذى حاول بعض المُحْدَثين صرفَه عن حقيقته ، فأبى الله إلا أن يؤكده بما يلمسه الناس اليوم فى (مناجاة الأرواح) وبما شهده ويشهده المتبعون من تلبس الشياطين بعض الناس ، حتى ليسمعون أصواتَ الجانّ من خلال أفواه ضحاياهم . ثم لا ينزعون عن هؤلاء المساكين إلا تحت ضغط العزائم المشروعة ، التى كثيراً ما تنتهى بإحراق الشيطان وتصاعد دخانه رأى العين[11] .

أما موضوع القرين فإن إنكاره إنكار لصريح القرآن الذى يقول : ﴿ **ومن يعشُ عن ذكر الرحمن نُقيِّضْ له شيطاناً فهو له قرين** ﴾ ٣٦/٤٣ . ولصحيح الحديث الذى فصَّل مجملَ الآية بقوله صلوات الله وسلامه عليه : ما منكم من أحدٍ إلا وقد وُكّل به قرينُه من الجن . قالوا : وإياك يا رسول الله ؟ .. قال : وإياى إلا أن الله قد أعاننى عليه فأسلم ، فلا يأمرنى إلا بخير[12] .

ثم أى ذى حافظة سليمة يتذكر تجاربه الخاصة مع قرينه الخبيث وهو يوسوس إليه بزخرف القول تزييناً لمقبَحةٍ أو إغراء بمفسدة ، ثم لا يردد فى خشوع قول رسول الله ﷺ « **إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم** »[13] .

الإيمان بالغيب :

ويتساءل الدكتور أصلحنا الله وإياه : عن الفائدة من إيمان الجن برسول الله ﷺ مادام ذلك لا يشكل حجة على مشركى مكة .. وبالتالى لا يتصل بموضوع الإعجاز القرآنى[14] وبقليل من التفكير أيضاً يتبين المتأمل فى سياق الآى النازلة فى هذا الأمر أنها ليست فى معرض الحجاج ولا الإعجاز ، وإنما هى تعزية لقلب رسول الله ﷺ الذى يؤلمه إعراض قومه عن هدايته ، فيأتى الوحى ليسرّى عنه بنبأ تصديق الجن به . هذا إلى أن فى هذا الإيمان فائدة كبيرة لنا ، إذ إن إنضمام أى مخلوق إلى صف المؤمنين إنما هو قوة لهم ، وإضعاف لأعدائهم ، ثم يبقى مافى قبول الخبر الإلهى عن ذلك من

---

(١١) سنعرض لبعض هذه الوقائع مدعومة بشهادات الثقات فى مقال تال إن شاء الله .
(١٢) أخرجه مسلم .
(١٣) متفق عليه .
(١٤) الكتيب ص ٢٥ .

تحقيق لصفة التصديق بأنباء الوحى عن الغيب ، الذى هو أحد المعالم الفارقة بين الكفر والإيمان ..

ويحق لنا أن نقابل تساؤله بمثله فنقول : أى فائدة للمسلمين وغيرهم فى رفضك ما أجمع عليه أهل العلم بالقرآن ، منذ الصدر الأول إلى يوم الناس هذا ، عن إيمان بوجود عالم الجن مستقلاً بعنصره وخَلقه ومميزاته ؟ وهل بلغتَ من العلم حدّ الإحاطة بكل مغيَّب حتىٰ يسوغ لك إنكار مالم تره .. ودعوة القراء إلى مشاركتك فى هذا الإنكار ؟

لقد تلقت أمة محمد ﷺ خبر الجن بالتصديق المطلق ، إيماناً بشهادة الله الذى يقول إنه خلق الإنسان من صلصال كالفخار ، وخلق الجان من مارج من نار ، وإيماناً بشهادة رسوله الذى يقول : « **خُلِقتِ الملائكةُ من نور ، وخُلِقَ إبليس من مارج من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم**[١٥] » أفتريدنا على أن ندع هذه الوثائق الإلٰهية لنأخذ بدعوى لا يسندها إلا الظن وما تهوى الأنفس ! ..

بين الوهم واليقين :

وإذا نحن مضينا معك فى متاهات التأويل على هذا النحو فما الذى يعصمنا من ألاعيب الباطنية ، التى تخلق لكل حقيقة قرآنية تفسيراً يدعم أخيلتها ، ومن أضاليل الطرقيين الذين يفصلون بين الحقيقة والشريعة ، ومن مخارق القاديانية والبهائية اللتين تسفهان فهم السلف لكل حقائق الوحى .. بل ما الذى يحول حينئذ بيننا وبين التسليم لأضاليل المهداوى الذى زعم ـ فى محكمته التاريخية ـ أن الشيطان ليس شيئاً سوى نزغات النفس الناشئة فى ظل الإقطاع .. أو لمهازل ذلك الحاكم الذى ساقه الغرور أخيراً إلى رفض الخبر الإلٰهى عن نومة أهل الكهف ، وراح يزعم أن رسول الله يدعو الناس إلى عبادته لأنه يبلغهم أمر الله بالصلاة عليه ! . وقد فات هذا المسكين أنه بدعواه هذه يكشف عن جهله بلغة العرب ، وبالتالى يفضح عجزه العقلى والبصرى عن التطلع إلى أنوار القرآن .

أجل .. أيها الدكتور الفاضل .. إننا لن نؤثر (أوهامك) على ما جاءنا من العلم وسنظل على أتم اليقين بأن عدونا الأكبر هو ذلك الذى حسد أبانا الأول على تكريم ربه

(١٥) صحيح مسلم عن عائشة رضى الله عنها .

إياه ، ثم أعلن تصميمه على ملاحقته ونسله بالمضلات إلى آخر الحياة . وفى ذلك خير لنا كبير لأنه يجعلنا على وعى دائم لما يريده بنا وذريته من الشر والضر ، فلا نفتأ نصارعهم حتى نردهم بقوة الله خاسئين مدحورين .

أما بدعتك الأخرى فى إنكار شمول الرسالة الخاتمة للثقلين جميعاً ، إنسهم وجنِّهم ، فلا حاجة لإعادة القول فيها كرة ثانية ، بعد الذى كتبناه حولها فى تعقيب سابق على كتاب الأستاذ سعد جمعه (الله .. أو الدمار) وسنبعث إليك بالعددين معاً لتقرأ فيهما الموضوع كاملاً إذا شئت ، فإما أن تقتنع بالحق الذى أجمع عليه أئمة الهدى فتعود لتدارك ما أسلفتَه بالتصحيح المنشود ، كالمأمول بمثلك من أهل الخير ، وإما أن تستمر على وجهتك فيكون الحَكَمُ بيننا وبينك أُولو العلم بعدَ الله ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

ويبقى ما وقعنا عليه من شططك فى بعض الصحف ومن وراء المذياع ، فنرجئه إلى التعقيب القادم الذى سيتناول ، بتوفيق الله ، إلى جانب هفواتك ، أغاليط آخرين سواك .

والله الهادى إلى سواء السبيل .

★ ★ ★

جولة ثانية مع الدكتور البهى

وعدنا القارئ فى التعقيب الأخير أن نعود إلى استكمال مذكراتنا عن شطحات هذا المفكر الفاضل . وها نحن أولاء نعرضها فى ما يلى مفصلة رجاء أن يتفضل بإعادة النظر فيها فنلتقى وإياه على الحق الذى يرضى الله إن شاء الله .

١ ـ فى إحدى مذكراتى للأعوام السابقة وجدتنى قد سجلت الملاحظات الثلاث التالية تعليقاً على واحدة من مذاعات الدكتور . وكان قد أدارها حول آيات من سورة (الحجر) **قلت فى الملاحظة الأولى** : لقد أصر المتحدث على أن إبليس كان من جنس الملائكة ونسى قوله تعالى ﴿ **إن إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه** ﴾ وقوله عز وجل ﴿ **أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى ..** ﴾ ومعلوم بالضرورة ألاَّ ذرية للملائكة .

وقلت فى الملاحظة الثانية : فسر المتحدث (الغابرين) فى قوله تعالى ﴿ **إلا امرأته قدرنا أنها لمن الغابرين** ﴾ بمعنى (الرجعية) مؤكداً أن ذلك فى مصطلحات القرآن . والذى عليه أهل العلم أن الغابر فى كلام العرب مقصور الدلالة على ما مضى وما بقى . وهى فى الآية الكريمة بمعنى (الباقين) بدلالة السياق فلا رجعية ولا تقدمية .

وقلت فى الثالثة والأخيرة : وقد قرأ معاليه قوله تعالى ﴿ **وأتيناك بالحق وانا لصادقون** ﴾ بمد (أتيناك) وهى من (أتى) الثلاثى لا من (آتى) المزيد .

كتبت هذه الملاحظات فى أعقاب سماعى للحديث من إذاعة الكويت ، وكان فى نيتى أن أبعث بها إليه فى رسالة خاصة ، ثم شاء الله أن ترقد مكانها حتى أيقظها عمل الدكتور الفاضل وهو يحشد أغاليطه العجيبة فى تفسيره لسورة الجن ، فكان من حقه على كل مؤمن يعى كلام الله أن يتصدى له بما يجب من التنكير الذى أمر به الله . وهكذا يأتى تعقيبنا السابق لتفسيره ذاك تصحيحاً كافياً لتلك الأغاليط ، وشاملاً فى الوقت نفسه لمضمون الملاحظة الأولى حول جنسية إبليس ، إذ كان إصراره على ملائكيته فى حديثه تكراراً مقصوداً لما قرره من ذلك فى تفسيره ، وعلى هذا فلا حاجة

للكلام فى هذه النقطة لأنه لن يعدو أن يكون إعادة لما أثبتناه فى تعقيبنا على ذلك التفسير.

وإذن فالتعقيب الآن حول الملاحظتين الأُخريين وما يتجاوزهما من أشياء عثرنا عليها فى بعض مقرراته الأخرى.

ونقف هنا على تفسيره العجيب لصفة (الغابرين) بأنها من (الرجعية) ولنسأل الدكتور الفاضل عن مستنده فى هذا القول ، الذى لم يفطن له أحد من أيمة التفسير ولا من مدونى المعاجم ، ولم يسبق أن تكلم به لسان قبل البدعة القومية والاشتراكية التى تريد بقوة الإرهاب والإعلام أن تفرض مصطلحاتها على كل شئ حتى المعانى الإسلامية.

لقد وردت هذه الكلمة (الغابرين) سبع مرات فى الكتاب الحكيم ، وكلها فى قصة لوط (ع) وامرأته ، وكان ثمة إجماع بين المفسرين على أن المراد بها أنها مع (الباقين) الذين قدر لهم العذاب فلم تنج مع آل لوط.

وفى لسان العرب عن (الغابر) أنه الباقى وأنه الماضى ، وقد ذيل الشهيد سيد قطب هذه الكلمة فى الظلال بقوله (أى أنها مع القوم ـ الكافرين ـ تلقى مصيرهم ، وأصله من الغبرة وهى بقية اللبن فى الضرع).

أما (الرجعية) فى لغو (التقدميين) و (الثوريين) فقد فاتت المتقدمين والمتأخرين من أساطين اللغة ، حتى جاء الدكتور البهى يستدرك عليهم باسباغ هذه الحلة القشيبة على (الغابرين) ليجعلهم فى مقابل (التقدميين) ولعل ذلك مشجع بعضهم على تطوير آخر للكلمة يُلحقها ـ ذات يوم ـ باليمين فى مواجهة اليسار ، وما أحسب ذلك مما يسر فضيلته.

ولا مندوحة هنا عن التساؤل / ما الذى حفز الدكتور الفاضل إلى إيثار (الرجعية) الدخيلة على (الباقين) العربية الأصيلة ؟.. وهل ثمة من علاقة بين المعنيين تسوغ مثل هذا التوسع على طريقة البلاغيين.. ؟

أما أنا فلا ألمح أى صلة بين الاتجاهين ، لأن مفهوم (الرجعية) فى معجم أصحابها يمثل نمطاً من الحياة يرتبط بقيم الماضى ، فى مقابلة (التقدمية) التى تقوم على تدمير كل

الجسور المتصلة به .. فكيف استطاع الدكتور حفظه الله أن يغفل كل هذه التصورات الملصقة بالكلمة ليجعل منها تفسيراً (عصرياً) للكلمة القرآنية ! ..

تعليل واحد يمكن له الاحتجاج به هو احتواء كل من الإيمان والكفر على نمطٍ للحياة مضاد للآخر ، بمعنى أن الإيمان منطلق القيم السعيدة المنسجم مع سنن الكون ، فى حين أن الكفر يمثل رأس المنحدر إلى هاوية الاضطراب والشقاء والضياع المنافى لنظام الوجود .. وإنه لتعليل معقول لولا حاجته إلى التفسير المقبول الذى يطهره من اللبس الذى يشد المصطلح إلى اللغو الثورى . ومثل الدكتور البحاثة المؤلف الكبير لا يفوته أن للكلمة ـ ذات الدلالة الإصطلاحية ـ ظلالاً هى التى ترسّخ صورتها فى الذهن ، فما إن تمس السمع حتى تشيع صورها الخاصة على لوح الفكر .

ومن هنا كان إقبال الكاتب الإسلامى على استعمال المصطلحات الدعائية ذات الارتباط الصميم بالنظم غير الإسلامية أول بوادر الهزيمة ، وأولى الخطى فى الطريق إلى الفخ .. وإذا جاز لمفكر مؤمن تداول مثل هذه الألفاظ فى معرض الجدل أو البحث فلا عذر له البتة فى إقحامها حرم المعانى الشرعية عند تفسير الكتاب الحكيم أو شرح الحديث الكريم .

أما النقطة الثالثة فهى أيسر من ذلك ، ولكنها مع يسرها ترسم صورة غير مرضية لتساهل الدكتور بحق العربية على الأقل ، فمعلوم أن الفرق غير قليل بين الفعل الثلاثى المجرد (أتى) والمزيد (آتى) فبينما الأول يتعدى إلى مفعوله الثانى بالباء ليفيد معنى المجئ والإقبال مع المصاحبة ، نرى الآخر يتعدى إلى مفعوله الثانى مباشرة ليفيد معنى العطاء والمنح ، كما نرى فى قوله تبارك اسمه ﴿ **ولقد آتيناك سبعاً من المثانى** ﴾ هذا إلى ما فى التعبير الآلهى ﴿ **وأتيناك بالحق** ﴾ من لطائف مناسبة لسياق القصة تُحَمِّل الفعل (أتى) شيئاً من معانى النجدة التى بشر بها الملائكة نبىَّ الله لوطا ، إذ استنكر أمرهم فطمأنوه بقولهم : ﴿ .. **جئناك بما كانوا فيه يمترون** ﴾ أى بالعذاب الذى كان يهدد به قومه فلا يبالون وعيده بل يستمرون على فسوقهم مصرِّين مكذبين .

ولهذا يردفون البشرى بتوكيدها ﴿ **وأتيناك بالحق ..** ﴾ وقد سمى الله جلت حكمته العذاب هنا بالحق لتضمنه معنى العدل والحسم الذى سيقطع دابر القوم الظالمين . ونحن لا نستطيع استيعاب الصورة التى يرسمها الفعل الثلاثى المقترن بالباء ﴿ **أتيناك بالحق** ﴾

إلا عندما نتصور موقف سرية من المجاهدين مثلاً قد أحاط بهم العدو ، وضيق عليهم المنافذ ، وإذا هم يتلقون بشرى وصول النجدة وإحاطتها بالعدو من كل صوب .. وبذلك نعلم أن مجرد زيادة المدة على أول الفعل مؤد إلى تحوير فى بلاغة الجملة القرآنية لا يأتلف مع السياق فى قليل ولا كثير.

وقد يقال أنها زلة لسان لا تستحق كل هذا التفصيل ، وهو قول مقبول لولا سوابق للدكتور حفظه الله تؤكد أن الزلل فى أسلوبه من الوقائع التى لا يكاد يسلم منها مقال له .. وبين يدينا الآن واحدة منها ننقلها إلى القارئ من مقاله القيم عن (الخلاف بين صاحب العمل والعامل ..) الذى سنعرض بعض هفواته فى هذا التعقيب وذلك فى قوله (لأن هذا الصراع يعود إلى شحن النفوس بالبغضاء والكراهية ضد بعضها بعضاً[1] وبقليل من الانتباه يتضح ألا وجه لنصب (بعضاً) وكان الصواب أن يقول (بعضها ضد بعض) .

٢ ـ ومن ملاحظات المفكرة ننتقل إلى مقاله فى (الوعى الإسلامى) فنسجل أولاً تقديرنا العميق لمعظم الجوانب التى يتناولها . وكم كنا نود لو استقام له الطريق فتجنب تلك الزلقات التى شوهت من محاسن البحث :

(أ) يعدد الدكتور وجوه الإنفاق بنظر القرآن العظيم فيحدد الإسراف المنهىّ عنه فى قوله تعالى ﴿ **ولا تسرفوا .. إنه لا يحب المسرفين** ﴾ بأنه (الإنفاق فى محرم ولو كان قليلاً كالإنفاق فى الخمر والزنا وفى سبيل موالاة الأعداء) . وهو بذلك يقيد مفهوم الإسراف فى حدود الكبائر وحدها ، بخلاف ما نجده فى القرآن الكريم من اختلاف دلالات هذا اللفظ حسب القرائن . وبديهى أن مفهوم الإسراف فى قوله تعالى ﴿ **وكلوا واشربوا ولا تسرفوا** ﴾ هو غير مفهومه فى قوله الآخر ﴿ **إن الله لا يهدى من هو مسرف كذاب** ﴾ .

عرض ابن كثير وصاحب (فتح القدير) لأقوال الأئمة فى تفسير (ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين) فلم يرد بينها ما يؤيد مذهب الدكتور فى قليل ولا كثير ، بل تكاد تتفق على أن المراد بالإسراف هو ما جاوز أمر الله فى الصدقات حتى لا يخرج المنفق من

---

(١) مجلة (الوعى الإسلامى) شعبان ١٣٩٧ هـ .

المؤمنين عن كل ما له فينتهى إلى الفقر. وهو تقدير لا مندوحة عن قبوله لأنه النتيجة المنطقية لما تقدم فى الآية من قوله تعالى ﴿ .. **وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا** .. ﴾ .

وقد نقل ابن كثير عن ابن جريج أن الآية نزلت فى ثابت بن قيس بن شماس (رضى) إذ (جذَّ نخلاً له فقال : لا يأتينى اليوم أحد إلا أطعمته فاطعم حتى أمسى وليس له ثمرة)[2] وهكذا جاءت الآية تحمل للمؤمنين حكماً ينظم علائقهم ويضبط تصرفاتهم فى نطاق الصالح العام .

(ب) ويورد الدكتور قوله تعالى ــ من سورة النحل ــ ﴿ **والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق ، فما الذين فُضِلوا برادى رزقهم على ما ملكت أيمانهم فهم فيه سواء** ﴾ فيقدم للآية بقوله : إن القرآن الكريم جعل السيد صاحب المال والرقيق المملوك له متساويين فى مال السيد .. ثم يستدرك بعدها بقوله « والمساواة بينهما قطعاً لا تكون فى (الملكية) وإنما فى المنفعة .. »

وفى هذا التخريج بعدٌ عن التفسير الصحيح للآية الكريمة ، فقد تضافرت أقوال المفسرين قديماً وحديثاً على أن هذا مثل ضربه الله لِسوء تصرف المشركين فى رزق الله ، إذ يجعلون لآلهتهم الباطلة جزءًا منه فيقرعهم على ذلك بأن أحداً منكم لا يشارك مملوكه فى زوجته وفراشه وملكه فكيف ترضون لربكم ما لا ترضون لأنفسكم ؟[3] ويعقب شيخنا المرحوم صاحب (أضواء البيان) على هذا المعنى بقوله (ويؤيده أن (ما) فى قوله (فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت أيمانهم ، نافية ــ أى ليسوا برادى رزقهم عليهم حتى يسووهم مع أنفسهم ، وإذا لم يكن ثمة مجال لصرف (ما) إلى غير النفى فكل محاولة لتقرير غير هذا المعنى لا تعدو أن تكون ضربا من التحكم .

وإلى هذا ذهب القرطبى وسائر المفسرين قدامى ومحدثين ، فالآية إذن تقريع للمشركين على تصرفهم الأحمق الذى لا يستند إلى منطق ، وهى كذلك تقريع مستمر لكل من يسلك سبيلهم فى صرف حقوق الله إلى سواه ، ليس فى المال فقط بل فى كل شئ على الإطلاق . فمن أين جاءت فكرة المساواة فى (الملكية) أو (المنفعة) بين المالك

---

(٢) ابن كثير ص ١١١ جـ ٣ .

(٣) انظر بشأن الآية تفسير ابن كثير والقرطبى وفتح القدير و(فى ظلال القرآن) .

والمملوك ؟ لا شك أنها (زلة) استجر الكاتب إليها ضوضاء العملاء الذين يشحنون الجو من حوله بمصطلحات الاشتراكية والماركسية وما إليها ..

(جـ) وتستبد فكرة المساواة بذهن الدكتور حتى يمدها إلى مصير المؤمنين فى الآخرة فيورد الخبر الآلهى ﴿ **ونزعنا ما فى صدورهم من غل إخواناً على سرر متقابلين** ﴾ (**الحجر** / ٤٧) ثم يفسر مضمون الآية الكريمة بقوله إنهم (متساوون فى المنزلة والدرجة فهم متقابلون فى المنزلة) وإنه لتفسير لا سند له من فهوم السلف الذين قرؤوا فى كتاب الله عن منازل المؤمنين فى جنات النعيم أن ﴿ **هم درجات عند الله ٣ /١٦٣** ﴾ ﴿ **ولكل درجات مما عملوا ٤٦ /١٩** ﴾ و﴿ **انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا ١٧ / ٢١** ﴾ واستيقنوا بالعلم القطعِى الواصل إليهم فى الصحيحين عن رسول الله ﷺ « **إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدرى الغابر من الأفق من المشرق أو المغرب** » ..

وفى تفسير ابن كثير وغيره للآية ما يشبه الإجماع على أن المراد بالذين نزع الله ما فى صدورهم من غلّ هم العشرة المبشرون بالجنة من أصحاب رسول الله . وهى رواية ابن عباس (رضى) كما فى فتح التقدير وغيره وقد تعددت الروايات عن على كرَّم الله وجهه أنه قال : (فينا والله أهل الجنة نزلت) وفى إحداها خص بالذكر إخوانه الراشدين الثلاثة [٤]

وفى تفسير (على سرر متقابلين) جاءت الروايات متضافرة عن جمع من المفسرين وأهل الحديث وكلهم عن زيد بن أبى أوفى عن رسول الله ﷺ « أنهم المتحابون فى الله فى الجنة ينظر بعضهم إلى بعض [٥] ويزيد هذا وضوحاً وتوكيداً ما أخرجه أبو داود والترمذى عنه ﷺ فى الحديث القدسى (يقول الله تعالى المتحابون فى جلالى لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء [٦]) فتكون السرر هى المنابر النورانية .

وحول موضوع التفاوت بين درجات المؤمنين فى الجنة يقول الشهيد صاحب الظلال معقباً على قوله تعالى ﴿ **وَلَلآخرةُ أكبرُ درجاتٍ وأكبر تفضيلاً** ﴾ فمن شاء

(٤ و٥) انظر (فتح القدير) ١٣٦ جـ ٣ .
(٦) اللفظ من رواية الترمذى .

التفاوت الحق ، ومن شاء التفاضل الضخم ، فهو هناك فى الآخرة وفى ذلك فليتنافس المتنافسون .

وما أعلم أحداً من كبار أيمة التفسير ذهب فى فهم الآيات إلى غير هذه الوجهة ، أو أشار من قريب أو بعيد إلى أن ثمة تساويا بين نزلاء الجنة فى المنزلة والدرجة ، وهو يعلم أن جهنم دركات وأن الجنة درجات ، وأن لكل عمل قل أو جل جزاءه العدل .

(د) بقيت ملاحظة أخيرة على خاتمة المقال الذى نحن بصدده .

يقول الدكتور حفظه الله : وأول ما يدعو إليه الإسلام هو رفع الصراع الداخلى فى النفس وإزالته ، بجعل النفس لوامة وليست أمارة بالسوء ، فإذا ارتفع الصراع النفسى الداخلى ارتفع تبعاً لذلك صراع الطبقات فى المجتمع لأنه لا توجد طبقات عندئذ ..

فى هذه الخاتمة تقرير حاسم لا يتفق مع الواقع ، ولذلك لا يحسن إمراره دون مناقشة .

وأول المآخذ على هذا الكلام حكمه بأن القضاء على الصراع الداخلى فى النفس هو رأس الأمر فى الدعوة الإسلامية ، دون أن يوضح السبيل إلى ذلك . وكان على الكاتب أن يبرز أول كل شئ دور التوحيد الخالص فى تصحيح النفس وإنقاذها من التمزق بين مختلف التيارات .

ثم يأتى حصره النفس البشرية بين اللوامة والأمارة ، ونسى أن هناك النفس المطمئنة أيضاً ، وكل من الثلاث قد ورد ذكرها ووصفها فى كتاب الله . وقد سبق الباحثون من مفكرى الإسلام قديماً وحديثاً إلى الكلام الشافى فى هذه القوى الثلاث فبينوا صلة كل منهن بالأخرى ، وعملها فى سلوك الإنسان وموقف الإنسان منها .

ولعل أفضل الأقوال فى ذلك أن هذه النفوس تمثل الطاقات التى أودعها الخالق جلت حكمته أعماق هذه النفس لتدفعها إلى التفاعل لعمران الحياة . فالأمارة بالسوء هى منطلق الرغبات الأرضية لانبثاقها من خصائص الطين ، على حين تمثل الأخريان الجهة العليا المتأتية من النفخة القدسية فإذا اندفعت الأمارة فى الطريق الأدنى دون نظر فى العواقب ، تعرضت لها اللوامة تشدها إلى الإتزان ، وتبصرها بالأخطار المتوقعة من ذلك ، فإما أن تفلح فى جهودها فتكبح جماح الأمارة وتخضعها لقانون التوازن ،

فينتهى الأمر بالإنسان إلى كنف المطمئنة ، وإما أن تخفق فى علاجها وتلق إلى الشيطان بزمامها ، فيكون الشقاء الغامر فى الدنيا والآخرة .

ولكن هل يعنى هذا أن ذلك الصراع الداخلى سيخفت نهائياً بانتصار أحد الفريقين ؟ ..

أما أنا فلا أتوقع ذلك ، لأن بقاء هذا الصراع ملازم لبقاء الحياة البشرية نفسها ، وإنما يخمد حيناً ويلتهب حيناً . وفى الحديث الصحيح « **والذى نفسى بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم** »(٧) .

وشئ آخر لا مندوحة عن تقديره وأخذه فى الحسبان عند تقييم الحياة والإنسان ، ذلك أن تصفية النفس البشرية من كدورات التراب مطلب غير متصور فى الحياة الدنيا ، وكل ما على الإنسان هنا أن يجاهد نفسه بضبطها فى نطاق المسلك الشرعى ، وأن يكون على حذر من شططها ، فيقدعها كلما حاولت التفلت ، ويرفعها كلما همت بالهبوط ، حتى يخلص إلى المصير الموعود فى رحمة الله ، حيث يطهر وجوده من كل غل ، وينزه نفسه حتى من خواطر السوء .

هذا فى موضوع الصراع داخل النفس .

أما موضوع صراع الطبقات فله شأن آخر ، ذلك أن الدكتور يعتبر بقاء الطبقات نفسها متوقفاً على بقاء الصراع الذاتى . ولهذا يقدر لها الزوال بمجرد تصحيح الوضع النفسى ، وهو ما يخالف الواقع ، ذلك لأن الإنسان فى سعيه من أجل العيش ، ثم فى جهاده من أجل القيم التى يؤمن بها صائر لا محالة إلى التوزع الطبقى ، فضلاً عن التفاوت فى ميدان المواهب والقدرات والخبرات التى تسوقه عفوياً إلى الكينونة الطبقية .

أجل .. ذلك هو المجتمع البشرى ، جسم واحد إلا أنه كذلك مجتمع من الأعضاء تتفاوت فى أقدارها وأحجامها وآثارها ، ويكمل بعضها بعضاً فى كل ما يتطلب من الجسم الحى ، وكل محاولة لإزالة هذا التنوع من جسم المجتمع لا مردود لها سوى تدميره كله .

---

(٧) رواه مسلم فى كتاب التوبة .

لقد أزهقت الشيوعية فى الإتحاد السوفييتي والصين عشرات الملايين من الأنفس ، واجتاحت فى فيتنام وكمبودية مئات الألوف من المعارضين ، وبلغ ضحاياها فى أنغولا حتى تسطير هذه الكلمات سبعين ألفاً ، وفى أثيوبية يقوم سفاحها منجستو بمذابح يومية فى صفوف من يسميهم أعداء الثورة .. وستستمر هذه المجازر فى كل بلد تسلل إليه هذا الوباء الشيطانى تحت مظلة النضال ضد الطبقية ، وبدعوى إقامة المجتمع الخالى من الطبقات سوى طبقة البروليتارية ، ومع ذلك فكل ما انتهت إليه هذه المذابح الهائلة لا يتعدى تثبيت أنواع جديدة من الطبقات يلتهم بعضها بعضاً ، وتستأصل كل واحدة جذور الأخرى كلما وجدت إلى ذلك سبيلا .

على أن ثمة حقيقة كبيرة لا يسع عاقلاً سليم التفكير تجاهلها .. وهى أن الطبقات التى تؤلف المجتمع الإسلامى غيرها فى سائر التجمعات البشرية ، ومرد ذلك أن أفراد المجتمع الإسلامى قد مُيِّزوا بتربية ربانية تجعل العلاقة بينهم قائمة على أساس البر والتقوى ، فتكون بالتالى دافعاً طبيعياً نحو السمو بالحياة إلى أعلى المستويات ، وبالحضارة إلى أقصى المجالات ، وهكذا يكون المجتمع الإسلامى أمة واحدة مركبة من طبقات ولكنها (طبقات دون استغلال) كما يقول الدكتور عبدالمنعم النمر(٨) .

نقرر ذلك ونحن نعلم ما يعانيه عالم الإسلام المعاصر من أمراض تسللت إليه من مفاسد الجاهليات القديمة والحديثة ، بيد أنه لا يزال ولله الحمد محتفظاً بالكثير من الخصائص العليا التى بها كان المسلمون خير أمة أخرجت للناس .

والله نسأل لنا وللدكتور البهى العصمة من الزلل ، والسداد فى القول والعمل ، إنه خير مسئول .

---

(٨) الوعى الإسلامى - ربيع ٢ / ١٣٩٨ هـ .

تأملات فى كتاب « الله .. أو الدمار »

بين يدى الساعة كتاب (الله .. أو الدمار) من تأليف الأستاذ سعد جمعة رئيس الوزارة الأردنية أيام النكبة ، التى زلزلت العالم الإسلامى عام ١٣٨٧ هـ (١٩٦٧ م) وقد سبق أن قرأت من تصانيفه كتابيه (المؤامرة ومعركة المصير) ثم (مجتمع الكراهية) فحفزنى إعجابى بهما على تصفح هذا الثالث ، الذى لم يفارق سبيلهما فى تقصى الوقائع ، واستشفاف الحقائق بنور الله ، الذى يفيضه الإيمان على القلم النظيف ، فيهز بما يكتب القلب المفتوح لأشعة الحق .

لقد وُفِّق المؤلف فى هذا السفر إلى استجلاء كثير من الأسرار ، التى لا يتوافر الحصول عليها إلا للصابرين على المطالعة والمتابعة والملاحظة ، فهو حصيلة عشرات الكتب ، وخلاصة لدراسات نفسية على الطبيعة ، تغلغل بها إلى الأعماق من التيارات التى واجهها ويواجهها أثناء وجوده فى الحكم ، واستشرافه عن كثب للعوامل التى ألَّفت عناصر المآساة ، ثم ما أعقبها من زعازع لا تزال تمخض أعصاب الجيل فتبعثره بين مختلف المذاهب والجواذب . ولو شئت الإشارة إلى كل ما انطوى عليه هذا الجهد من الحسنات لاضطررت إلى الوقوف عند كل واحدة من صفحاته المئتين والسبعين ، التى حفلت بالقبسات البارعة ، والاستنباطات الرائعة ، والتعابير المتألقة الماتعة ، وما ذلك بالميسور فى المحدود من السطور ، فبحسبى إذن أن أوجه نظر القارئ منها إلى بعض النماذج الدالة على ما وراءها من الجمال ، لينهض إلى استقصائها بنفسه فذلك أجدى عليه وأمتع له .

فى صدر الفصل الخاص بالتبشير والاستعمار مثلا يقف المؤلف على عمل المستشرقين فى تمجيد ما يسمونه (التصوف الإسلامى) لقربه فى زعمهم من المفهومات المسيحية

(فهم لذلك يسوغون عقيدة الحلول والفناء عند الصوفية التى تدعو إلى الرهبنة والانعزال والهروب من مشاكل الحياة ، وصرف المسلمين عن فكرة الجهاد[1] ومع أن المؤلف لم يطل وقفته هناك ، فقد قدح بها رغبة القارئ فى تتبع مجارى هذه المكيدة الاستشراقية ، ليرى مدى نجاحها فى استهواء العديد من طلابهم المسلمين ، ودفعهم إلى التشبث بهذه الانحرافات ، بعد أن تمكنوا من الاستحواذ على إعجابهم ، فعادوا إلى مواطنهم يبثون فى قلوب العامة وأشباههم هاتيك السموم ، ويتعهدون تغذيتها بكل ما أوتوا من طاقة ونشاط .

ويتتبع المؤلف آثار المستشرقين والمبشرين فى أوساط البعثات التعليمية (التى عادت محملة بجائر المذهبيات الأوروبية ..) وراحت تحقق أغراضهم فى بث الخلافات الأيديولوجية التى صدعت الشمل ، ونشرت بذور التشكيك . وضرب على ذلك مثلا بطه حسين الذى حمل دعوة هؤلاء الشياطين للإنفصال عن الإسلام ، والإندماج فى بناء الحضارة الغربية بعُجَرها وبُجَرها .. ثم يخص بالذكر الشيخ على عبدالرازق ، الذى يعرضه كعينة لما يمكن لعدوى الاستشراق والتبشير أن تعمله حتى فى أفكار بعض علماء الدين . وينقل هنا رأى الدكتور محمد البهى فى كتابه (الإسلام وأصول الحكم) الذى يلخص مضمونه بأنه دعوة صريحة لتهديم النظام الإسلامى بإبطال الجهاد . واعتبار الشخصية الجماعية فى الإسلام قد انتهى أمرها بوفاة صاحب الرسالة ـ كبرت كلمةً تخرج من أفواههم ، أن يقولون إلا كذباً ـ

ولقد أحسن المؤلف صُنعاً حين نقل فى أمثال هؤلاء ، الذين خرّبهم المستشرقون والمبشرون ، شهادة (جان بول سارتر) فى مقدمته لكتاب (معذبو الأرض) المترجم إلى العربية وفيها يقول (شرعت الصفوة الأوروبية تصطفى فتياناً مراهقين ، ترسم على جباههم بالحديد الأحمر مبادئ الثقافة الأوروبية ، وتحشو أفواههم بشعارات رنانة ، ثم تردهم إلى ديارهم وقد زُيِّفوا ، واستحالوا أكاذيب حية ..)[2] وإنها لشهادة دامغة لهؤلاء الناعقين بأبواقِ الغرب يطَوقهم بعارها واحد من أساطين الهدامين الذين أسهموا فى إفسادهم .

---

(١) ص ٦٣ ط ٣ .

(٢) ص ١٢١ .

ومثل ذلك تصويره للخصاص اليهودية التى جمعت أولئك الشذاذ على إقامة إسرائيل ، حتى ينتهى بالقارئ إلى ذلك المشهد الرهيب حيث أحاطت جماهير اليهود بحائط المبكى ، يوم السابع من حزيران لتقيم صلاة النصر ، وهى تهتف بأصواتها المدوية : ليسقط .. اليوم انتهى محمد .. محمد مات وخلف بنات .. يالَثاراتِ خيبر ! !

ثم يردف ذلك العرض الفاجع بهذا التقريع الصادع : (لم يهتفوا ضد ناصر أو الأتاسى أو عارف أو الحسين ، أو غيرهم من قادة العرب وزعمائهم . لأن هدف المؤامرة هو محمد والإسلام ..) .

وإنها والله لكذلك ..

فوا محمداه .. ووا إسلاماه ! !

وبعد .. فتلك لمحات عجلى من روائع ذلك السفر لا تُغنى عن قراءته فى تدبر .. وإن عنوانه (الله .. أو الدمار) لأدل على مضمونه من أى محاولة لتعريفه ، إذ هو حشد من البراهين الحاسمة ، تلاقى على صياغتها التاريخ والعلم والأحداث ، والدراسات النفسية والاعترافات الصارخة ، على أننا نحن العرب والمسلمين ، بل والبشرية أجمعين ، مهددون ـ بعد الضياع ـ بالدمار الماحق ، إلا أن نعود إلى الله ، ونعتصم بحبله الذى لا ينقصم : الإسلام . ولكم كنا نود لو تمت له ميزة السداد ، فسلم من بعض الهفوات التى رأينا التنبيه إليها فى هذا التعقيب ، خدمةً للكتاب ، وتعاوناً على الخير الذى يهدف إليه الكاتب .

١ ـ فى القسم الخاص بالحديث عن مفاسد المبشرين من مقدمة الكتاب يعرض المؤلف صوراً باهرة عن تسامح الإسلام ، وعن آثار المسلمين فى ميادين العلم والحضارة ، ويستشهد لذلك بكلام من مؤلفات بعض المستشرقين . وهو منهج سليم ومفيد ، إلا أن بعض نقوله تكاد تتجاوز الضرورى ، بل تكاد تؤدى إلى غير ما يريد ، ونمثل على ذلك بما نقله عن المستشرق (إميل درمنجهايم) فى ص ٥٨ ، ٥٩ عن موضوع الصلة بين الإسلام والنصرانية ، ومحاولة هذا المستشرق تصوير الصلب ، الذى يزعمونه للسيد المسيح ، على أنه متفق مع تفسير بعض مفكرى المسلمين ـ كذا ـ إذ ينسب لهؤلاء القول بأن المسيح قد صُلب ولكنه لم يمت على الصليب ، بل أُنزل عن

صليبه قبل أن يلحق روحه بالرفيق الأعلى[٣] وهو زعم لا نعرف له قائلاً فى تاريخ الإسلام . اللهم إلا أن يكون من المأخوذين بترهات هذا الأفاك .. الغافلين عن حكم الله بأنهم (ما قتلوه وما صلبوه ولكن شُبه لهم ..) وقد أجمع علماء القرآن على أن المراد بالتشبيه إلقاء شبه السيد المسيح على شخص الخائن يهوذا حتى أخذ مكانه ، وهو ما أثبته برنابا فى إنجيله المعروف . ومع ذلك فإن المؤلف سامحه الله يكتفى بعرض هذه المفتريات دون معارضةٍ ولا مفاتشة سوى قوله (ليس قصدى من إيراد هذه النصوص الخوض فى مناقشات دينية أو التسليم بكل ما احتوته ..) وإنما عمد إلى ذلك النقل ليثبت مدى رعاية الإسلام للنصارى ، تألفاً لهم وتطميناً لقلوبهم . وقد كثر هذا الضرب من المجاملة لهؤلاء المواطنين وبخاصة فى هذه الأيام ، حتى كدنا نتهم بالملق ، دون أن يعود ذلك على قضايانا المصيرية بأى مردود مفيد . وأمامنا الأمثلة القاطعة على هذا الإخفاق فى لبنان ومصر والفليبين وأندنوسية ، وعشرات الأقطار التى أطبقت عليها كوابيس التعصب الصليبى فلم تراع فيها إلاًّ ولا ذمة « .. وكان الأحرى بنا والأكرم أن نعاملهم بعدالة الإسلام وصراحته ، فنخاطبهم بما خاطبهم به الله ﴿ **قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون** ﴾ (٣/٦٤) ونؤكد لهم فى تصميم حاسم أننا ملتزمون معهم أبداً بالمبدأ الآلهى الخالد ﴿ **لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ، ولم يخرجوكم من دياركم ، أن تبروهم وتقسطوا إليهم أن الله يحب المقسطين** ﴾(٦٠/٨) فما داموا سَلَمْا لنا ، مخلصين فى معاملتنا ، فلهم مالنا ، وعليهم ما علينا ، بل لهم فوق ذلك منا حق البر لهم الذى هو زائد على العدالة .. ولعمر الله إن لم يرضهم منا هذا كله فلن يرضيهم إسرافنا فى التزلف إليهم بالغاً ما بلغ ذلك الإسراف .

٢ ـ وفى القسم الأخير من الكتاب يتناول المؤلف الفاضل أوضاع المجتمع القائم فى ديار الإسلام ، فيعرض للتناقضات الماثلة بين طبقاته وحقائق الوحى ، وفى أسف عميق يتساءل : (أليس من عجائب دهرنا ومصائب زماننا أن يصبح علماء الإسلام فى بعض البلاد العربية هيئة دينية كالاكليروس مهمتها اللهاث فى مواكب الحاكمين

---

(٣) ص ٥٨ .

والركض فى ركابهم ، والافتاء لتشريعاتهم المخالفة للإسلام !) ..

وهو فى هذه الزفرة اللاذعة إنما يعبر عن ضمائر المؤمنين فى كل مكان من عالم الإسلام .. غير أنه فى صدد النقد لبعض هؤلاء العلماء يحدثنا عن واحد من أساتذة كلية الشريعة فى بلد عربى سمعه يخطب فى إحدى المناسبات الدينية فيقول : (إن محمداً ﷺ لم يرسل إلى الإنس وحدهم ، بل إلى الإنس والجن جميعاً) .

يقول المؤلف : فهالنى هذا التقرير القطعى الذى لا سند له من قرآن أو سُنّة .. ومن أجل ذلك عاد إلى كتاب الله يكرر قراءته ، وإلى الحديث الصحيح يتلوه مجتهداً ، فلم يجد دليلاً على أن رسول الله قد اجتمع برهط من الجن ليبلغهم رسالته[٤] .. ثم يأخذ فى سرد الآيات المتعلقة بذكر الجن وبرسالته ﷺ ليؤكد لنا ما ذهب إليه من نفى لدعوى ذلك الأستاذ !.

وأنا مع تقديرى الكبير لجهود المؤلف وإخلاصه العميق للحق ، أجدنى مضطراً للوقوف بجانب ذلك الأستاذ ، لأنى من المؤمنين بشمول رسالة نبينا ﷺ للثقلين جميعاً . وفى اعتقادى أن الأستاذ المؤلف أيضاً لن يتردد طويلاً حتى ينضم إلى صف المؤمنين بهذه الحقيقة ، بعد الإطلاع على دلائلها القاطعة إن شاء الله .

ولننظر إلى الموضوع من زواياه المختلفة ، ففى كلام الأستاذ حفظه الله أمور تقتضى التفصيل :

١ ـ إنه ينفى اجتماع رسول الله ﷺ بأى رهط من الجن .

٢ ـ ومن ثَم فهو ينفىِ أن يكون ﷺ قد بلغ الجن .

٣ ـ يفهم الأستاذ من قوله تعالى ﴿ **يامعشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى** ﴾ .. أن لكل من الفريقين رسلاً من جنسه ، فللإنس رسلهم من الإنس ، وللجن رسلهم من الجن .

٤ ـ ويستشهد لذلك بقوله تعالى فى خطاب محمد ﷺ ﴿ **وأرسلناك للناس رسولاً** ﴾ إذ يفهم منه حصر رسالته ﷺ بالناس دون غيرهم .

وعلى هذا فسنتناول كلاً من هذه النقاط على حدة حتى ننتهى إلى النتيجة المقنعة .

---

(٤) من تفسير ابن كثير لسورة الأحقاف .

ونبدأ بالأول فنقول ما قاله رواة السنَّة عن ابن عباس وغيره أن النفر الذين ورد ذكرهم فى سورتى (الأحقاف) و(الجن) لم يجتمعوا برسول الله بل أُوحى إليه خبرهم ، وإنما أتاه داعى الجن بعد ذلك ، فقرأ عليهم القرآن ودعاهم إلى الله عز وجل ، كما رواه البيهقى عن ابن مسعود رضى الله عنه[٥] .

وفى رواية البيهقى أيضاً عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال له : أتانى وقد جن نصيبين فسألونى الزاد ، فدعوت الله تعالى لهم ألاَّ يمروا بروثة ولا عظم إلا وجدوه طعاما) وقد أخرجه البخارى فى صحيحه بإسناد قريب منه .

وفى مسند الإمام أحمد عن علقمة عن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال له : « **أتانى داعى الجن فقرأت عليهم** » وفيه أنهم سألوه الزاد فقال : ﴿ **كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع فى أيديكم أوفر ما يكون لحماً ، وكل بعرة أو روثة علف لدوابكم** ﴾ وهذا رواه مسلم فى صحيحه عن على بن حجر عن إسماعيل بن علية به نحوه[٥] .

ومن أخبار ابن مسعود رضى الله عنه عن اجتماع رسول الله بالجن ما يرويه ابن جرير وغيره من أنه ﷺ انطلق به ذات ليلة (حتى إذا كنا بأعلى مكة خط لى خطاً ثم أمرنى أن أجلس فيه ثم انطلق حتى قام ، فافتتح القرآن ففشيته أسودة كثيرة حالت بينى وبينه حتى ما أسمع صوته) .

والقارئ لتفسير ابن كثير لسورة الأحقاف يواجه العديد من الأحاديث التى ورد فيها هذا الخبر من طرق كثيرة العدد أيضاً .. مما يقطع بأن اجتماعه ﷺ بالجن ، وتبليغه إياهم الدعوة ، قد حصل فى مرحلة تالية لاستماعهم منه دون علمه .

هذا إلى أن سورة (الرحمن) بأسرها توكيد لهذا الواقع ، الذى يتجلى فى خطاب التقلين ، وإقامة الحجة عليهم جميعاً ، بآلائه التى لا يسع أحداً من الفريقين إنكارها . ﴿ **فبأى آلاء ربكما تكذبان !!** ﴾ .

وقد روى البيهقى والترمذى عن جابر بن عبدالله رضى الله عنه قوله : (قرأ رسول الله سورة الرحمن حتى ختمها ثم قال : (ما لى أراكم سكوتا ؟ .. لَلْجنُّ كانوا أحسن

---

(٥) يراجع فى ذلك كله تفسير ابن كثير لسورة الأحقاف .

منكم رداً . ما قرأت عليهم هذه الآية ﴿ **فبأى آلاء ربكما تكذبان** ﴾ إلا قالوا : ولا بشئ من آلائك أو نعمك ربنا نكذِّب . فلك الحمد) .

أما قوله تعالى : ﴿ **ألم يأتكم رسل منكم** ﴾ فهو كقوله سبحانه ﴿ **يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان** ﴾ ومعلوم أنهما لا يخرجان إلا من أحد البحرين دون الآخر . وهى من طرائق العرب فى إعطاء حكم الواحد للأكثر لعلاقة بينهما ، وإنما الآية تقرير ملزم بايصال الرسالة إلى الثقلين دون تحديد لجنسية الرسول من أى الفريقين . لأن هذه الهُوِية قد حددت فى آيات آخر كقوله عز اسمه : ﴿ **وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحى إليهم** ﴾ .. ففى ذلك توكيد قاطع بأن الجن تابعون لرسل الإنس ، وليس فيهم رسل من جنسهم وإنما فيهم منذرون يبلغونهم رسالات النبيين من بنى آدم . ويستدل العلماء على ذلك من آية « الأحْقاف » (٢٩ ـ ٣٢) حيث نرى المستمعين القرآن من الجن ينطلقون لفورهم إلى قومهم منذرين ، فيربطون بين رسالة موسى ورسالة خاتم النبيين ، ويعلنون الأَخَلاصَ من عذاب الله إلا باتباع هذا الداعى الجديد ، المصدق لما سبقه من كتب الله والهادى إلى الحق وإلى طريق مستقيم . وهو سياق لا يدع مجالاً للريب بأن هؤلاء كانوا مؤمنين برسالة موسى عليه السلام ثم أقبلوا يكملون إيمانهم باتباع ﷺ وبذلك يسقط كل جدلٍ حول هذه القضية إذ لا يبقى مناص عن الإقرار بشمول الرسالة الخاتمة للثقلين جميعاً ، وبذلك أيضاً ينتفى الوهم بحصر رسالته ﷺ فى الناس وحدهم كما فهم الأستاذ من قوله تعالى ﴿ **وأرسلناك للناس رسولا** ﴾ لأن مساق هذا الجزء من الآية التاسعة والسبعين من سورة النساء صريح بأنه تفنيد لمغالطات المنافقين الذين لا يفقهون حقيقة الرسالة ، ويردون كل سوء يصيبهم إلى اتباعهم ـ فى الظاهر ـ لرسول الله ، فجاءت الآية ردًّا على تقولاتهم ، وبياناً لمهمته ﷺ بأنها التبليغ عن الله ، مع تنزيهه عن كل ما ينسبه إليه أولئك الخراصون .

والبحث مع مثل المؤلف لا يقتضى الإسهاب فى موضوع الجن ، وجودِهم وكونهم مكلفين وملزمين باتباع الرسالات الآلهية . فذلك أمر مفروغ منه بحكم إيمانه بالكتاب والسنُّة ، وإنما يكفى لإقناعه بالحق تذكيره بالنصوص الشاهدة له عملاً بقوله تعالى : ﴿ **إنما كان قولَ المؤمنين إذا دعُوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا ، وأولئك هم المفلحون** ﴾ (٥١/٢٤) وحسب المؤمن فى ذلك قول ربه : ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** ﴾ (٥٦/٥١) ولا عبادة إلا بشرع ، ولا شرع إلا بوحى ،

ولا وحى إلا برسول . وما إخال الأستاذ حفظه الله بعامد إلى الجدال فى الأحاديث المتعلقة بالبحث لكونها من الآحاد ، فذلك قول لا يقف أمام الحجة البينة من أعمال الصحابة فى التبليغ عن رسول الله ، وفى صحيح البخارى باب خاص فى إجازة خبر الواحد لا يدع مجالاً لمعترض يريد وجه الله .

٣ ــ وقد بقيت ثمة هفوات صغيرة ، ولكنها على ضآلتها مشوهة لجمال الكتاب ، رأينا أن نختم الكلام بالإشارة إليها رجاء أن يتداركها فى الطبعات التالية فيكمل له الأجر من الله ، والدعاء من عباده إن شاء الله .

ففى ص ١٤ من المقدمة . وأثناء تحديده لمهمة المفكر الشريف فى إطار الإصرار الصارم على قولة الحق ، يفاجئنا بهذا الكلام : (أما الصخب والكذب و... فهى ليست من صفات من يحمل قلمه كصليب يسوع ! ..) فلا نتمالك أن نتساءل فى أسى : وما شأن الصليب ويسوع فى هذا المقام ! .. وكيف سمح لقلمه أن يلتقط مثل هذا التعبير الدخيل المنافى لمعتقده الإسلامى ! ..

وفى ص ١٤٠ يقول (فكل من يدعو إلى القومية ، وينكر وجود الله ، هو حيوان فى صورة إنسان !) وأنا أستميحه عذراً للدفاع عن حقوق الحيوان ، الذى أفرط فى إهانته عندما وضعه على مستوى الملحد المنكر لوجود خالقه .. فكيف وربنا يشهد للحيوان بارتفاعه عن مكانة أولئك المسوخ حين يقول : ﴿ **إنْ هم إلا كالأنعام ، بل هم أضل سبيلا** ﴾ (٢٥/٤٤) ويستمر المؤلف فى تسفيه هذا الضرب الحقير من شراذم الكفر حتى يقول (فهو جاهل غبى مخلوق خطأً ..) وأحسب الأستاذ يريد بذلك أنه مقلوب العقل مشوه الفطرة ، إلا أن التعبير بكونه (مخلوقاً خطأ) من الأخطاء التى كنا نود أن يتنزه عنها مثل ذلك القلم المؤمن .. لأن أقل ما يفهم منه نسبة الخطأ إلى الخالق فى إيجاد هذا النوع من المخلوقات .. ومثلهُ أبعد ما يكون عن قبول هذا المضمون ، لأن خلقه تعالى هؤلاء الكفرةَ كخلقه الأفاعى والجرذان ، لا يخلو من حكمة تليق بجلاله سبحانه ، فلو سلمت الحياة من هذه الآفات لقُتِلتْ حوافز البحث فى الإنسان ، ولما كان ثمة ضرورة لإقامة المخابر والمصانع ، والآلاف من مظاهر المدنيات .

ولنختتم هذه الجولة بوقفة قصيرة حول كلمة صغيرة . ولكنها من حيث آثارها المجربة كبيرة .

لقد عُنِى الأستاذ بالعبارة المشهورة (اختلاف أمتى رحمة) فأقر نسبتها إلى الرسول

وجعل يؤكد بها يسر الإسلام ، وتقديره لحرية الفكر والعقل . وما إلى ذلك[٦] . ولو هو قد رجع إلى ما كتبه المحققون حولها لبحث عن نص آخر من الكتاب أو السنة يدعم به فكرته . ذلك لأن العبارة موضع (اختلاف) كثير ، ولم يثبت لها سند متصل عن رسول الله .

يقول السخاوى فى (المقاصد) عن بعض رواتها : جويبر هذا ضعيف جداً ، والضحاك عن ابن عباس منقطع . ثم يقول : وعزاه الزركشى إلى كتاب الحجة لنصر المقدسى مرفوعاً من غير بيان لسنده ولأصحابه ، وعزاه العراقى لآدم بن أبى إياس بدون بيان وبلفظ : (اختلاف أصحاب رحمة لأمتى) وهو مرسل ضعيف[٧] . وفى (الدرر المنتثره فى الأحاديث المشتهرة) يعقب السيوطى على العبارة بقوله : هذا يدل على أن المراد اختلافهم فى الأحكام . وقيل المراد اختلافهم فى الحِرف والصنائع) . وهذا أقرب إلى المعقول من تسويغ الإختلاف فى كل شئ . لأن ذلك مناف لروح الإسلام الذى يحذر المسلمين الإختلاف . وحسبنا فى ذلك قوله تعالى : ﴿ **ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم** ﴾ (١٠٥/٣) وأى خير يرجى من الإختلاف بعد أن جعله الله فى مقابل الرحمة إذ يقول سبحانه ﴿ **ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك** ﴾ (٨١ ـ ١١٨/١١٩) ولعمر الحق لو أن الأستاذ استحضر فى ذهنه ما يعلمه من واقع المسلمين وما يعانونه من دواهى الاختلاف ، وما أدى إليه من تفرقهم حتى فى العقائد ، لم يأذن ليراعه بإثبات هذه الكلمة ، ولتذكر أن موقف الإسلام من تقدير الفكر والعقل لا يعود إلى الاختلاف بل إلى التعاون على البر والتقوى ، وبذل الوسع فى إصابة الحق ، والتزام القول السديد ، حسب توجيهات الكتاب المجيد .. ولا بأس بعد ذلك فى تباين الفهوم ، وتفاوت القُدَر ، ففى هذا متسع للمواهب غير محدود .

وأخيراً .. لقد سبق أن ذيلت آخر صفحات (مجتمع الكراهية) بالكلمات التالية :

« .. فى هذه اللفتات حقائق ووثائق ، ولكن أروع ما فيها هو صدقها وحرارتها . »

فليجزك الله يا سعد عنا كل خير ، وليغفر لك هفواتك التى لم ترد بها إلا الخير ..

عاليه ـ لبنان ١٣٩١/٧/١٩ هـ

---

(٦) ص ١٥٦ .

(٧) « المقاصد الحسنة » للسخاوى ص ٢٦ و٢٧ ط الحلبى والمثنى ١٩٥٦م

وأكرر فى كتاب اليوم ما قلته فى كتاب الأمس .. سائلاً الله جل وعلا أن يهدينا لما اختلف فيه الناس من الحق بإذنه ، فإنه الهادى من يشاء إلى صراط مستقيم .

المدينة المنورة ١٣٩٧/١١/٩ هـ

تعقيب على تعقيب

سيدى الأستاذ الكبير الشيخ محمد المجذوب ..

السلام عليكم ورحمة الله وبعد : قرأت فى العدد الثالث ـ السنة العاشرة من مجلة « الجامعة الإسلامية » تأملاتكم المضيئة فى كتابى « الله أو الدمار » وقد سعدت أيما سعادة بالتفاتكم إلى جهدى الضعيف ، وتحفيكم به ، وتأنيكم فى دراسته ونقده . والله أسأل أن ينفع بكم ويحسن إليكم قدر إفادتى من تصويباتكم التى تلقيتها بأدب الطالب المجتهد أمام أستاذه القدير .

غير أنى أرجو أن يتسع صدركم لنقطة ، وأخرى ، بدا لى أن أدفع إليكم برأيى فيهما رغبة فى الاستفادة إن شاء الله :

أما الأولى : فمسألة الحديث « اختلاف أمتى رحمة » : فقد جعلت وكدى ـ منذ ألقى الله سبحانه نور الإيمان فى صدرى ـ تبصير أجيالنا الناشئة بأن خلاص هذه الأمة منوط بالرجوع إلى أصلها .. وأن فى مقدمة تلك الأصول الدعوة إلى العلم . إذ هو طلبة المؤمن أخذه حيث وجده لأنه نتاج تراكمات حضارية تاريخية مستمرة لا تختص به أمة بعينها . وغاية ما يجب أن نسعى فيه الجمع بين نور الإيمان وهدى العقل .. بين الأصالة والمعاصرة ، على نسق متناغم مطرد فى إطار الفكر الدينى الإسلامى . والأستاذ الجليل أكثر منى علماً وأوسع اطلاعاً فى أن مصيبة هذه الأمة أتتها من انغلاق باب الاجتهاد فى المتغيرات والفروع مع التمسك بالثوابت والأصول ، مدة تزيد على ستة قرون ، انطوى فيها ألق الإسلام بين جهل أبنائه وعجز علمائه وانصرافهم إلى اجترار اجتهادات السلف ، وما طرأ على اجتهاداتهم من دخل وتزييف دون إعمال العقل فى ما انتهى إلينا بروح العصر .. وبذل الوسع ـ كما قلتم فضيلتكم ـ فى إصابة الحق حسب توجيهات

الكتاب المجيد ، ولا بأس بعد ذلك فى تباين الفهوم ، ففى هذا متسع للمواهب غير محدود ..

أما الثانية فهى « قضية الجن » .. وهى قضية غيبية علمها عند ربى ، نؤمن بها ولا نفهمها لأنها ككل القضايا الغيبية الأخرى تفوق ذرع عقولنا وتعدو قدرات حواسنا وقد أمرنا ربنا أن لا نخوض فيما لا علم لنا به ، ولعل فتح باب النقاش فى كيفية « الاتيان والتلقى ، وتبلغ الدعوة أو تبليغها » فى هذه الظروف التى تخوض فيها أمتنا الإسلامية معركة بقائها أو فنائها ، هو ترف « بيزنطى » لا يجوز أن نخوض فيه أو أن يشغلنا عن معالجة مشاكل الإنس قبل الجن ! كيلا يصبح مثل هذا النقاش الذى لا يجدى من دون الله ونبيه ودينه شيئاً قليلاً أوكثيراً .. والإلحاح فيه ، ونحن نواجه الغزو الكافر من كل حدب وصوب ـ تعرضاً لمظان السوء . ومدخلا للشك والتشكيك .

بقيت كلمة صغيرة حول تعبير « صليب يسوع » :

فيسوع يا سيدى هو عيسى بن مريم عليه السلام وصليب يسوع تعبير رمزى عن أشد أنواع المكابدة ، والمعاناة فى سبيل الدعوة إلى الحق ..

أصلح الله لكم ، وأصلح بكم ، وجعلكم للحق هادياً وللخير داعياً .

المخلص ـ سعد جمعه

تقدير وتذكير :

من حق الكاتب الفاضل أن نشكره على هذا التعقيب الهادىء . وما نرى داعياً لمزيد على ما قدمناه فى تعقيبنا على كتابه النفيس ، إلا كلمة صغيرة هى أننا لم نثر موضوع الجن ابتداء ، بل رأينا الحديث يثار حوله بطريقة لا تتفق مع الثابت من حقائق الوحى ، فكان من موجبات الأمانة أن نقول فيه مالا عذر فى كتمانه .

أما (صليب يسوع) فهو واحد من مصطلحات دخيلة لا ينبغى أن نسمح لها بالتسلل إلى الأدب الإسلامى .. وما أكثر هذه الدخائل التى تهاجم اليوم أقلام المؤمنين وألسنتهم تحت مظلة (التقدم) و (التجديد) ! وأقرب الأمثلة على ذلك نسبة (الفعل) إلى الطبيعة ، حتى لنرى من يقول (الطبيعة عملت) و (الطبيعة زودت) و

(الطبيعة وجهت) ولا نغالى إذا قلنا إن هذا الشذوذ قد تسرب حتى إلى أقلام بعض الطبيين ، دون أن يفطنوا إلى أنهم بذلك يؤلهون الطبيعة من حيث لا يعلمون .

ومثل الأستاذ سعد جمعه من أحق المفكرين بسد الباب فى وجه هذه الذرائع المريبة والله الموفق ..

محمد المجذوب



أحكام يرفضها التحقيق

حول إبراهيم عليه السّلام والبيت العتيق

فى العدد المزدوج ١٠ ـ ١١ لعام ١٣٩٨ هـ من (المجلة العربية) بحث حارٌّ بقلم الدكتور حسن ظاظا ـ أستاذ اللغات السامية فى جامعة الاسكندرية ـ يتقصّى فيه مؤامرات اليهود التاريخية على فلسطين ، وقد وفق فى عرضه مجهودات مفكريهم الشيطانية لزرع ما يريدونه من تلك السموم فى أذهان أجيالهم ، حتى استحالت الأفكار أخيراً واقعاً يتمثل فى الشجرة الخبيثة (إسرائيل) .

على أن البحث ، على حرارته وكثافته ، لم يخل من عثرات صرفته عن الجادة إلى منعطفات كان خيراً له لو لم يُعرِّج عليها .. ولعل الحافز له على ذلك هو حصره مجال الرؤية فى نطاق التصور القومى ، فهو يتحدث عن اليهود كجنس يقابل جنساً ، وكان الأولى به محاكمة النفسية اليهودية فى حدود القيم العليا التى يُعتبر اليهود أكابر خصومها على مدى التاريخ ، ولو فعل ذلك لتدفقت عليه الأدلة الشاهدة من كل بقعة عَبَرَ بها اليهود ، ومن كل مجتمع تسلل إليه الفساد اليهودى فى الشرق والغرب ، ومن القديم والحديث ، على السواء .

وكانت النية فى كتابة (تعقيب) اليوم متجهة إلى عدد من الأغاليط تعرض لها عدد من المشتغلين فى العلم ، ولكن شاء الله أن أقع على مقال الدكتور الظاظا هذا فى العدد المزدوج ، ثم علىٰ تتمته فى العدد التالى له ، فلا أملك إلا الإنصراف إليه ، وارجاء ما سواه إلى مناسبة أخرى .

وها أنذا مورد تلك العثرات مع ملاحظاتنا حولها واحدة إثر الأخرى :

أ ـ أول ما يواجه القارىء فى ذلك البحث ما يحسه من تركيز الكاتب على تفنيد الزعم الذى يريد أن يلحق أبا الأنبياء إبراهيم عليه السلام بالنسب اليهودى ، إذ راح

يستنبط من نشأته فى أطراف بادية البصرة ، الدليل الحاسم على انتفاء العبرية والبابلية عنه نهائياً .. فإذا ما ثبت له هذا الانتفاء لم يبق إلا الحكم بعروبته ، وإذن فليس إبراهيم عبرياً ولا بابلياً ولكن عربى عرقاً ودماً ولساناً .. ونحن لا يعنينا هنا أن نجادل فى هُوية الأرض التى درج عليها خليل الله عليه السلام فما ذلك مما يتصل بغرضنا فى هذا التعقيب ، وإنما نذكّر الدكتور الفاضل بأن أفحم رد على مزاعم اليهود فى شأن هوية إبراهيم ، إنما هو فى شهادة الذكر الحكيم ، الذى يقول لأهل الكتاب جميعاً : ﴿ **ماكان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً ، وما كان من المشركين ..** ﴾ وكيف يكون عبرياً ولم تكن العبرية قد وجدت بعد ، وأين هو من النصرانية وقد سبقها بألفى سنة ! .

أما العروبة من حيث هى هوية لجنس ، فما كان لها من ذكر فى أيام إبراهيم ولم يحدث لها تجمع قومى قط يستحق اسم الأمة إلا بعد توحيد الإسلام للجزيرة العربية .. فيبقى النسب اللسانى وهو الحقيقة الحاسمة ، لأن لغة سام بن نوح عليه السلام ظلت فى هذا الوطن قروناً محافظةً على أصولها ، فلم تختلف بها الألسنة إلا عقيب تباعد أصحابها وتفرقهم فى أكناف الجزيرة .. كما تختلف لهجات العرب اليوم حتى لا يفهم جزائرى شامياً ولا يمانٍ مغربياً إلا أن يرجعوا إلى لغتهم الأم .

فلغة إبراهيم عليه السلام هى لغة سام ، وهى لغة العرب التى بها نزل كتاب الله على قلب ابنه محمد صلوات الله وسلامه عليه ، ومع ذلك فما نسميه عربياً ، لأن اللغة لم تكن قد اكتسبت هُوية الجنس فى أيامه ، ولن نجد لأبى الأنبياء نسباً أكرم وأجل وأشرف من كونه حنيفاً مسلماً ، كما سماه الله .

على أن ثمة فجوة فى تتبعه جرائر أولئك الشياطين ماكان ينبغى أن يُغفلها كما فعل ، وأريد بها تسلل أولئك المفسدين إلى الفكر العالمى عن طريق المؤسسات السرية التى خدعوا بها (العميان) من مختلف الشعوب ، حتى جروهم مخدّرين إلى الكدح لتنفيذ ما خططوا له من اغتصاب فلسطين ، ومثل الدكتور الظاظا فى تخصصه وبعد نظره لا يُتوقع أن يجهل دور الماسونية وعصائب النور والروتارى وما إليهنّ من فخاخ اليهود فى قيام إسرائيل .. ولا سيما بعد الخطاب الذى تلقاه أخيراً مجلس الأوقاف الإسلامية فى القدس من كبير محافل الماسونية فى الولايات المتحدة والذى يعرض على المجلس مئة مليون

دولار ، مقابل التخلى عن المسجد الأقصى ، ليعيدوا مكانه هيكل سليمان . وقد فضح أمر هذا الخطاب فى بعض الصحف فضيلة الشيخ عبد الحميد السائح أيام كان وزير الأوقاف والمقدسات الإسلامية فى الأردن[1]

ب ـ ويتوسع الكاتب فى الاستدلال على ما ذهب إليه من عربية أبى الأنبياء عليه السلام فيقول في المقطع نفسه : (والدليل على هذا أنه اختار موضعاً عربياً آخر لإقامة أول بيت وضع للناس ، وكان اختياره هذا فى قلب بلاد العرب وفى مكة المكرمة[2] .

ان ههنا لدعوى خطيرة لا يملك الكاتب عليها من دليل سوى الظن الذى لا يغنى من الحق شيئاً .. فإبراهيم فى هذا الادّعاء هو صاحب الفكرة فى إقامة البيت العتيق ، وهو الذى اختار مكة لتكون محج الناس إليه ! . ولن يجد القارىء عذراً لمفكر مسلم يسمح لنفسه بإرسال مثل هذه الأحكام ، وأمامه كتاب الله ينطق بالحق ، فيقرأ فيه قوله سبحانه وتعالى ﴿ **وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت ألّا تشركْ بى شيئا وطهر بيتى للطائفين والقائمين والرُّكَّع السُّجود** ﴾ ٢٢/٢٦ .

أجل يا سيادة الدكتور إن الذى أمر إبراهيم بإقامة البيت وحدد له مكانة فى قلب بلاد العرب ، بل فى سرة الدنيا كلها ، كما ثبت بالكشف العلمى ، إنما هو الله الذى جعل من الحج إلى هذا البيت معجزة الأبد ، يتلاقى حوله البشر من كل فج عميق ، ليتذكروا فى ظله أصلهم الذى حجبته العصبيات ، ويستعيدوا فى رحابه وحدتهم التى مزقتها الشهوات ، وما كان إبراهيم سوى منفذ مخطط وضع للناس من فوق سبع سموات .

جـ ـ فإذا ما انتهى البحث إلى ذكر المسيح عليه السلام فاجأنا الكاتب المفضال بادِّعاء آخر لا يقل غرابة عن سالفه .

يقول الدكتور تحت عنوان (موقف اليهود من المسيحية) بعد هذا تظهر أكبر هزة فى تاريخ اليهودية مع ظهور السيد المسيح . والعمل الذى عمله المسيح ، وجرَّ بِهِ على نفسه كراهية اليهود جميعاً هو أنه أمر حوارييه أن يبشروا بشريعة الله بين الأمم الأخرى ...

---

(١) انظر مجلة (الوعى الإسلامى) عدد رجب ١٣٨٥ هـ .

(٢) ص ١٤٠ عمود ٣ .

وكانت هذه أول مرة يكسر بها عيسى بن مريم الاتفاق الذى تم بين كهنتهم على احتكار الدين [٢] ..

ويريد الدكتور باحتكار الدين قصر رسالة موسى على بنى إسرائيل وحدهم . وهو أمر يبرىء منه موسى لأنه يعتبر دعوته عالمية ، بدليل (أنه قام فى وجه فرعون ، ودعاه إلى الإيمان بالله الواحد) [٣] .

من أجل ذلك يرى الدكتور فى عمل السيد المسيح خروجاً بالدعوة من نطاق بنى إسرائيل الاحتكارى إلى المنطلق العالمى .

وأقل ما يقال فى مثل هذه لآراء أنه لم يرجع فيها إلى وحى ولا علم ، وكان أحرى بمثله أن يتذكر بالأقل أن الموضوع فوق مستوى التَّظَنِّى ، لأنه من متعلقات الرسالات الإلٰهية فلا علم لأحد بها إلا عن طريق الخبر المعصوم .

والمعلوم بالضرورة لدى أهل التحقيق أن كل رسول إنما كان يبعث فى قومه مقصوراً عليهم ، يستوى فى ذلك موسى وعيسى وسائر إخوانهما النبيين لم يُستثن من هذه القاعدة سوى خاتمهم محمد ، عليه وعليهم صلوات الله وسلامه أجمعين ..

فالله تبارك اسمه يقول : ﴿ **وإلى عاد أخاهم هودا** .. ﴾ ﴿ **وإلى ثمود أخاهم صالحا** .. ﴾ ﴿ **وإلى مدين أخاهم شعيباً** ﴾ [٤] .. وهذا موسى عليه السلام يقول لقومه ﴿ .. **لِمَ تُؤذوننى وقد تعلمون أنى رسول الله إليكم** ﴾ [الصف : ٥] وعيسى عليه السلام يقول ﴿ **يا بنى إسرائيل إنى رسولُ الله إليكم** ﴾ [الصف : ٦] فلما بُعث خاتم النبيين ﷺ ، أعلمه ربه بعالمية رسالته قائلا : ﴿ **وما أرسلناك إلا كافة للناس** ﴾ ٢٨/٣٤ . وأمره أن يقول للبشرية كلها : ﴿ **يا أيها الناس إنى رسولُ الله إليكم جميعاً** ﴾ ٧ / ١٥٨ . وفى الصحيحين من حديث جابر بن عبد الله : قال رسول الله ﷺ « ... **وكان النبى يُبعث إلى قومه وبُعثتُ إلى الناسِ عامةً** » وهو واحد من أحاديث كثيرة فى هذا المعنى .

وهكذا ظلت البشرية موزعة على قيادات النبيين حتى جاء خاتمهم الأعظم ﷺ ، فوجب عليها أن تنضوى بأسرها تحت لوائه ، فكان منها قسم سعد بالإيمان به

(٢ و ٣) ص ١٤١ .

(٤) سورة الأعراف .

فهم أمة الإجابة ، وكان منهم مخلَّفون رفضوا نور الله الذى جاءهم به فضلوا فهم لا يهتدون سبيلا .

وليس معنى تخصيص الرسل بأقوامهم أن ثمة تعدداً فى جوهر الدين ، بحيث يكون لكل نبى دين مباين للآخر ، كما يزعم أعداء الحق ، فدين الله واحد هو الإسلام له سبحانه ﴿ **إن الدين عند الله الإسلام** ﴾ ٣ / ١٩ . ﴿ **ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يُقبلُ منه** ﴾ ٣ / ٨٥ . والدين الخاتم ليس سوى جماع الدين الحق ، الذى أرسل به تعالى رسله جميعاً ﴿ **شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك ، وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى : أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه** ﴾ ٤٢ / ١٣ .

وإنما اقتضت مشيئة الحكيم العليم جل جلاله أن يراعى فى رسالاته أحوال عباده ، فكان كل نبى يبعث فى قومه مصدقاً رسالة السابقين والمعاصرين واللاحقين من إخوانه ، لا تختلف رسالة أحدهم عن رسالة الآخر إلا بما يخص به الله الأقوام من تشريعات تيسر لهم سبيل الخير ، وتضعهم على المحجة التى تحميهم من بغى بعضهم على بعض ، وبذلك يقتربون تدريجياً من الصيرورة إلى التعارف الذى يضيّق مسافة الخُلف ، حتى إذا أطل عهد الرسالة الخاتمة كانت البشرية قد أصبحت مؤهلة للتلاقى على الوحدة العالمية .

ولو رجع الدكتور الفاضل إلى أسفار أهل الكتاب عتيقها وجديدها ـ لرأى هذه الحقيقة ماثلة فى العديد من النصوص ، وليقرأ هناك فى إنعام تصريح السيد المسيح بأنه إنما بعث لِخراف بنى إسرائيل الضالة . فهو إذن إليها أرسل وإياها يدعو ..

على أن هذا لا ينافى أن يقوم النبى بتبليغ بعض الأقوام من غير أمته إذا رأى فيهم بعداً عن مهيع أنبيائهم السابقين ، وبخاصة فى ما يتصل بأصول الدين التى بعث الله بها أنبياءه جميعاً . لأن إهمال مثل هؤلاء مؤدٍّ إلى شيوع مفاسدهم فى المجاورين لهم .. ومن هذا القبيل قصة الرسل المذكورة فى سورة (ياسين) على مذهب من يقول من المفسرين بأنهم موفدون من قبل المسيح بن مريم عليه السلام .

وأما الاستدلال بدعوة موسى عليه السلام فرعون على عالمية رسالته فليس بشىء ، لأن موسى مواطن فى بلد فرعون ، فكل سكان ذلك البلد قومه ، وقد رأينا يوسف عليه

السلام من قبله يعرض الإسلام على نزلاء سجنه لأنه موجود بين ظهرانيهم ، فلا عذر له فى السكوت عن هدايتهم .

ويبقى هنا ما ذهب إليه الكاتب الفاضل من القول بأن كراهية اليهود للسيد المسيح إنما تفجّرت من تجاوزه بالدعوة حدود قومه إلى الأمم الأخرى .. والحق أن كراهيتهم للمسيح ليست بدعاً فى تاريخ قوم آذوا موسى ، واتخذوا العجل إلّهاً ونبيُّهم بين أظهرهم ، وبلغوا من الطغيان إلى حد استباحة دماء الأنبياء ، وكادوا يفعلون ذلكَ بخاتمهم يوم بنى النضير ، لو لم يحفظه الله من غدْرهم ، حتى كان فتح خيبر ، فدست ابنة الحارث ـ زوجة سلَّام بن مشكم ـ له السم فى ذراع الشاة ، فلم يزل يحمل أثره حتى أتم الله به الرسالة للثقلين ، فأذِنَ آنذاك للسم اليهودىّ بأن يعمل عمله فى أبهره الشريف ، بأبى هو وأمى ، وبذلك كتب الله له الشهادة فكان كإخوانه من النبيين الذين قتلهم غدر اليهود ..

د ـ وأخيراً . لقد وقف الكاتب الفاضل القسم الكبير من مقاله على إبراز آثار الثقافة الإسلامية والعربية فى الفكر اليهودى وما إليه من الفنون ، ولما أراد الحديث عن الشعر بدأ بمزامير نبىّ الله داود عليه السلام فقال : (حتى الشعر فإنهم يقولون : برع اليهود فى الشعر قديماً براعة لم يكن يدانيهم أحد فيها . واشتهرت من ذلك (مزامير داود) التى كانت مجموعة من التسابيح لله سبحانه ، وكانت شعراً له موسيقا معينة[5] .

هكذا يعرض الدكتور فكرته دون تحفظ ولا فصْل ، حتى لَيُحِسُّ القارىء أنه يصدر حكماً على هذه المزامير بأنها من عمل داود .. ونحن لا نجادله فى صياغة المزامير سواء كانت شعراً أو نثراً .. وإن كنا نرجح لها صفة النثر ، لعموم قوله تعالى فى القرآن العظيم فى حق نبيه محمد ﷺ : ﴿ **وما علمناه الشعر وما ينبغى له** ﴾ ٣٦ / ٦٩ . فكما أن الشعر لا ينبغى لمحمد ﷺ ، فهو بالعلة نفسها لا ينبغى لأى نبى غيره . وما فى ذلك مهانة للشعر ، بل لأن للشعر مجالات للتعبير لا تهتم بالموضوعية الثابتة بقدر ما تهتم بالتصوير الوجدانى المتموج ، وبذلك يباح للشاعر مالا يباح للنبى والعالم من تبدل المواقف تبعاً لتبدل الأحوال النفسية .

---

(٥) ص ١٤٢ ع ١ .

أجل نحن لا نجادل الكاتب فى نوعية الصياغة لأسلوب المزامير ، وإنما نناقشه فى ما يفهم من كلامه انها من عمل داود ، لا من وحى الله إلى داود ، وهذا ما يتنافى كلياً مع الحقيقة التى تطالعنا فى قول ربنا تبارك وتعالى : ﴿ **وآتينا داود زبورا** ﴾ ٤ / ١٦٢ . نقول هذا بغض النظر عن كتاب المزامير المنسوب إلى داود فى مجموعة العهد القديم ، إذ هو كغيره من وثائق أهل الكتاب خاضع للنقد ورد كل مالا يقوم على صحته الدليل .

والله حسبنا ونعم الوكيل .



حول "قصة من يوغوسلافيا"

اطلعت على ما كتبه فضيلة الحاج سليمان كيمورا تعقيباً على (قصة من يوغوسلافية) التي سبق أن نشرتها لى (المجتمع) فى العدد ١٨٧ ولا بد فى التعقيب على هذا التعقيب من تلخيص ما تضمنه كلام فضيلته حول هذه القصة، وها أنذا أوجزه فى النقاط التالية :

١ - يعتبر فضيلته أن تقدير رابطة العالم الإسلامى للتطورات الإصلاحية الطارئة مؤخراً على حياة المسلمين فى يوغوسلافية دليل على بطلان ما تضمنته القصة عن ألوان الاضطهاد الذى عانوه فى ظل الشيوعية، ويدعم حجته هذه بإطراء ما كتبه سماحة مفتى لوبية[1] فى صحيفة الرائد، وفيه يقول : إن يوغوسلافية قلعة الإسلام فى أوروبة .. ومؤهلة لأن تكون منطلقاً لنشر الدعوة الإسلامية هناك ص ٢ و ٣.

٢ - ومن مستنداته فى الرد على القصة حرية العبادة والوعظ وإقامة المساجد التى بلغت خمسمئة منذ الحرب العالمية الثانية. ونشوء معهدين لتخريج الأئمة والوعاظ والمرشدين والعديد من الكتاتيب - لا المدارس - التى تتولى تعليم أطفال المسلمين أصول دينهم ... ثم توقع إنشاء كلية إسلامية فى سارايفو ص ٣.

٣ - وفى الرد على ما تضمنت القصة من إشارة إلى ما كان عليه الأمر من حظر السلطات الشيوعية اقتناء المصاحف، يشير إلى ما يطبع اليوم من نسخ القرآن فى يوغوسلافية وبيعها علنا، وترجمته إلى لغة المسلمين، وظهور ثلاثة أجزاء من

---

(١) لوبية بالواو هو الاسم العربى الصحيح.

تفسيره ، وأن ترجمة للجزء الأول من صحيح البخارى توشك أن تصدر .. وانتشار بعض الصحف والكتب الإسلامية هناك .

ونبدأ الآن بعرض ملاحظاتنا على هذه النقاط ، التى هى أهم مستندات الشيخ فى محاولة التشكيك بما عرضناه من حقائق لا تقبل نقضاً ولا نقداً وبالله التوفيق .

١ ـ إن تقدير الرابطة الموقرة جاء نتيجة لزيارة بعض الفضلاء الذين أوفدتهم إلى يوغوسلافية فعادوا يعلنون ما شاهدوا فى المجال الذى أتيح لهم زيارته ، ثم من تصريحات الأخوة اليوغوسلافيين الذين اتصلوا بالرابطة مباشرة ، وعلى رأسهم فضيلة الحاج كيمورا . وهكذا القول فى إطراء سماحة مفتى لوبية لوضع المسلمين هناك .

ومع احترامنا التام لمثل هذه الشهادات نذكر فضيلته بحقيقة لا تفوته ، وهى أن المألوف فى الدول المضطهدة للإسلام أن تقيم واحات خاصة فى جحيمها ، تدعو لزيارتها كبار المسلمين ، حتى إذا ما شاهدوا مظاهر النعيم فى تلك الواحات أبدوا بحق رضاهم عما شاهدوه ... وهى فى الواقع زيارات محدودة وعابرة لا تكفى لاستيفاء الصورة الكاملة للوضع الذى يراد دراسته ، وإنما تصور الواقع الذى واجهوه وأعد لاستهوائهم . وقد حدث هذا لوفود إسلامية زارت بعض المناطق فى الفيلبين وروسية . ولقد بلغ من أثر هذا التكتيك الدقيق أن وفداً من كبار المشايخ زار موسكو بدعوة رسمية ، ثم عاد ليعلن بلسان رئيسه ـ رحمه الله ـ أن الذى رآه من روعة الإسلام فى روسية لا يكاد يجد مثله فى بلد إسلامى .. ووقف أحد أعضاء هذا الوفد فى مسجد شهير يخاطب ستالين من على منبره محيياً إياه باسم مسلمى بلده كلهم .. وذات يوم أوفدت مؤسسة إسلامية شهيرة وفداً لتقصى الحقائق عن مسلمى الحبشة ، فعاد مشحوناً إعجاباً بما شاهده من حرية المسلمين وتقدمهم فى ظل الطاغوت الهيلاسلاسى .. ثم جاءت الأحداث الأخيرة تحطم بعض أغلال المسلمين ، ليعلنوا فى تظاهراتهم الضخمة أنهم محرومون من أدنى حقوق الإنسان ، حتى حق التملك فى قطر يؤلفون معظم سكانه ..

٢ ـ أما موضوع حرية العبادة والوعظ فهو الركيزة التى تبنى عليها الشيوعية دعاتها بين سذج المسلمين فى كل مكان ، إذْ تؤكد فى كل مناسبة وبمختلف المظاهر أنها

لا تمنع أحداً من أداء شعائره الدينية ، ولكنها فى الوقت نفسه تخنق كل صوت يدعو إلى الإسلام ، أو يتكلم عن محاسنه وحلوله لمشكلات المجتمع محلياً وعالمياً .. وفى روسية وألبانية وبلغارية يراقَب كل ذى صلة بدور العبادة ، فتضاعف له العقوبة ، التى قد تبلغ حدود منعه العمل أو حرمانه الوظيفة . وفى بلغارية خاصة لا يسمح لطفل بدخول المدرسة إلا بعد تخليه عن كل صفة إسلامية مميزة ..

أما السماح للمسلمين بإنشاء المساجد والمعهدين والكتاتيب ، والتطلع إلى إنشاء كلية ، فليست إلا دليلاً على التعديلات الحديثة التى ألمت بالنظام الحاكم نفسه فى يوغوسلافية ، بعد أن أثبتت التجارب إفلاس الماركسية نهائياً ... فكان من جراء ذلك حدوث تغييرات عامة فى كل مرفق حتى فى الملكيات الشخصية .

٣ ـ وفى كلام الشيخ عن حرية النشر للمصاحف والتفاسير ونحوها ينسى سامحه الله أن حديثنا عن حظر المصاحف فى يوغوسلافية إنما يصور واقع ما قبل التطورات الجديدة .. وهو أمر لا يستطيع أحد مواجهته بالإنكار ، لأن ملايين المسلمين يعرفونه . ويحسن أن يعلم فضيلته أن الحادثة التى تضمنتها القصة عن حظر اقتناء المصاحف ، وعن امتناع الشيخ ـ أحد رجال القصة ـ عن تسلم النسخة من جمال عبد الناصر والإكتفاء بالسجادة ، حادثة حقيقية لا محل فيها لزخرف الخيال ، وقد تلقيناها من ثقة عن ثقة ..والحاج كيمورا نفسه حفظه الله يؤكد ذلك إذ يعلن أكثر من مرة فى تعقيبه (إن وضع المسلمين أحسن بكثير مما كانوا عليه ، بفضل المساواة التى حصلوا عليها فى المجتمع اليوغوسلافى الجديد ..) ويعتبر من الأهمية التاريخية (أنه اعتُرِف رسمياً مؤخراً بكون المسلمين فى جمهورية البوسنة والهرسك شعباً إسلامياً مستقلاً له تاريخه وشخصيته الإسلامية وحضارته ...) ويقول فى التعليق على ذلك : (وهذا الإعتراف يعنى أن المسلمين قد تغير وضعهم واعتبارهم ...) إذ أصبحوا بعد ذلك شعباً (يتمتع بجميع ما يتمتع به سائر الشعوب اليوغوسلافية .) (ولهم اليوم كيان دينى .. يجد فى ظروف يوغوسلافية الجديدة ما يمكنه من التطور والتنمية ..) .

أليس هذا اعترافاً صريحاً بصدق الصورة التى عرضناها لمسلمى يوغوسلافية فى أعقاب الحرب العالمية الثانية ، وقبل الإصلاحات الجديدة التى ردت لهم بعض

اعتبارهم فى بعض المناطق ! .. ونقول بعض لأن للمسلمين وجوداً غير قليل خارج نطاق البوسنة والهرسك .. وعبارة الشيخ توحى بقصر هذه الإصلاحات على مسلمى هاتين (الجمهوريتين) دون سواهم .

* * * *

ونرى من حقنا بعد هذا التعقيب الموضوعى أن نذكر فضيلة الحاج كيمورا بالحقائق التالية :

١ ـ فى قصتنا صور عن مجازر رهيبة ذهبت بمئات الألوف من مسلمى يوغوسلافية فى أعقاب انتصار الحلفاء ، وتغلب القوات الشيوعية على مقاومة المسلمين فما رأيه فيها ؟ .. وهل لديه اعتراض على صحتها !

٢ ـ وفى القصة كذلك خبر عن خمسة وأربعين من لاجئى المجاهدين اليوغوسلافيين الذين تخلفوا عن شهداء الكتيبة التى حاربت فى فلسطين ، فاستقروا فى مصر حتى سلمهم جمال إلى تيتو ، الذى نفذ فيهم حكم الإعدام ... فهل عند الشيخ ما يجرح هذا الخبر ، وقد نشر من قبل فى مجلة (حضارة الإسلام) الدمشقية بقلم واحد من كبار مسلمى يوغوسلافية ! ..

٣ ـ وفى القصة خبر عن تلك المدينة التى استأصلت المذابح الشيوعية عشرين ألفاً من مسلميها ، فلم تُبق منهم سوى عجوزين يعيشان فى مسجدها الوحيد ، الباقى شاهداً على المذبحة بمنارته المقطوعة ، وأبوابه المغلقة ـ ولعلى غير مخطىء إذا سميتها (منار) .

وهى مأساة نقلتها عن ثقة من إخوة لنا يعيشون فى أوروبة وقد مر بالبلد ، واجتمع بالعجوزين ، وعرف منهما قصة المجزرة ، ولولا خشيتى عليه طاغوت الإشتراكية فى بلده العربى لأبرزت اسمه ولقبه العلمى . فما موقف الشيخ سامحه الله من خبر هذه المجزرة وهى أحق بالكلام من كل ما أشار إليه ! ..

وبعد فإن للشيوعية تكتيكاً شيطانياً يستهدف تدمير الإسلام من طريقين . أما أحدهما فإلغاء التعليم الدينى ، وإغراق الجيل الجديد بأمواج السموم الألحادية ، حتى يفصله نهائياً عن مصادر دينه ، فلا يبقى لديه من آثاره سوى ما يتلقفه من صور مهزوزة

يقتسها عن الآباء والأجداد ، فى جو من الحذر الشديد ، ودون أى تعمق لحقائقه ..

وأما الثانية فهى تصفية الجيل القديم عن طريق إهماله حتى يلتهمه الموت .. فينتهى الإسلام بانتهائه ....

ولقد شاء الله أن تشدد المآسى ركائز الإيمان فى قلوب الكثيرين من شعبنا المؤمن فى يوغوسلافية فحفظ بهم دينه ، حتى انتهى بهم إلى بعض الفرج الذى يستمتعون به اليوم .. ولكن هذا لا يعطى المدافعين عن السلطات الشيوعية أى حق فى ادعاء رعايتها للإسلام ، لأن الواقع أن الإفساد الشيوعى قد سجل كثيراً من النجاح فى صفوف الجيل الجديد منهم .. وأقرب دليل هو أن إلى جانب الملتزمين بالإسلام جموعاً من أبناء المسلمين الذين لا يتصفون بأى انتماء إليه ...

وبين يدى الآن العدد /٥/ من صحيفة (فيالا ـ الكلمة) الصادرة بالألبانية فى مدينة (برشيتنا) بولاية قوصوة اليوغوسلافية لشهر آب سنة ١٩٧٢ وفى صفحتها الأخيرة /٢٠/ مقال خبيث عن (نشأة الإسلام) وعن (ياسين قلب القرآن) كتبه ابن مسلم يوغوسلافى هو البروفوسور (فهم كلمتدى) .. وإنه لمحشو بالطعن على القرآن العظيم ، وعلى الرسول الكريم . وها أنذا أنقل ترجمة بعض فقراته :

١ ـ أن محمداً ـ ﷺ ـ مع ورقة بن نوفل وأبى بكر بن أبى قحافة وزيد بن حارثة وعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص وطلحة بن عبيد الله وغيرهم ، تعاونوا على ابتداع الإسلام .

٢ ـ أن محمداً ﷺ خدع أصحابه فأغراهم بإعتزال الدنيا والإنصراف لطلب الآخرة ، وراح هو يتمتع بهذه الدنيا تاركاً الآخرة غير عابىء بها ، ثم تمتع بالنساء غير التى تزوجهن بالعقد ، مثل خديجة وسودة وجويرية وعائشة وهند وزينب و (أم حبيبة) (التى يقول هذا الكافر إنه اشتراها بالنقود) وصفية وميمونة وغيرها ...

٣ ـ وزعم هذا الشيوعى الوقح أن الرسول ﷺ تزوج بزوج ابنه زيد ، وعمد إلى تغطية هذا الزواج بالآيات القرآنية ، وأنه أكره زيداً على تطليقها فلم تسعه مخالفته ..

٤ ـ ويتهم القرآن بالتناقض ـ على طريقة الرئيس بورقيبة ـ ويكرر مزاعم المبشرين بأنه مأخوذ من التوراة ..

٥ ـ ويصف سورة (يس) فضلاً عن التناقض بالتكرار الذى يستدعى الهزء ..

أجل ... إن هذا الشيوعى الخبيث ليتطاول على حقائق الإسلام بكل هذا الجهل الحقير ،وليس هو إلا واحداً من ألوف صنعهم الإلحاد على عينه ، فراحوا ينطحون بقرونهم جبل الإسلام ، كشاكر مصطفى ونديم البيطار ومحمد ربيع والرافضى الحاقد على سعيد ـ الذى اختار لنفسه لقب (أدونيس) إيثاراً للفينيقية على العروبة والإسلام ـ ومصطفى النهيرى ، ومئات من أضرابهم ، خريجى الصليبية أو الصهيونية أو القرمطية فى بلاد العرب ... فهل بوسع الحاج كيمورا ، وهو رئيس العلماء ، أن يتعرض لهذا الأحيمق الجويهل بكلمة تفضح أضاليله ، وتكشف حماقته فيبرهن على صحة ما يزعمونه من حرية الفكر والدين فى يوغوسلافية الجديدة ! ! .

ولنا أخيراً سؤال صغير : هذه المساجد والمعاهد والكتاتيب ، التى أقيمت فى ظل التطورات الحديثة فى يوغوسلافية هل عوّضت ما هدمته الشيوعية الجهنمية من معاهد العبادة والعلم ، أيام هجمتها الشرسة على الإسلام ...

حبذا لو يتفضل الشيخ بجواب معقول يبتغى به وجه الله وحده ، ولا يقيم لاهواء السياسة أى وزن ! ..

نحن نقدر ظروف الأخ الحاج سليمان كيمورا .. والجهود الطيبة التى يبذلها كضابط ارتباط بين إرادة السلطة الحاكمة ، ومصلحة دينه وأبناء ملته .. ولكننا على يقين أن وضعه أكثر فسحة من وضع زميله الشيخ ضياء الدين بابا خان ، الذى يضطره الاسترضاء إلى حد الزعم بأن كل نشرة تعادى الإسلام لابد أن تكون مدسوسة على الاتحاد السوفيتى ، الذى ينعم المسلمون من ظله بأقصى ما يتصور من الحرية الدينية !.. فى حين أنه أزكى من أن يجهل نشاط التنظيمات الإلحادية فى أوساط المسلمين ، وما ينشره أبناؤهم ـ الذين فُرِغَت أدمغتهم من آثار الإسلام ـ فى الصحف السوفيتية والمطبوعات المختلفة من الافتراءات على دين الله ورسوله[1] .

---

(١) انظر ما كتبه العلامة عبد الله كنون حول كتاب السفير السوفييتى محيى الدينوف .. (هل يمكن الاعتقاد بالقرآن !) فى عدد رمضان ١٣٩٣ من مجلة (دعوة الحق) المغربية ص ٢١ .

بقى أن نقول لفضيلة الشيخ أننا نتتبع التطورات الحديثة فى حياة مسلمى يوغوسلافية فيسرنا ما تحمله من تفريج ولو محدوداً لكرباتهم الفادحة .. ولكن هذا لا يمنعنا حق الكلام عن الماضى الأليم جداً لنستخلص منه العبرة ، التى من شأنها أن تنفع المؤمنين ، إن شاء الله .

وقبل أن أرفع القلم ألفت نظر فضيلته إلى الهفوة القلمية التى وردت آخر مقاله ، وهى قوله : (معتمدين أولاً على الله وعلى أنفسهم ...) إذ لا يجوز التسوية بين الخالق عز وجل ومخلوقاته فى أى شيء .

والله المسئول أن يكشف غمة الإسلام فى كل مكان وله الحمد أولاً وآخراً وعليه وحده التكلان .



من عثرات الأقلام والأوهام

أسوأ ما يتعرض له المشتغلون بالعلم ، وبخاصة ما يتصل منه بالنواحى الشرعية وتاريخ الإسلام ،هو استكانتهم للكسل الذى يدفعهم إلى إرسال الأحكام دون تدقيق ولا تحقيق . وقد أسلفنا فى ما قدمنا من بحوث فى هذا الباب (تعقيب لا تثريب) بعض النماذج الحية عن ذلك الوهن ، الذى لا يسيىء فقط إلى أصحابه ، بل أنه ليسيىء إلى الحقيقة التى يتصدرون للحديث عنها .

وها نحن أولاء نقف تعقيب اليوم على نماذج أخرى من هذه الظواهر التى تفوق بوفرتها جهد المعقب ، بالغاً ما بلغ من الصبر والمتابعة ، وكل ما نرجوه هو أن نوقظ بهذه الملاحظات وأخواتها هِمم هؤلاء الفضلاء ، حتى لا يسمحوا لأنفسهم باتباع الظن ، الذى لا يغنى من الحق شيئاً . ولئن قصر بنا الجهد عن استيفاء الأخطاء فحسبنا بذل الاستطاعة ، والعجز صفة الإنسان ، وقديماً قيل (ما لا يدرك كله لا يترك جله) .

١ ــ أخرج البيهقى عن طريق إبراهيم بن عبد الرحمن الغدرى مرسلاً أن رسول الله ﷺ قال : « **يحمل هذا العلم من كل خَلَفٍ عُـدُولُه ، ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين** [١] » .

وهذا الحديث الشريف يعتبر من جوامع الكلم ، ومن الإشارات الخطيرة إلى مستقبل الإسلام ، ومسيرة الدعوة الربانية .

ولكى يتضح المضمون العظيم لهذا البلاغ النبوى يحسن بالباحث إبراز بعض دقائقه ليكون القارىء على بينة مما سنقصه عليه . فالرسول صلوات الله وسلامه عليه يبشرنا أن حقائق هذا الدين الحق ستظل أبداً مشمولة برعاية الله ، الذى يقيض لحراستها مدى الدهر طائفة من خيرة عباده ، المميزين بالعلم والعدالة والشجاعة ، التى تؤهلهم للشهادة على الناس ، وتصحيح ما يتعرض له دينه من انحرافات على أيدى المفسدين

(١) يرى محقق (مشكاة المصابيح) أن الحديث قد رُوِىَ موصولاً من طريق جماعة من الصحابة ، وورد تصحيحه عن الإمام أحمد .

من المضلِّلين والمضلَّلين .. وهو نفسه المعنى الذى يحمله الحديث المتفق عليه الذى يقول : « **لا يزال من أمتى أمة قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتى أمر الله وهم على ذلك** »[٢] .

وعن كلا الأثرين الشريفين تفصيل مجمل فى قوله تعالى : ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾

ومعلوم أن من أهم صور الحفظ لكتاب الله تجرد فئة من المجاهدين فى سبيله يحبسون وجودهم على حماية دين الله من تحريف الغالين ، الذين لا يرتضون ما أنزل الله وبلغ رسوله ، فيتصيدون له الزوائد من هنا وهناك ، حتى تغيب حقائقه وراء حجب البِدَع .

ومن انتحال المبطلين ، الذين يشرِّعون لاتباعهم من الدين ما لم يأذن به الله ، فما يزالون بهم حتى يخرجوهم من نور الحق إلى ظلمات الباطل .

ومن تأويل الجاهلين ، الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً .

ذلك كله أول ما يواجه الناظر فى خبر رسول الله ﷺ عن حملة هذا العلم .. فهم ورثة السلف الصالح فى الحفاظ على تراث النبوة صافياً لا تخالطه الشوائب ، وهم حجة الله القائمة على عباده حتى يرث الله الأرض وما عليها .

ومع ذلك كله فقد سمعنا من متحدثى بعض الإذاعات من يُعْجِله الهوى عن تبين الحقيقة فى هذا الحديث الشريف ، فإذا هو يحرف الكلم عن موضعه فيقرأ قوله ﷺ عدوله ـ وهو جمع عدل .. أى الثقة الضابط الصدوق ـ يقرؤه (عَدُوٌّ له) من العداوة ، فيجعل حملة هذا الدين هم أعداءه لا عُدُولَه ... ثم يمضى فى منحدره هذا مفسراً الحديث على النحو الذى يتفق مع زلته .. فما زال يتخبط حتى استوفى دقائقه المقررة فى لغو لا مفهوم له ..

هذا المحدث يحمل مؤهلاً من أقدم جامعة فى العالم الإسلامى ، وكان من قبلُ أحد المفتين ، وإن يكن ذلك منصباً تشريفياً لا يشترط له العلم فى بلده ، وقد امتحنه الله بالوزارة ، فلأحاديثه صفة التقارير الرسمية التى لا تقبل الرد .. ولعله بدافع من هذه

---

(٢) متفق عليه

الحصانة يرى من حقه أن ينطلق على هواه فيقول فى حديث رسول الله ما يحضره من قول دون ما حاجة إلى روية أو تأمل .. وقد نسي أن المفسر لقول رسول الله ﷺ لا يعدو كونه مفتيا يؤدى شهادته بأن ذلك هو مراده صلوات الله وسلامه عليه ، وأن الغالط فى تلاوة ما يروى عنه يعتبر واحداً من الكاذبين عليه ، الذين أنذرهم بمقعدهم من النار ، لأنهم استراحوا إلى الكسل ، فلم يكلفوا أنفسهم جهداً للتيقن من الواقع ، ولم يرجعوا إلى أهل الذكر فى الاستيثاق من سلامة اللفظ وصحة المضمون ، وهم على ذلك قادرون ، لكنهم استهانوا بواجب العلم ، ولم يفطنوا إلى أنهم عن الله ورسوله يتحدثون .

والغريب فى أمر هذا المتحدث أنه قرأ كلمة (خَلَف) من الحديث على وجهها الصحيح ، ثم لم يتنبه إلى التضاد المعنوى القائم بينها وبين لفظ (عدوّ) لأن الخلف بفتح اللام لا يكون إلا فى معرض الخير ، فلا تكون منه العداوة ، وإنما تتأتى العداوة من (الخَلْف) بسكون اللام ، الذى لا يكون إلا فى الشر ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ **فخلف من بعدهم خَلْف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات** ﴾ . (١٩ / ٥٩) .

فليت هذا الوزير قد تذكر بعض ما قرأه أيام الطلب من أخبار السلف عن مواقفهم من حديث رسول الله ﷺ .. ليته يقرأ نبأ مالك إمام المدينة (رح) إذ كان يستوضح زواره عما يريدون من العلم ، فإذا طلبوا الفقه خرج إليهم دون كبير احتفال ، لأن الفقه فهم يتوصل إليه الرجال ، فإذا كان المطلوب هو الحديث لم يواجههم حتى يغتسل ويتهيأ له بما يليق بلقاء رسول الله من الإجلال ..

وأغلب الظن أن معالى الوزير سينفى عن نفسه ما قصصناه عنه تنزها عن مثله .. غير أنه لا مندوحة له عن التفكير ملياً قبل إقدامه على النفى ، إذ يتذكر أن حديثه (العالى) مسجل ، وسيتعذر عليه إزالته ، فخير له أن يعود لتصحيح خطئه من الإذاعة نفسها ، وبذلك نكون له مع السامعين من الشاكرين .

٢ ـ وهذا رابع الوزراء الذين قدر لنا أن ننبه إلى بعض أغاليطهم فى هذا التعقيب .

كتب فضيلته ذات يوم ، فى مجلة إسلامية محترمة تصدر برعايته ، حديثا تناول فيه بعض مشاهد السيرة النبوية الطاهرة ، وكان مما تعرض له خبر الصحيفة الظالمة التى

سجل فيها المشركون اتفاقهم على مقاطعة نبى الله ﷺ ومن معه من المؤمنين والمؤيدين .. حتى إذا صار إلى الكلام عن نقضها ألق الشيطان على قلمه أن بعض المطلعين قد أخبر الرسول ﷺ بسطو الأرضة على الصحيفة حتى لم تدع فيها سوى اسم الله ..

ولما روجع معاليه فى ذلك ، وطولب بذكر المراجع التى استند إليها فى روايته الغريبة تلك ، جاء جوابه أكبر من غلطته ، إذ أسند الخبر إلى أحد المستشرقين ! ..

ونعود إلى خبر الصحيفة فى كتب السيرة وغيرها من المؤلفات المعتبرة فلا نجد أصلاً لهذا القول . والمحقق فى أمر نقضها أنه جاء نتيجة تعاون بعض ذوى الغيرة من قريش ، الذين آلمهم ما رأوا من أثر المقاطعة فى أقربائهم ، فاتفقوا على القيام بنقضها ، على الوجه الذى أثبتته تلك الكتب ..

أما الرواية التى تقول بأن رسول الله ﷺ قد أخبر عمه أبا طالب بتسليط الله الأرضة على الصحيفة . فقد أوردها المحققون كابن هشام وابن القيم وابن كثير على أنها وصلت إليهم عن لسان (بعض أهل العلم) دون أن يسندوها إلى راو بعينه ..

ومهما يكن من أمر فقد كان على معالى الوزير أن يرد الخبر إلى موضعه من كتب السيرة ، ولو فعل لما تورط فى نسبته إلى مستشرق ، لأن الخبر فى مصادره الأساسية معروض على أنه مستند إلى الوحى ، الذى أنبأ رسول الله بفعل الأرضة ، فأنبأ رسول الله عمه بذلك ..

وإنه لمن المفارقات المؤسفة كل الأسف أن نأخذ أخبار السيرة النبوية عن مستشرق أو مستغرب ، وبين أيدينا أكداس المصنفات التى كتبها الثقات عن حياة نبى الله ﷺ فلا تزال تمد المفكرين والباحثين كل يوم بالكنوز التى لا تنفدُ من تراثنا العظيم ..

* - وفى حديث إذاعى لأديب معروف عن غزوة الخندق يقول : لقد انفض القوم يومئذ من حول رسول الله ﷺ حتى لم يبق معه سوى ثلاثمئة فقط ...

ولا جرم أن تحديد عدة المسلمين بثلاثمئة لا معتمد له نقلاً ولا عقلاً ، فالعدو وقد زحف على المدينة بعشرة آلاف مقاتل من قريش وأحابيشهم ومن تبعهم من كنانة وتهامة وغطفان .. فمن غير المعقول أن يخرج المسلمون لمواجهتهم بذلك العدد الضئيل وهم

قادرون على تعبئة أكبر.. فكيف وقد أجمعت كتب السيرة على أن عدد المسلمين لم ينزل يومئذ عن ثلاثة آلاف [1].

وقد يفهم من كلام صاحب الحديث أن الثلاث المئات هم الذين بقوا مع النبي ﷺ بعد المنفضين، وهو رأى مردود أيضاً، لأنه يعنى أن كثرة الخارجين مع الرسول كانوا يومئذ من المنافقين الذين جعلوا يتسللون لواذاً زاعمين أن بيوتهم عورة. ولو صح هذا التوهم لطمع المنافقون بالقلة المؤمنة، ولأسرعوا للاتفاق مع الغزاة على استئصال الإسلام.. وإنما منعهم من ذلك يقينهم بضعفهم، وبخاصة بعد غزوة أحد التى كشفتهم، إذ لم يتجاوزوا المئات الثلاث ثم جعلوا يتناقصون بما شرح الله صدور بعضهم للإسلام، حتى لم يبق حول رأسهم ابن سلول إلا القليل الذى لا يؤبه له..

والحديث عن يوم الأحزاب يستدعى التوقف عند ذكر نعيم ابن مسعود رضى الله عنه الذى كان له دوره الفعال فى مصير الغزوة، وتخذيل المتحالفين من أهل الشرك ويهود قريظة.. ولكنه لفظ اسمه بفتح النون، وهو، مضبوطاً فى سيرة ابن هشام، بضمها على التصغير.

ولعل الأديب الفاضل يستدرك هاتين الهفوتين عندما يتجه لنشر أحاديثه النافعة فى كتاب نرجو أن يكون مخرجه قريباً إن شاء الله.

٤ ـ وللعربية ـ لغة القرآن العظيم ووسيلة الدارس إلى فهم مراد الله ورسوله ﷺ، حظها من أغاليط الكتّاب والمؤلفين أيضاً، فضلاً عن عدوان الكارهين لها، المؤتمرين بها.. فلها من أجل ذلك على الأقلام المؤمنة حق الدفاع عن حياضها ما وجدوا إلى ذلك سبيلاً، وسأضع بين يدى القارىء فى هذا التعقيب بعض النماذج لما نواجهه من هذه الأغاليط.

فى كتاب يقدم نفسه بعنوان (طريق النجاح فى القواعد والأعراب) وجدتنى أطالع فى بعض تدريباته البيت التالى:

نُبئت أن أبا قابوس أوعدنى ... ولا قرار على زار من الأسد

---

(١) راجع سيرة ابن هشام ص ٢١٩، ٢٢٠ جـ ٣، جـ ١ الحلبى عام ١٩٥٥ بتحقيق السقا ورفيقيه.

ثم يليه هذا الشرح العجيب : (لقد أخبرنى الناس بأن أبا قابوس يتوعدك وينذرك . فقلت لهم : ألقوا عنكم هذا ، فأبو قابوس ووعيده لا يساوى عندى جناح بعوضه ...) .

وأنا هنا لا أحب أن أحاسب المؤلف على أسلوبه السوقى فى التعبير عن مفهومه للبيت ، ولكنى أكتفى بالإشارة إلى بعده الشاسع عن غرض الشاعر .. ولو هو عاد إلى ديوان النابغة وتعقيبات شراحه من اللغويين لعلم أنه إنما يصف خوفه الشديد من (أبى قابوس) الذى أنذره بالقتل ، ويعتذر عن هذا الخوف بتشبيه ضمنى يجعل أبا قابوس بمنزلة الأسد الذى يرسل زئيره ، فلا يجد سامعه سبيلاً إلى الاطمئنان على نفسه ..

ومن هذا الضرب عمله فى تدريب آخر حول معنى البيت التالى :

وترمينى بالطرف أى أنت مذنب وتقلينى .. لكن إياك لا أقلى

فيقول فى شرحه : (لقد نظرت إلىّ نظرة بطرف عينها أننى مذنب . وإننى لأعجب كيف تتمكن من هجرى ، مع أننى لا أستطيع اصطباراً على فراقها ...)

ويلاحظ كل ذى صلة بالبيان العربى أن الشارح لم يزد على أنه شوه مراد الشاعر ، فضلاً عن الركاكة التى لا تتوقع من مبتدىء فضلاً عن مؤلف يقيم من نفسه معلماً حتى للجامعيين ..

٥ ـ ويذكرنى هذا بموقفين مشابهين عرضا لى أثناء تدقيق امتحان الشهادات فى بلد عربى مجاور قبل بضع عشرة سنة . ذلك أنى اختلفت مع ممثل لجنة الأدب حول قول شوقى ـ من النص المقرر على الطلاب ـ

آمنت بالله واستثنيت جنته دمشقُ رَوح وجنات وريحان

فقلت : علينا أن نتفق أولاً على رأى الشاعر بشأن الجنة كى نعرف أى الإجابات نقبل وأيها نرفض .

فقال سيادة الممثل : الأمر أوضح من أن يختلف عليه ، إن شوقياً يستثنى الجنة من إيمانه ، ويعتبر دمشق هى الجنة ..

قلت : بهذا تخرج شوقياً من حظيرة الإسلام على الأقل ، إذ لا يصح إيمان بالله مع إنكار ما أخبر به .

وعرضنا الأمر على اللجنة فكلهم وافق رأيه دون استثناء ، حتى أخذت أذكرهم بما أورده الشاعر فى القصيدة نفسها من دلائل إيمانه بالجنة ومحتوياتها .. فإذا هم ينفضون من حوله ، إلا صديقاً لى كان شريكى فى تأليف أحد كتب الأدب ! .

أما الموقف الثانى فمع رأى آخر للممثل نفسه فى كتاب له يدرَّس فى السنة النهائية من القسم الثانوىِ ، إذ أورد قول المعرى من لزومياته :

لو كان لى أو لغيرى قِيدُ أنملة   من التراب لكان الأمر مشتركاً

فراح يقرر إيمان المعرى بالاشتراكية على أنه سابق لأهلها بالدعوة إليها ! .. وقد نسى هداه الله أن المعرى إنما يتحدث فى توحيد الله جل جلاله ، فينفى أن يكون لأى مخلوق أى أثر من الملكية فى هذا الوجود ، فالبيت إذن تقرير لوحدانية الخالق ، وتنزيهه سبحانه عن كل ألوان الشرك . والمعصوم من عصمه الله ، ولا حول ولا قوة إلا به .





إلى الذين يبثون الألغام فى طريق الإسلام

المؤامرات على دين الله الحق بدأت منذ أعلن إبليس الحرب على آدم وذريته قبل هبوط الفريقين إلى الأرض ، إذ قال لربه تصريحاً بما يكنه لذرية آدم من الشر : ﴿ **لَأَقْعُدَنَّ لهم صراطَك المستقيم . ثم لَآتينَّهم من بين أيديهم ومن خلفِهم وعن أيمانِهم وعن شمائلهم** ﴾ (سورة الأعراف : ١٥ ، ١٦) وقد فهم أولو العلم من هذا الوعيد أن عدو الله مصمم على صرف الإنسان عن شريعة الله بقعوده وذريته على منافذها لمنعهم من الوصول إليها .

ومنذئذ جعل هذا العدو يعبىء قواه بكل ما يملك من وسائل التزوير والإغراء والإفساد لإنفاذ وعيده ، فاستحوذ على الكثير من أهل الجهل والغفلة ، واتخذ منهم جنوداً يدعون إلى النار ، ويزينون لأمثالهم طريق قائدهم ، وهكذا استحالت البسيطة حلبة صراع لا ينطفىء أوارها بين الأشرار والأخيار ، والأحرار والأغرار ، حتى تقف مسيرة الحياة .. ويحشر المصلحون والمفسدون لأداء الحساب .

ولقد اتخذ أعداء الحق فى كل واحدة من مراحل المعركة أنواعاً من الأسلحة ، كان أهمها الانحراف عن منهج الله ، الذى زود به الإنسان لحماية نفسه وجنسه من كمائن الشيطان ، فأبى أكثر الناس إلا كفورا ، وألفوا الانسياق فى مواكب الضلال ، فكانت أصناف البدع ، وكانت آلاف النظم التى عمقت الهوة بين الإنسان وخالقه الرحمن .

تذكرت هذا كله وأنا أقرأ زاوية الأستاذ أحمد بهاء الدين (مسلم .. ثم لماذا ؟) فى عدد الأحد ١٩٨١/١١/٨ من « الشرق الأوسط » إذ وجدت فيها واحدة مصغرة من صور المعركة الأبدية ، التى عانى ولا يزال يعانى منها تاريخ الإسلام ، تارة على أيدى منافقى المدينة ، وأخرى من دسائس أهل الكتاب ، وثالثة من مؤامرات الباطنية ، التى بسطت سلطانها على الجاهلين والغافلين ، الذين لم يكن لديهم من الوعى ما يعصمهم

من الاستجابة لكل ناعق .. وليس هجوم على عبد الرازق ـ فى النصف الأول من العصر الحديث ـ على حِمَىٰ الخلافة ، ودعوتهُ المضللة إلى تبنى طريقة الغرب الصليبى اليهودى فى فصل الإسلام عن ساحة الحكم ، سوى خطوة جديدة فى طريق الهدم لأهم قواعد هذا الدين ، متمثلة فى شهادة التوحيد ، التى تربط المؤمنين بعهد مع الله ألا يشركوا معه أحداً ، وأن يتخذوا من رسوله الأمين إماماً يتبعون سبيله فى أسس الحكم ، كما يتبعونه فى عبادته وفى تصرفاته العامة جميعاً ، حتى تصبح كل حركة وسكنة من وجودهم عبادة خالصة لله .

لقد كانت دعوة هذا الشيخ الضال فى كتابه (الإسلام وأصول الحكم) خرقاً خطيراً فى جدار الإسلام ، فتح الباب على مصراعيه للجهلة من حكام الشعوب الإسلامية ، فاتخذوه منطلقاً لتخريب مجتمعاتهم ، وحجتهم فى ذلك أن القائل بهذه التخرُّصات واحد من خريجى الأزهر ، وأحد رجال القضاء فى بلد الأزهر ، فرأيه فى قضايا الحكم هو دون ريب رأى الإسلام ! ..

ومن هنا اتخذت الفتنة الحديثة طريقها الجرىء إلى تقويض دعائم النظام الإسلامى فى نطاق السياسة ، التى أصبحت منذ ذلك اليوم ألعوبة الطواغيت ، يعبثون عن طريقها فى كيان المسلمين كما تشاء لهم أهواؤهم ، وكما يوحى إليهم سادتهم من شياطين الشرق والغرب .

وخلال النصف الثانى من القرن الجارى بلغ انقضاض الطواغيت علىٰ حرمات الإسلام أشده ، وأسلم معظمهُم أزمته إلى ألد أعداء الإسلام ، حتى لم يعودوا يتحرجون من إعلان انصرافهم عن دين الله ، باعتباره قد استنفد أغراضه ، ولم يعد صالحاً لأى عطاء .. ولم يكتف هؤلاء بمظلة الاستبداد والاحتماء بسلاح الأعداء ، فسخروا لخدمة أفكارهم الضالة عدداً غير قليل من حملة الأقلام ، الذين أتقنوا فن الكلام ، مع الجهل التام لحقائق الإسلام ، وتوزعوا مهماتهم ، ففريق يعلن الحرب على هذا الدين منكراً عليه كل خير ، وناسباً إليه كل شر ، وآخر يتزلف إلى جماهير المسلمين بإرتداء مسوح الغيرة على الدين ، فيهيب بالحكام أن يبعدوا الإسلام عن جرائم السياسة ، ويقصروه على مهمته الأساسية من تهذيب النفوس ، وتنمية الأخلاق

الفاضلة ، وتطويع الجماهير لسلطان الحكام فى كل أمر أو نهى يصدرونه ، حتى ولو كان من ذلك أمرهم برفع الحجاب ، وإلغاء الفوارق الطبيعية بين الجنسين ، وتعطيل شريعة الله فى الإرث ، ومصادرة الأوقاف المحبوسة لبيوت الله ، وحظرهم لتعدد الزوجات ، ولو أدى ذلك الحظر إلى تكديس العوانس وشيوع الفحشاء ، التى تصبح تحت سلطانهم عملا مباحاً بحماية القانون .

وقد نسى هؤلاء (الغُيُر) على كرامة الإسلام من لوثات السياسة أن فى رأس مهام الحكومة الإسلامية تطهير السياسة من جراثيم الفساد والكذب والخِداع ، وذلك برد الحكم إلى وضعه الصحيح حتى يكون أمير المسلمين خادماً للأمة ، وحارساً لأمنها وعزتها ، حتى يكون عماله بمثابة الآباء لمن هم تحت ولايتهم من المسلمين ، يعلمونهم ويسددونهم إلى كل ما هو مصلح لهم ـ كما أعلن ذلك ثانى الراشدين على ملأ من جماهير الحجيج ـ .

ويشاء الله لبعض الطغاة ، وهم فى أوج قوتهم ، أن يسلط عليهم بعض شركائهم فيخلعوهم ويلقوا بهم فى غيابات السجون ، التى طالما شحنوها بالأبرياء .. فتكون فرصة لمراجعتهم ماضيهم ، فلا يلبثوا أن ينقلبوا عليه ، إذ يجدون فى خلوتهم القاهرة فسحةً للاتصال بكتاب ربهم يتلونه صباح مساء ، فيشهدون من آثاره وأسراره ما يردهم إلى الكثير من الخير ، حتى إذا فرج الله كربهم فأفرج عنهم ، غادروا سجونهم بنظر جديد وتصور ما كان ليخطر على بالهم ، لولا هذه المحن المطهِّرة ، وإذا هم دعاة للإسلام ، رافضون لكل ما سواه من أنظمة ، وفى عبد السلام عارف من قبل ، وفى ابن بِيلا هذه الأيام خير مثال لهذه الحقيقة ، التى تجلت فى الكثيرين من الممارسين لتلك التجربة .

ولكن المؤسف أن ردَّ الفعل هذا لم يقدَّر بعد لخطباء الفتنة من أصحاب الأقلام التى سخرها الشيطان لخدمة الطواغيت ، ذلك لأنهم سرعان ما ينتقلون من موكب أحدهم إلى موكب خصمه ، فيستأنفون كفاحهم من جديد .. معتذرين عن ذبذبتهم بما يسميه أحدهم (عودة الوعى) ! .

ومن يدرى فلعلهم لو جربوا محنة السجن لاستردوا فى ظلماته وعيهم ، ولعادوا إلى النتيجة نفسها التى انتهى إليها سادتهم التائبون .. وعلى هذا لا ندرى ما الذى يجب علينا بالنسبة لهؤلاء الذين وقفوا أقلامهم على خدمة أنواع الطواغيت ، سواء من الأفكار الهدامة ، أو من المتسلطين الهدامين .. أندعو لهم بخلوة طويلة فى سجون الظالمين ، تفتح لهم السبيل إلى توبة نصوح تكفر عنهم سيئاتهم أم ندعو عليهم بدعوة نبى الله موسى : ﴿ **ربنا اطمس على أموالهم ، واشدد على قلوبهم ، فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم** ﴾ على أنا بدافع من الشفقة عليهم نؤثر لهم الحسنى ، فنسأل الله لفهمى هويدى وعبد العظيم رمضان ، وإحسان عبد القدوس ، وتوفيق الحكيم ، وأحمد بهاء الدين ، والباقورى ، وسائر إخوانهم ، من تلاميذ مدرسة على عبد الرازق ، أن يرزقهم المحنة التى تطهرهم وتزكيهم وتردهم إلى ساحة النور ، حتى يتولوا إصلاح ما أفسدوه من فطرة الجيل ، الذى طالما أحسن بهم الظن ، فدعوه إلى حافة الهاوية الموصلة إلى ذلة الدنيا والآخرة .

ونعود إلى زاوية الأستاذ أحمد بهاء الدين لنحاوره فى بعض أفكاره التى فقدت طرافتها لكثرة الاستعمال حتى الابتذال .

لقد برع هذا الكاتب حقاً فى تمرير مقلبه إلى القارىء البسيط بما قدم له وما خالط كلامه من معسول الألفاظ ، التى يريد بها إقناعه بأنه على غاية من الاحترام لكتاب الله ، ولصحابة رسول الله الذين لا يضن على (بعضهم) بالترضى عنه ، ومن ثم يعرض ما يريده من تشكيك لذلك القارىء البسيط فى صلاحية القرآن لإقامة الحكم الصالح فى بلاده .

فالقرآن باعترافه نزل لكل زمان ومكان ، وتحكيمه فى حياة الناس أمنية مفضلة لديه ، تستحق أن يعبر عنها بـ (يا ليت) إلا أنه مع ذلك لا يرى سبيلا لتحقيق هذه الأمنية فى واقع الناس ، لسبب واحد هو فقدان العالم الثقة الذى يصلح لتفسير أحكامه على الوجه الصحيح .. ــ ولعله يريد بالصحيح الذى يرضى مدرسته ــ .

ثم يمضى الكاتب فى سرد الأدلة المؤكدة لما يذهب إليه من هذا الرأى وفى رأسها الخلاف الذى نشب بين كبار الصحابة إثر وفاة رسول الله ﷺ وما أفرزه من مذاهب

(سنة وشيعة وأموية[1] وخوارج ومعتزلة إلى آخره) إلى أن يقول بأن هذا الخلاف هو الذى دعا أمير المؤمنين علياً ـ رضى الله عنه ـ إلى القول : (بأن القرآن حمال أوجه) ويفسر الكاتب هذه العبارة بقوله : (أى يمكن تفسيره ألف تفسير..) .

ثم يعقب على ذلك بسرد أسماء كبار المصلحين الإسلاميين من المتأخرين ، ليرينا أنهم جميعاً قد عجزوا عن حل الخلاف .. ومن هنا يأخذ بالالتفاف حول الجماعات الإسلامية الذين يحملون راية الدعوة إلى تحكيم الشريعة ، فيتهمها بالتآمر فى ليل لغرض تفسير للقرآن لا تملكه .

وقبل الدخول فى تقويم هذه المزاعم أرانى مضطراً للاعتذار عن تعرضى لمناقشتها ، لأن مضمونها لا يرتفع إلى مستوى العلم الذى يستوجب النقاش ، ومرد ذلك كونها مجموعة من ادعاءات لا يفوت تهافتها نظر لبيب ، ولولا خشية المسئولية أمام الله عن السكوت على المنكر لما حركت قلماً فى تفنيدها والله ..

ثم هناك سبب آخر يشدنى بقوة إلى هذا التعقيب ، ذلك أن ادعاءات هذا الكاتب ليست وقفاً عليه ، ولكنها شنشنة يرددها تلاميذ المدرسة (العرزقية) المنبثين فى أرجاء العالم الإسلامى ، وكأنهم ينطلقون عن مخطط مدروس غايته الخلفية تشكيك أشباه العامة فى صلاحية الإسلام للحكم ، كى يكونوا مستعدين لقبول كل دعوة ينعق بها المنحرفون ، ومن هنا كان تعقيبى هذا بمثابة الرد العام على مزاعم هذه المدرسة جميعاً .

فلننظر الآن فى مستندات الأستاذ أحمد بها الدين التى يعتبرها حججاً لا تقبل الرد ، وأهمها هو ذلك الخلاف القديم الذى نشب بين الصحابة حول تفسير القرآن ـ بزعمه ـ .

والحق إنه لزعم فيه الكثير من الطرافة ، ولا مردود له سوى التوكيد على جهل مطبق فى تاريخ ذلك الخلاف ، إذ المتفق عليه بين أهل العلم أن أول خلاف بين الصحابة كان حول قضية الخلافة ، ومن أحق بها من الأنصار والمهاجرين ، وقد حل الخلاف برد الأمر إلى نظام الشورى ، الذى قرره القرآن الكريم ، وأوضحه التطبيق

---

(١) يلاحظ أن الرجل يعتبر (الأموية) مذهباً .. وهو رأى فات علماء التاريخ والتشريع .

النبوى ، فما إن طرح الموضوع على الحوار حتى انتهى الجميع إلى الرضى بحكم الله ورسوله ، وتمت البيعة للخليفة الأول دون أى خلاف .. فأين ما زعمه هذا الكاتب من قصر الخلاف على تباين الآراء حول تفسير القرآن ! ..

وعلى أساس ذلك التعليل المهزوز يعرض لكلمة أمير المؤمنين على ـ رضى الله عنه ـ (القرآن حمال أوجه) ليؤكد بمنطقه المقلوب أن هذا القول من أمير المؤمنين اعتراف قاطع بأن لا سبيل إلى الإجماع على تفسير موحد للقرآن ، وإذا كان هذا رأى ذلك الصحابى الجليل ، وهو مَن هو علماً وفقهاً وسعة آفاق وقرباً من ظلال النبوة ، فلا أمل إذن بالاتفاق على وحدة الاتجاه فى فهم كتاب الله .

وأنا لا استطيع القول بعجز الكاتب عن الإحاطة بمدلول هذه العبارة لو كلف نفسه النظر فى موردها والظروف التى قارنتها ، والذى أذكر من ذلك أن علياً قد وجه هذه الكلمة إلى عبد الله بن عباس حين هم بإرساله لمحاورة الخارجين عليه ، فنبهه إلى أنهم قوم محدودو المدارك يشتبه عليهم مفهوم الآى فيدخلون فى جدال لا محصول له ، وإنما عليه أن يكيف أسلوبه معهم وفق مستواهم عملا بقول رسول الله ﷺ : « حدثوا الناس بما يعرفون ، أتريدون أن يكذب الله ورسوله »[1] .

ومعلوم أن الشرارة الأولى فى خروج هؤلاء على على كانت إنكارهم قبوله التحكيم فى موضوع الخلاف بينه وبين معاوية ، أخذاً منهم بظاهر قوله تعالى : ﴿ **إن الحكم إلا لله** ﴾ ومن ثَم رفعوا شعارهم القائل (لا حكم إلا لله) .. واعتبروا كل خارج عليه من الكافرين ، ومن أجل ذلك كان توجيه على لابن عمه أن يأخذهم بمنطق السنة المفصّلة لمجمل القرآن ، لعلمه أن حجتهم الوحيدة فى رفض التحكيم هى تقيُّدهم بحرفية النص ، وعجزهم عن الإحاطة بمضمونه الفقهى العام .

ولكن الأستاذ أحمد بهاء الدين يأبى الوقوف من عبارة أمير المؤمنين عند حدود المناسبة الخاصة ، فيحاول أن يجعلها شاملة لكل ما يتصل بتفسير القرآن ، ولا محصول

---

(١) رواه الديلمى عن على مرفوعاً ، ويقول الألبانى فى (ضعيف الجامع الصغير) رقم ٢٧٠ ، هو فى البخارى موقوفاً ، والموقوف هو الصحيح .

لذلك فى النهاية سوى تعطيل علوم التفسير ، ومن ثم صرف المسلمين عن كتاب ربهم ، الذى لا مندوحة لهم عن الرجوع إلى الراسخين فى العلم ليتعلموا منهم ما تعذر عليهم فهمه من آياته ومفرداته .. عملاً بأمر الله الذى يقول : ﴿ **فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون** ﴾ .

وهكذا رأينا الكاتب يتخذ من عبارة على ـ رضى الله عنه ـ تُكَأةً ينطلق منها إلى إنكار صلاحية القرآن لحكم الشعوب الإسلامية ، وكان عليه أن يسأل نفسه إذا كان كذلك فبأى نظام إذن كان على ومعاوية يحكمان شعوبهما ؟ .. وبأى الأنظمة كانت هذه الأمة تساس طوال هذه القرون .. ؟ .

لقد علم كل ذى صلة بالتاريخ أن هذه الشريعة الإلهية استمرت تحكم العالم الإسلامى كل هذه الأحقاب ، وفى العصر العباسى بسطت جناحها على أربعمائة مليون من مختلف الأجناس والألسنة ، فساستهم بأفضل ما عرف البشر من العدالة والأمن .. وأن كل ما تواجهه اليوم من عقبات فى ديار الإسلام إنما وفد عليها من أعدائه ، الذين عجزت أسلحتهم عن قهره فى سوح المعارك ، فعمدوا إلى تطويع جيل من أبنائه للقيام بهذه المهمة ، بعد أن غسلوا قلوبهم وأدمغتهم من كل أثر له ، فراح هؤلاء يرددون ما لقنهم شياطينهم من مفترياتهم عليه ، وليس هجومهم على نظام الحكم فى الإسلام هذه الأيام سوى واحدة من صور المعركة بينهم وبين هذا الدين الخالد .

وليت هؤلاء قد رزقوا حظاً من الإنصاف ، إذن لتذكروا جيداً أن الجيل الذى قاد ملاحم الفتح ، فوصل ما بين الصين وأوروبة ، تحت راية القرآن ، إنما حقق ذلك بفضل التزامه منهجه الأعلى ، حتى إذا انتهى الأمر بالأجيال التالية إلى التهاون بذلك المنهج غلبتهم الأهواء فتفرقوا شَذَر مَذَر ، وفقدوا ما أورثهم السلف الصالح من الأوطان والأمان .. وكفى بهذه التجربة برهاناً على أنه لا صلاح لآخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها ..



القات .. فى ضوء العلم والدّين

عندما قال رسول الله ﷺ « **لا ضرر ولا ضرار** »[1] فقد نصب بهذا الحديث الجامع مَعْلَماً منيراً لأولى العلم ، يعالجون به العشرات من المشكلات الطارئة مما لم يرد به حكم حاسم عن الله ورسوله .

وفى ضوء هذا المعلم جرى كبار فقهاء الإسلام فى مواجهة هذا الضرب من الأحداث ، فلا يزالون يدققون فى جوانبه وأعماقه حتى يتحقق لهم قربه من الضرر والمضارَّة أو بعده منهما فينتهون إلى القرار المتفق مع مقاصد الشريعة ..

ولقد يكون المشكل العارض متردداً بين الحل والحرمة ، فيلجئون إذ ذاك إلى الحل النبوى الصريح فى قوله ﷺ « **الحلال بيِّن والحرام بيِّن ، وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام** »[2] .

ولا جرم أن وقوف أولى العلم عند هذه المعالم الصحيحة كاف لجمعهم على الحق إذا تجرد كل منهم من أهواء النفس التى كثيراً ما تفسد رؤية الفقيه ..

ولنضرب لذلك مثلاً قريباً من مشكلة التدخين التى طرأت على العالم الإسلامى فى العصور المتأخرة ، فإذا علماؤه مختلفون فى أمره : أهو من الملحقات بالخبائث المحرمة بالنص ، أم هو من الطيبات المباحات ؟ ... وتسلل الهوى إلى بعضهم فإذا أحدهم يقول « إن كان حلالاً فقد شربناه ، وإن يكن حراماً فقد أحرقناه » .. وطبيعى أن مثل هذا القول أقرب إلى اللغو منه إلى العلم .. وكان الأحرى بهذا الفريق المتردد فى تحريمه أن

---

(١) رواه ابن ماجه ومالك وأحمد .

(٢) من حديث متفق عليه .

ينظر إلى الموضوع على ضوء التوجيه النبوى الذى يقضى بأنه من المشتبهات التى يتنزه أولو الأحلام عن مقارفتها .. فكيف إذا تذكر قول ربه القاطع المانع : ﴿ **ولا تبذر تبذيراً . إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين ، وكان الشيطان لربه كفوراً** ﴾ [الإسراء ، آية : ٢٦ ، ٢٧] .. وهو مقر من أعماقه بأن التدخين من أنواع التبذير الملحق لأهله بأشياع الشيطان ..

هذه مقدمة لعل فيها ذكرى لإخوة لنا فى الله فرق بيننا وبينهم الاجتهاد فى شأن القات ، فذهبنا يمينا وذهبوا يساراً ، والمتوقَّع من أهل الإيمان إذا دعوا إلى الله ورسوله أن يقولوا سمعنا وأطعنا .

● إن موضوع القات كموضوع التدخين ونحوه من الأحداث العارضة بعد خير القرون ، ولابد من الرجوع فيه إلى كتاب الله وسنة رسوله للتحقق من شأنه وحكمه ..

وقد شاء الله أن يسلط على موضوع القات مزيداً من الأضواء بما انتهى إليه خبراء الطب والمخابر التحليلية من معلومات جديدة عنه تبين على وجه القطع أنه من الخبائث التى لا تتجاوز نطاق الضرر والضِرار .. وبذلك ينتقل حكمه من دائرة المشتبهات إلى دائرة المحرَّمات ..

ولقد أيد هذه الرويةَ الحكيمةَ العشراتُ من فقهاء الإسلام وذوى التخصصاتِ العلمية المختلفة ، والذين شاركوا فى (المؤتمر الإسلامى العالمى لمكافحة المسكرات والمخدرات) المنعقد فى الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة خلال ٢٧ ـ ١٤٠٢/٥/٣٠ هـ وتناول موضوع القات أثناءئذ العديدُ من مؤلفى البحوث المقدمةِ إلى المؤتمر .. أكتفى بنقل الفقرات التاليات منها :

١ ـ فى عرض لأنواع المخدرات الطبيعية يقول الدكتور حامد جامع ـ عضو هيئة التدريس بكلية الشريعة من الجامعة الإسلامية ـ فى ص ١٠ ، ١١ من بحثه :

« هى المخدرات المشتقة من نباتات الخشخاش والقنب والكوكا والقات وغيرها .. والقات نبات مخدر يزرعه أهل اليمن .... إلخ إلخ .

٢ ـ وفى ص ٥ من بحث الدكتور عادل الدمرداش أخصائى الطب النفسى بمستشفى الطب النفسى بالقاهرة يقول :

« أما القات الذى ينمو نباته فى اليمن والحبشة والصومال فتمضغ أوراقه .. ويسبب مضغ القات عدمَ الشعور بالتعب والشعور بالنشاط وفقدانَ الشهيةِ وضعفَ مقاومة الجسم للأمراض .. » .

٣ ـ ويقول الدكتور صلاح الدين أحمد عثمان أستاذ ورئيس قسم الكيمياء والنبات بجامعة الملك فيصل فى بحثه « التصنيف الكيميائى للمسكرات والمخدرات وتأثيرها البيوكيميائى » ص ٢١ « المخدرات الطبيعية هى مجموعة من المركبات بعضها عبارة عن قلويات طبيعية فى ثمرة الخشخاش أو القنب الهندى أو أوراق القات ..

إلى أن يقول : « وينتج عن تعاطى هذه المخدرات تغييرات سلوكية للأفراد تظهر فى صورة انتعاش ظاهرى مع بلادة فكرية ، وكذلك الشعور بالخوف والميل إلى النعاس ..

وعن تأثيره يقول : يشابه تأثير الحشيش حيث يؤدى إلى الخمول الجسدى والبلادة الفكرية ، وعدم القدرة على التصرف .. يحول الشخص إلى فرد غير منتج وبليد متحجر وخامل ، حيث يؤثر على المجتمع محوّلاً إياه إلى مجتمع مستكين » .

وفى هذه الفقرة تفسير دقيق لما يريده الدكتور الدمرداش (بعدم الشعور بالتعب والشعور بالنشاط) على أنه حالة ظاهرية فقط بدليل كون القات مؤدياً إلى فقدان الشهية ومضعفاً للجسم عن مقاومة الأمراض .. وهو بذلك يشارك المخدرات الأخرى فى تغيير السلوك وإيهام الضحية بالنشاط الكاذب ..

هذا مع اتفاق هؤلاء الفضلاء جميعاً على اعتبار القات من زمرة المخدرات .

وبناء على هذه المعلومات الحاسمة صدر قرار (المؤتمر الإسلامى العالمى لمكافحة المسكرات والمخدرات) بشأن القات فى التوصية التاسعة عشرة كما يلى :

« يقرر المؤتمر بعد استعراض ما قدم إليه من بحوث حول أضرار القات الصحية والنفسية والخلقية والاجتماعية والاقتصادية أنه من المخدرات المحرمة شرعاً ولذلك فإنه يوصى الدول الإسلامية بتطبيق العقوبة الإسلامية الشرعية الرادعة على من يزرع أو يروج أو يتناول هذا النبات الخبيث .... » .

● وما أرانى مغالياً إذا قلت بأن فى هذا القرار نوعاً من الإجماع الملزم للمسلم ، اذ هو

منبثق من التوافق التام بين الدين والعلم ، لأن المقرين له صفوة من فقهاء ومفكرى العالم الإسلامى على امتداده وعلى اختلاف مذاهبه ..

فمن حقه على أهل العلم أن يتلقوه بالقبول والرضى لأنه حَسَمَ كل خلاف بينهم فى شأن هذه المادة التى استهوت الكثيرين منهم حتى جعلتهم أسوة غير حسنة لعامة الناس .

ومن هنا كان مثار الدهشة أن يأتى الاعتراض على هذا القرار الرصين من جانب فئة من إخوتنا فى اليمن الشمالى . وكلهم من أهل الفضل .. ولا حجة لهم فى ذلك من نقل ولا عقل ، بعد أن تلاقى العقل والنقل على إصداره .. فلم يبق مسوغاً لاعتراضهم سوى حكم العادة التى ألفوها ، فتعذر عليهم التحرر من ربقتها فهم بذلك أشبه بالمُدْمِن على التدخين تعرض لعينه آثاره فى إتلاف أجهزة الحياة من خلال الشرائح البشرية التى خربها التدخين فلا يزيد على القول : إنى أدخن منذ عشرات السنين وها أنذا لا أزال على قيد الحياة ! .

وإن هذا الموقف ليذكرنى بذلك الحوار الطريف الذى دار ذات يوم بين طبيب للعيون وأحد المرضى ..

قال الطبيب لصاحبه وهو يحاوره : إن ما تشكوه من ضعف بصرك سببه الخمر ، فعليك بالإقلاع عنها وإلا فقدت بصرك كله فى النهاية ..

وأجاب المريض وعلى فمه ابتسامة السخرية : إنك لمخطىء أيها الطبيب بدليل أن الخمر يضاعف من قوة بصرى حتى لأرى الرجل فى حالة السكر اثنين بدل الواحد .. ! !

ولعل إخوتنا الأفاضل أصحاب الاعتراض إنما يدافعون عن القات من خلال ألفتهم إياه ، التى تحجب عنهم مساوئه ، فلا يرون منه إلا الجانب السار .. ولا عجب :

فعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عن السخط تُبدى المساويا

ولعل أطرف ما فى اعتراضهم المنشور فى (السياسة) الكويتية بعنوان (فتوى دينية) ذلك الإدعاء الغريب بأن العلماء الذين أفتوا بتحريم القات إنما أخذوا ببعض الإشاعات ، وكان عليهم أن يتصلوا بالعلماء (الذين يعايشون القات منذ دخوله اليمن) .. !

وقد نسى مُوَقِّعاً هذه الفتوى أصلحنا الله وإياهما أنهما بانتصارهما للقات قد رضياً أن يكونا موضع الاتهام ، فلا يُلتفت إلى دفاعهما عنه ، لأنه دفاع عن الهوى .. وآفة الرأى الهوى . أما المُفتون بتحريمه فهم المحايدون الذين بتجردهم عن الهوى يملكون القدرة على الرؤية السليمة التى تفرق بين مختلف الادعاءات فتعطى كل شىء وزنه الحق ..

هذا مع العلم بأن قراء تلك الفتوى لا يسلمون لهما بأن رأيهما هو رأى علماء اليمن جميعاً فى شأن القات ، لأنهم لا يتصورون أن كل أولئك العلماء من المتعاملين معه ... لسبب هام وهو ثقتهم بالحكمة القائلة : الإيمان يمان والحكمة يمانية ..

● وأخيراً لقد استوقفنى بين هؤلاء الإخوة المعترضين على قرار المؤتمر فى قضية القات اسم سماحة المفتى الشيخ أحمد زبارة ، فلهذا الرجل فى نفسى ذكرى لا تمحوها الأيام ... ذلك أنى سمعت ذات ليلة صوته الكريم يتدفق بإطراء الحياة الشيوعية التى شاهدها فى موسكو عقب عودته من زيارة لها ساقته إليها الجواذب السياسية التى يحسنها ساسة الكرملين ، والتى طالما ساقوا إليها غيره من (المفتين) و (رجال الدين) فى مصر وسورية فلقوا من إكرامهم ما أطلق ألسنتهم بفنون الثناء عليهم ، حتى ليكاد سامعو إطرائهم يتساءلون .. وهل أصبحت موسكو حامية الإسلام بعد أن كانت مَباءةَ الإلحاد فى العالمين ! ! ..

وما أحسبنى اليوم بملوم إذا أنا أعربت عن خشيتى أن تكون شهادة الشيخ أحمد بجانب القات من طراز شهادته السابقة لمصلحة الشيوعية ..

.. والله نسأل أن يجنبنا وإخواننا الزلل ، وأن يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه ..

.. ويرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنــابه ... إنه خير المسئولين ..

... والحمد لله رب العالمين ...

فى محاورة شعرية دارت بين الشيخين حافظ أحمد الحكمى .. ويحيى بن محمد المهدى حول القات يقول الشيخ حافظ رحمه الله ..

أئمة الـديـن فى إحيـائه جهدوا	ليلاً نهاراً وما احتاجوا إلى القات
وقسموا الليل فى تسبيح خالقهم	وبحث علم وفى أنواع طاعات
فما توانـوا ولا ملوا ولا كسلوا	ولا استعـانـوا بمضغ للـنباتات

أسلاهم الشوق والذوقُ الذى وجدوا	عن طيبات لهم حلَّتْ ولذات
واستغرقوا الوقت فى خير به اشتغلوا	فى جل أوقاتهم عن بعض أقوات
أولـئكم حفظ الله العظيمُ بهم	معالم الشرع من كل النقيصات
ما أبعد الفرق بين القوم فى صفة	وبـيـنـنـا ياحـثالات الحثالات

★★★

صفات ربّنا حقيقة

يقال إن أفلاطون قد سئل ذات يوم كيف تخالف آراء أستاذك سقراط ، وهو الذى لا تكاد ترفع عليه أحداً من الناس ؟ فأجاب : نحب سقراط ونحب الحق ، ولكن الحق أحب إلينا من سقراط ، وقد رأينا تلميذى أبى حنيفة الأفضلين لا يترددان عن خلافه فى كثير من الأمور للغاية نفسها ، وهو من أكرم الناس عليهما ، رحمة الله على الثلاثة أجمعين .

ذكرت هذا وأنا استمع إلى فضيلة الأخ الأثير ، شيخ الأدباء ومحدث الشعب ، الأستاذ على الطنطاوى فى برنامجه المرغوب(مسائل ومشكلات) وذلك فى الساعة الثامنة إلا ربعا من مساء الأربعاء الواقع فى التاسع والعشرين من ربيع الآخر ـ عام ١٣٩٦ هـ ـ وكان السؤال الذى أجاب عليه يتعلق بمفهوم (القَدَم) فى الحديث الشريف الذى أخرجه البخارى عن رسول الله ﷺ من أن النار لا تفتأ تتطلب المزيد من الأشقياء حتى يضع فيها الجبار قدمه ـ وفى رواية أخرى رجله ـ .

لقد رأيت الأستاذ كمن يقدم رجلاً ويؤخر أخرى وهو يحاول البحث عن الجواب الجامع المانع .. حتى اتكأ على إحداهما أخيراً وقطع بأن القدم فى الحديث ليست على ظاهر اللفظ ، وإنما هى لون من الكناية ـ التى يراد بها لازم معناها ـ وراح يؤكد ذلك بكلام نقله من (لسان العرب) وخلاصته أن المراد بالقدم هنا هم أهل النار ، ويروي عن اللسان كذلك ما يثبت هذا التخريج بعبارات تثبت أن العرب يستعملون القدم بمعنى الطليعة ، ومقدمة الجيش وما إلى ذلك . ثم مضى فضيلته يفرعُ على هذا الأصل بعرض طائفة من مشتقات القدم ..

ولو أن تقدير الإنسان لآخر يوجب السكوت عن كل ما يقول لكان علي ـ بالأقل ـ أن أسكت على ما سمعت فلا أتعقبه بشىء ، ولكن الواجب يقتضى غير ذلك ، لأن الموضوع أخطر من أن يهمل ، ولأن مكانة الأخ العزيز تجعل لقوله وزناً وأثراً يتعذر

اقتلاعه من النفوس ، سواء كان ذلك الأثر سلباً أو إيجاباً ، وهذا ما حفزنى على أن أتناول الموضوع بشىء من التفصيل رجاء أن نتلاقى على القرار الذى يطمئن إليه قلب المؤمن ، وملئِ اليقين بأن فضيلة الأخ سيكون على غاية من السرور إذا وجد فى عرضى هذا الحقَّ الذى لا يعدل به شيئاً آخر .

فأول ما أسترعى إليه إنتباه الأخ هو وقوفه فى نقوله من لسان العرب على القول المنسوب إلى الحسن وأصحابه وقبوله دون مناقشة ، ودون تتبع للمصادر التى استقى منها ابن منظور هذا القول ، على خلاف ما عودَناه فضيلته من إيثار للتحقيق والتدقيق فى مثل هذه الأخبار الهامة ، يضاف إلى ذلك إغفاله الرواية الأخرى المقابلة لتلك عن اللسان نفسه وهى القول بأن الخبر (متروك على ظاهره ، ويُؤمَن به ، ولا يفسر ولا يكيف ..) ولو هو قد فعل ذلك لابرأ ذمته ، ولترك للسامعين أن يعرضوا الأمر على مطالعاتهم وفطرهم ، فيختاروا أيهما أليق بكماله تعالى ، وبما وصف به نفسه فى الكتاب الحكيم وعلى لسان رسوله الكريم ﷺ .

وقد لوحظ من خلال محاولاته الوصول بالأمر إلى القرار النهائى ، شدة تعويله على جانب الأشتقاق اللغوى فى تفسير (القدم) وذلك بحشده الأشتات من الكلمات المحتوية على حروفها ، ومع أن اتصال اللفظ بصفات الله يقتضى الرجوع باستيضاحه إلى أيمة الحديث والتفسير والفقه بالدرجة الأولى ، فقد أغفل هذا الجانب تماماً مكتفياً بالدلالات اللغوية ، وهو الأديب البليغ الذى لا يفوته أن اللغة واحدة من وسائل المعرفة الكثيرة فى هذا الميدان ، وأن كل ما يتعلق بأسماء الله وصفاته إنما يعتمد فى تحديده على المأثور من حديث الرسول ﷺ وفهوم السلف .. ولو تُرك أمره إلى اللغويين وحدهم لاضطرب الحبل ، وضاعت الحقيقة فى ركام المجازات والكنايات وما إليها من معمِّيات ..

ثم شىء آخر لا مندوحة من التوكيد عليه فى نقول اللسان .

إن هذا المعجم الموسوعى قد ألفت أصوله فى ظروف متأخرة ، ثم جاء ابن منظور رحمه الله ليضم بعضها إلى بعض فى عهد تراكمت أثناءه مقررات الفرق وأهل الكلام والمتفلسفة ، فابتعدت السبيل بالفكر الإسلامى عن ينبوع الوحى المصفَّى ، إذ أصبحت آراء الرجال هى الحكم الفصل فى كل خلاف بين الكثرة من أهل العلم . وما كان لابن

منظور ولا سواه أن يتخلص من آثار ذلك الجو إلا من رحم الله ، ومن هنا تسللت إلى أعمالهم اللغوية والثقافية تلك الشواذ التي لم ينقل مثلها عن أحد من أئمة الهدى فى خير القرون .

وعلى هذا فإن مجرد إلحاق مثل تلك الرواية بالحسَنِ وأصحابه لا يكفى للقطع بصحتها ، لأن الإقدام على تحكيم اللغة والهوى فى تأويل صفات الله لم يكن مما يسوغه التابعون أو يسكتون عليه ، فضلاً عن أن يقبلوه ويقولوا به ، وإنما نجم ذلك على لسان بعض المتلّمذين ليهود والصابئة بعد عصر الحسن بزمن ، ثم تفاقــم الأمر بعد محنة الإمام أحمد ، وشرع المتأثرون بمترجمات الفلسفة يطلقون سهامهم لتحريف المفهومات الإسلامية عن صفات الحق سبحانه .. ولم يتورعوا عن الكذب على الأئمة بأن ينسبوا إليهم ما لم يقولوه ، أو يذهبوا بأقوالهم إلى غير ما أرادوه . وقد نقل شيخ الإسلام ابن تيمية عن الطبرى عن الاسفرائينى عن محمد بن الحسن صاحب أبى حنيفة (أن الفقهاء كلهم اتفقوا على الإيمان بالقرآن والأحاديث فى صفة الرب عز وجل من غير تفسير ولا وصف ولا تشبيه ..) وروى البيهقى بإسناد صحيح عن أبى عبيد القاسم بن سلام أن (هذه الأحاديث التى فيها : ضحك ربنا من قنوط عباده ، وأن جهنم لا تمتلىء حتى يضع ربك فيها قدمه .... هى عندنا حق حملها الثقات بعضهم عن بعض ، غير أنا لا نفسرها ، وما أدركنا أحداً فسرها[1] . فليت شعرى .. ألا يسعنا اليوم ما وسع أمس أولئك السادة من أهل الحق ، فنقف حيث وقفوا من أوصاف الله نفسه ، وأخبار رسوله عنه ، فلا نتجاوز سبيلهم إلى التأويل والتعطيل وما يقاربهما ! ...

وما الذى يحول بيننا وبين الإيمان بأن لربنا قدماً وعيناً وسمعاً وبصراً وساقاً وما إلى ذلك مما ثبت من صفاته العلى فى كتابه وحديث رسوله ﷺ ؟ . وفيم نفتح على أنفسنا أبواب التكلف فنصرفها عن وجوهها إلى المجازات والكنايات وما فى سبيلها ؟ ..

إذا كان الباعث على ذلك خوف الوقوع فى التشبيه والتجسيم فقد كفانا الله ذلك الخطر بنفى مشابهته لخلقه فى أى شىء ، فنحن نؤمن بكل ما صح عنه وعن رسوله فى صفاته مع كمال تنزيهه عن المشابهة .. فيده وقدمه وعينه مثلاً كعلمه وقدرته وحكمته ، نثبتها كلها على الوجه اللائق بكماله سبحانه . فكما أن علمه لا يشبهه علم الإنسان ،

---

(١) مجموع الفتاوى ج ٥ ص ٥٠ و ٥١ ط ١ ــ الرياض ــ

وقدرتُه وحكمته لا مجال للمشابهة بينهما وبين هاتين الصفتين فى مخلوقاته ، كذلك الأمر فى القدم واليد والعين ، لا تشبهها قدم ، وعين لا تناظرها عين ، ويد لا تقاس بها يد ..

ونحن نقرأ فى كتاب الله وصفه لألوان النعيم فى الجنة فلا نتصور أنها من النوع نفسه الذى نتمتع به فى الدنيا ، وإنما لكل من النعيمين مزيته المناسبة لبيئته .. وقد ورد عن ابن عباس رضى الله عنهما أن ليس فى الجنة من أشياء الدنيا إلا الأسماء . فالاشتراك إذن بين النوعين إنما يقع فى اللغة دون الماهية ... وكذلك صفاته تعالى أطلق عليها أسماء أشياء نعرفها ، والفرق بين هذه وتلك هو فرق ما بين الفانى والباقى ، والناقص والكامل ، تعالى ربنا عما يقول المشبهون والمعطلون علواً كبيراً .

وأخيراً .. لنقف قليلاً أمام بعض هذه الأحاديث التى هى مدار الحديث .

فى الصحيحين من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : (يقبض الله الأرض ويطوى السموات بيمينه ، ويقول : أنا الملك ، أنا الملك ، أين ملوك الأرض ؟ !) وفى مسلم عن ابن عمر رضى الله عنه (أين الجبارون .. أين المتكبرون ؟ !) .

وقد ورد هذا الحديث بألفاظ أكثر تفصيلا وأشد تهويلا ، كالذى رواه ابن منده وابن خزيمة وغيرهما من الأئمة عن ابن عمر رضى الله عنه أنه رأى رسول الله ﷺ على المنبر وهو يقول : (يأخذ الجبار سمواته وأرضه .. وقبض بيده وجعل يقبضها ويبسطها ويقول : أنا الرحمن ، أنا الملك ، أنا القدوس ، أنا السلام ، أنا المؤمن ، أنا العزيز ، أنا الجبار ، أنا المتكبر. أنا الذى بدأت الدنيا ولم تك شيئاً . أنا الذى أعيدها ، أين الجبارون . أين المتكبرون ! !. ويصف ابن عمر رضى الله عنه رسول الله أثناء ذلك قائلا : (ويتميل رسول الله على يمينه وعلى شماله حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل شىء منه حتى إنى أقول : أساقط هو برسول الله ؟ ! ..)

ومعلوم أن أصل الحديث فى قوله تعالى ﴿ **وما قدروا الله حق قدره ، والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة ، والسماوات مطويات بيمينه . سبحانه وتعالى عما يشركون** ﴾ ٣٩ / ٦٧ .

فهاهنا يمين الله يمسك بها السموات والأرض ... قابضاً باسطاً مهدداً منذراً ، وقد أُخذ رسول الله بهول الموقف فهو يهتز يمنة ويسرة حتى ليخشى ابن عمر عليه السقوط ..

وفى الصحيحين عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه « أتى النبى ﷺ رجل من اليهود فقال : يا محمد إن الله يجعل السموات على إصبع ، والأرضين على إصبع ، والجبال والشجر على إصبع ، والماء والثرى على إصبع ، وسائر الخلق على إصبع ، فيهزهن فيقول : أنا الملك أنا الملك ..) .

يقول عبد الله رضى الله عنه فضحك ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقاً لقول الرب ، وقال ﴿ **وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته** ﴾...

فهاهنا أيضاً أصابع مضافة إلى الرحمن ، يسمع رسول الله ذكرها فلا ينكره ، بل يقره ويؤيده بتلاوة الآية ..

فأى هذه الآثار الثابتة يجرؤ على التردد فى قبوله عاقل ؟ .. وأى معنى غير الحقيقة يستخلصه من خلالها لغوى ؟ !.. وهل ثمة من مجال للكناية أو المجاز فى هذا العرض الذى يزلزلنا برهبته ؟ !..

إن ربنا فى هذه الأخبار القاطعة يمجد نفسه ، وله المثل الأعلى ، وهو الحقيق بكل تمجيد ، فيذكر بعض صفاته المعنوية التى يتفق على الإيمان بها المسلمون قاطبة ، فأى فرق بينها وبين قبضه السموات والأرض بيمينه ، وهو من صفاته الذاتية [1] . إن بعض صفاته الأولى مما يطلق أيضاً على بعض خلقه ، فيقال : فلان ملك وعزيز وجبار ومتكبر.. ولكننا متفقون جميعاً على أنها فى المخلوق غيرها للخالق سبحانه . فعلام نختلف فى شأن اليمين ـ والأصابع ـ فنقول إنها على الحقيقة اللائقة بكماله تعالى دون تكييف ولا تحريف ، ويقول الآخرون إنها وإنها وإنها ، حتى ليكادون ينتهون بها إلى غير شىء ! .. ثم يكون حصيلة ذلك الرفض لحقيقة الصفات أن ينجرَّ أصحابه إلى تأويل كل صفة ذاتية لربهم ثبتت له فى القرآن أو السنة الصحيحة ، كما فعل المعتزلة بتأويل معظم صفات الله ، حتى أوشكوا أن يشركوا النصارى فى وصف ربهم بأنه (محبة) .. أى أنه معنى لاذات له ! ..

أليس خيراً وأسلم للمسلم أن يقف مع الأولين الأفضلين من سلف هذه الأمة بإزاء هذه الأمور فلا يلقى بنفسه فى المتاهات التى سلكها المتأخرون من المتفلسفة والمتكلمين ! ! .

---

(١) أنظر « لوامع الأنوار .. » للسفارينى ج ١ ص ٩٩ و ٢٣١ .

ألسنا قد أثبتنا لربنا ذاتا لا كالذوات ، فما المانع من إثبات صفات لا كصفات المحدثات ؟ !

يقول سفيان بن عيينة رحمه الله : « كل ما وصف الله به نفسه فى كتابه فتفسيره قراءته والسكوت عنه . ليس لأحد أن يفسره إلا الله ورسوله »[1] .

وهذا ما ندين الله به فنثبت له سبحانه ما أثبت لنفسه ، ونقول ما قاله أهل الحق ، من أن المراد باليدين إثبات صفتين ذاتيتين تسميان يدين[1] ، ومثل ذلك نقوله فى القدم والساق والأصابع والكف والعين والسمع والبصر ، ولا نتجاوزه إلى ماليس لنا به من علم .

* * * *

وأخيراً إن القيمة التى توزن بها كلمات الأخ الطنطاوى هى التى حفزت إلى كتابة هذا التعقيب ، وهو قد أعلن رأيه لعشرات الآلاف من مستمعيه ، فلا أقل من أن يقرأ هذه الكلمات بعض هؤلاء المستمعين ، ليستيقنوا أن هناك أفهاماً أخرى تنظر إلى الموضوع من غير الزاوية التى أطل منها .

ولا حاجة للاعتذار إلى فضيلته ، فإنا وإياه على سواء فى إيثار الحق على أى اعتبار آخر إن شاء الله . والحمد لله ملهم الصواب .

---

(١) المرجع نفسه .

يا أنصار الغناء

تعالوا إلى كلمة سواء

لفضيلة الشيخ سيد سابق منزلة عالية فى قلوب قرائه وعارفيه ، وهو حقيق بذلك بما أسهم فيه من تجديد للفكر الدينى ، فبكتابه (فقه السنة) يشد القارىء إلى المنبع الأصيل من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وفى مقالاته التى يطالع بها قراءه فى المنشورات الإسلامية عمق وتحليل يساعدان على إبراز المكنونات البعيدة من المعانى التى لا يقع عليها إلا الممتازون الملهمون .

ولكن إعجابنا بالشيخ من هذه الناحية لا ينبغى أن يصرفنا عن الجوانب الأخرى التى يدفعه الاجتهاد بها إلى نتائج لا يكون دليله فيها من النوع القطعى ، وقد ينطوى إغفال التنبيه إليها على مؤثرات بعيدة المدى فى قلوب الشباب الذين لم تنضج لديهم ملكة النقد والتمييز .

قبل أيام وقع فى سمعى صوت الشيخ فى إذاعة الكويت وهو يجيب على سؤال يتعلق بالغناء وموقف الإسلام منه ، وخشيت أن يغلبنى النوم فيفوتنى بعض رأيه فضغطت إصبع المسجل ليحتفظ لى ببقية كلامه كى أعود إليه فيما بعد ، وأستعيد جواب الشيخ حفظه الله فإذا هو يتحدث عن أنواع الغناء الذى يعتبره من المباح الطيب ، فتغنٍّ فى الفرح إشهاراً له وإعلاناً عنه ، وتغنٍ فى الأعياد إظهاراً للسرور ، وتغن للجنود لينشطوا فى الجهاد فى سبيل الله .. ثم يعقب على ذلك بقوله : (والغناء ما هو إلا كلام حسنه حسن وقبيحه قبيح ، فإذا عرض له ما يخرجه عن دائرة الحياء كان حراماً مثل أن يهيج الشهوة ، أو يدعو إلى فسق ، أو يتخذ ملهاة عن القيام بالواجب وطاعة الله .. ويذكر خبر الجاريتين اللتين كانتا تغنيان وتضربان بالدف فى بيت رسول الله ، وقد أنكر عليهما الصديق رضى الله عنه ذلك ، فقال له نبى الله ﷺ : دعهما .. فإنها أيام عيد .) .

دور الغناء فى تاريخنا

وقبل التعقيب على كلمات الشيخ ، لا نرى مندوحة عن التذكير بالظروف التى تطرح فيها مثل هذه الأسئلة ، وموقف الفقيه فى تقديرها عندما ينتدب للجواب عليها .. فمازال صحيحاً أن الحكم فى الشيء فرع عن تصوره ، وأقل ما يجب التنبيه إليه بإزاء هذا الضرب من الاستفتاآت ـ بل الاستدراجات ـ هو ذلك الوضع الذى صار إليه الغناء منذ غياب العهد الراشدى ، وما أعقبه من تخلخل الضوابط الإسلامية فى حياة المجتمع ، حتى غلب اللهو على الجد ، واقتحم المجون ميدان التوجيه الشعبى ، فزاحم عليه كل المقومات الفضلى ، وبذلك أفرغت نفوس العامة من عناصر القوة ، ثم انتهت إلى الانهيار الذى دمر أخيراً حضارة الإسلام ، وذهب بقوة المسلمين فى غرب العالم الإسلامى وشرقه ...

الإسلام والغرائز

إن الغناء فى أصله ليس إلا وسيلة فطرية للتنفيس عن النفس ، فإليها يلجأ الإنسان فى فرحه وحزنه وحيرته وقلقه ، وذلك أمر مشهود فى الطفل والشيخ ، والمخرون والمحبور والتعب ، وحتى فى الحيوان ، وغير معقول أن يمنع الإسلام هذه الغريزة من التعبير عن ذاتها عند الحاجة ، وهو الذى راعى فى نظامه الأقوم وآدابه البناءة كل جوانب الفطرة ، فأرشد إلى خير السبل فى توجيهها واستصلاحها والموازنة بين عناصرها جميعاً .

ولنضرب لذلك مثلاً بفن الرسم .. إنه دون ريب تعبير فطرى عن هوى أصيل فى أعماق النفس البشرية ، ينزع بها إلى محاكاة الواقع خارج الذات ، أو يحفزها إلى تصوير مشاعرها الذاتية من الداخل ، وليس هو خاصاً بنفس دون أخرى ، لكنه يتفاوت من حيث القوة بتفاوت الأسباب ، حتى يكون فى واحد أشد بروزاً أو خفاء منه فى الآخر .. وقد عالج الإسلام هذه الموهبة بتوجيهها فى الطريق الأسلم ، فنهى المسلم عن تصوير ذوات الروح ، فى حين فتح له أبواب الطبيعة على مصراعيها .. يحاكى أشكالها ، أو يبدع ما شاء له الخيال من الأشكال الجديدة ، حتى امتاز فى العالم بفن طريف كان موضع الدهشة والمتعة عند كل ذى حس جمالى .. وبذلك صانه من السقوط فى أوحال عبادة الجسد ، التى انصرف إليها الفن الوثنى وورثته فى الغرب والشرق ..

وعلى هذه القاعدة الحكيمة عالج الإسلام موضوع الغناء ، فلم يقهر غريزة المسلم على تركه نهائياً ، ولم يدعه لأهوائه تنطلق به فى طريق الشعوب ، التى اتخذت منه علماً يدرس ، وفنا يمارس ، ثم صار بها الأمر إلى أن جعلت منه عبادة أقامت لها الآلهة ، ونصبت لها التماثيل .. وأقبل عليها الجميع ما بين إخصائى يقف مواهبه عليها فلا يحسن سواها ، وهاوٍ لا يستطيع عنها فكاكا ، فهو ينظر إلى هؤلاء المحترفين للغناء كما ينظر العبد إلى ربه ..

الإسلام والغناء

أجل .. لقد سما الإسلام بالمسلم عن هذا الشذوذ النفسى ، فوفر له المجالات التى تشبع غريزته من الغناء ضمن حدود الحكمة .. فأمره بترتيل القرآن ، وحسن له التغنى به ، وجعل لهذا الترتيل أصولاً تصور معانى القرآن ، وتبرز جمال صياغته المعجزة ، كما تحفظ فى الوقت نفسه للعربية أَلَقَها الباهر ، وخصائصها المميزة على مر الدهر .. وبذلك أقام الإسلام للمسلم فناً جديداً يروى ظمأه ، ويمتع وجدانه ، ويسمو بأشواقه الروحية إلى آفاق لا يحلم بها سواه ..

هذا إلى أنه لم يضيق على النفس من الجوانب الأخرى ، فأباح لها التغنى فى مختلف المناسبات ، كالزفاف واستقبال المسافر ، وفرص الأعياد ، دون أن يفرض عليها قيداً سوى نظافة الكلمة ، ورصانة التصرف الذى يليق بالإنسان الكريم .

وهكذا يتخذ الغناء فى ظل الإسلام مظهرين يبدو فى أحدهما فناً مستقلاً له قواعده وقوانينه ، وله ثماره وأهدافه التربوية ، المتمثلة فى تجديد الأشواق الوجدانية ، وإعداد النفس للجلوات الروحية .. ويكون الثانى انطلاقاً من الفطرة فى الأحوال التى تستدعى ذلك الانطلاق ..

وطبيعى أن دينا يعد الإنسان لمهمة الهداية الإلٰهية والقيادة العالمية ، يستحيل أن يرضى عن تلك الحفلات الموسيقية التى يحتشد لها عشرات الآلاف ، بل الملايين من الناس ، عن طريق المشاهدة المباشرة .. وغير المباشرة ، وقد رتب فى صدرها المنقطعون إلى العزف بمختلف الأدوات حتى خشاخيش الأطفال .. وانتصب فى وسطهم ذلك المغنى أو تلك القينة ، تتهاوى على أعين الهواة فى تمعج وكبرياء يخيل إليها أنها تحيي وتميت ... وقد يتوهم بعض ناظريها أن بيدها الإسعاد والإشقاء ، فلا يتمالك أن يقفز

نحوها ليمرغ وجهه على قدميها ، كما فعل الممسوس الذى نشرت مجلة (العربى) صورته وجبهته على قدمى أم كلثوم ، وهى تغنى على المسرح الفرنسى فى باريس ! .. ولم يكن هذا المعتوه بدعاً من الخلق ، فقبله كان شاعر الفجور الأكبر عمر بن أبى ربيعة إذا أخذه الوجد بالصوت يصرع فلا يصحو إلا أن ينضح بالماء .. وفى الأندلس يبلغ الهيام بالغناء إلى حد أن خليفة لا يتمالك أن ينخلع من وقاره بإزائه ، فإذا هو ينهض ليتراقص مع ابن شُهيد الشاعر الماجن على ألحان القيان ... ويسرى ذلك فى العامة حتى يحتشدون بالآلاف حول القصور ليشاركوا فى السماع تماماً كما يفعل اليوم مئات الألوف بل الملايين حين يقضون معظم الليل فى الاستماع إلى مسجلات تلك المغنية ، التى برهن المليون من مشيعى جنازتها أن هذا الضرب من المخلوقات أعلى وأغلى فى قلوبهم من عباقرة العلم ، وأبطال الجهاد ، وسائر أصناف البشر دون استثناء ..

ولعل قراء هذه الأسطر لم ينسوا بعد أن زوجة رئيس الوزراء فى إحدى دول المسلمين قد تخلت عن بعلها وأطفالها لتلحق بفنان هامت بألحانه ، وسكرت بأنغامه ، فلم تصح إلا وقد نقضت غزلها وخربت بيتها بيدها ، وخنقت فى قلبها المسحور كل مشاعر الأمومة ..

ومَن مِن الناس لم يسمع بتهاريش النسوة على فريد الأطرش ، هذه تفضله وتلك تفضل عليه ، حتى ينتهى الأمر بينهما إلى التضارب ، بل إلى استخدام السكاكين .. إى والله السكاكين ! ...

واقع الغناء اليوم

ونعود الآن إلى عبارات الشيخ ..

إنه يقر الغناء فى نطاق المباحات ، إلا أن يعرض له ما يخرجه عن ذلك ، بأن يهيج شهوة أو يدعو إلى فسق ، أو ينبه إلى شر ، أو يتخذ ملهاة عن القيام بالواجب وطاعة الله .

والمفروض فى فضيلته أنه ملم بروح عصره وبيئته ، فلا يفوته واقع الغناء الذى أصبح فناً يجتذب الملايين ، وله أساطينه الذين لا يقيمون وزناً لهذه الشروط التى أوردها . وهاهى ذى أغانيهم المترددة على الألسن ، مشحونة بالمهيجات المفسدات الدافعات إلى كل شر وفسوق ، لا تغطِّى سوآتها قصيدة فى مدح الرسول ، أو أنشودة

فى الحث على الجهاد .. أما الهاؤها عن الواجب وطاعة الله فيسأل عنه جماهير المفتونين بها ، الذين يترقبون فرص تلك المسجلات ليساهروها إلى ثلث الليل الأخير ، دون أن يغمض لهم جفن ، حتى إذا سكتت سقطوا فى فراشهم مخمورين ذاهلين لا يعلمون ما يعملون ، وهم عن ذكر ربهم غافلون ، وعن النهوض لصلاة الفجر ـ حتى لو أرادوها ـ عاجزون ..

ثم هل نسى الشيخ حفظه الله أن الغناء الذى يسأله عنه السائل ليس هو ذلك العفوى الذى تستدعيه المناسبات المباحة ، بل هو ذلك الفن الذى تعقد له الحفلات العامة ، وتنفق فيه الأموال الطائلة ، وتسخر لبثه أجهزة الدولة ، ويعطى (الأرتيست) كل الفرص لاحتكار الثروات ، وامتلاك العقارات ، والوصول من الغنى إلى أعلى الدرجات ! .. مما لا يحلم ببعضه عالم مكين ولا عامل أمين .. وهل نسى فضيلته أن جوابه ، البعيد عن هذا الواقع ، سيعطى دعاة هذا المجون فرصاً جديدة لترويج سلعتهم ، حتى فى أوساط البسطاء من أهل الدين ! ..

الغناء المباح والمنكر

أما استناد الشيخ فى حِلّية الغناء على خبر الجاريتين اللتين كانتا تغنيان وتضربان الدف فى بيت رسول الله ﷺ فلا بد من الوقوف عنده قليلا ، ذلك لأن الناصرين لفنون الغناء كثيراً ما يلوحون به فى وجوه المتحفظين بشأنه ، على حين أن الأمر لا يزيد على دف وطفلتين ، كما حقق ذلك أولو العلم من أئمة الحديث .. ومع ذلك فلا شائبة فى غناء النساء بالكريم من القول فى مثل تلك المناسبات ، على أن يظل ذلك فى حدود المشروعات ، أما حين يصل أمر الغناء إلى ما هو عليه الآن فلن يواجه من الشريعة إلا الرفض والإنكار ، لما يترتب على شيوعه من توهين للعزائم ، وتمييع للنفوس ، وتعطيل للطاقات ، ونشر للتخنث ، ومن هنا جاء الحكم برد شهادة المحترف للغناء فى القضاء الإسلامى ، كما فعل ذلك القاضى المصرى الفاضل حين رد شهادة مغن ، على الرغم من سخط الفنانين ومن وراءهم ـ جزاه الله خيراً ـ

الدف والمعازف

ثم إن احتجاج بعضهم بالدف لإباحة المعازف ، على اختلاف أشكالها فردود

بإجماع الأئمة الأربعة على تحريم آلات اللهو جميعاً لقوله ﷺ فى الحديث الذى أخرجه البخارى وغيره : (ليكونن من أمتى أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف .. إلى أن يقول ﷺ ـ ويمسخ آخرين قردة وخنازير إلى يوم القيامة) .

ومما يسترعى الانتباه فى الحديث جمعه ﷺ بين هذه المنكرات الأربع ، بما يشير إلى ارتباط بعضها ببعض ، وإلى انسلاخ أصحابها من أخلاق الإسلام ، حتى ليكونون أشبه بالقردة من حيث التقليد ، وبالخنازير من حيث فقدان التميز بين الخبيث والطيب ، ولهذا لم يرد فى سائر الآثار التى عرضت للغناء المباح ذكر لغير الدف ـ أو الغربال وهما واحد ـ من أدوات اللهو ، مع أن العرب قد عرفوا العديد من الآلات الوترية وغيرها أثناء ئذ . وإنما دخلت على المسلمين هذه الموسيقى المفلسفة فى القرن الثالث على أيدى الفارابى وابن الراوندى ، وابن سينا وأضرابهم تأثراً بما قرؤوه عنها فى تعاليم أرسطو وأتباعه من المشائين ، فهى والحالة هذه فن دخيل لا علاقة له بالإسلام ، ولا سبيل لإفراغ الصبغة الإسلامية عليه ، مهما تكلف المتكلفون ، ودبج فى الترويج له الكاتبون والمؤلفون !

وأخيراً إن كثيرين من المخدوعين بدعايات اللهو مأخوذون بالقول إن للموسيقى أثرها البالغ فى إرهاف الشعور ، وترقيق القلوب ، وتزكية النفوس ، وتهذيب الأخلاق ، وهو ما ذهب إليه أتباع الفلسفة اليونانية ، من المتهمين بدينهم فى العصر العباسى وبخاصة أصحاب (رسائل إخوان الصفا) . والواقع أن الموسيقى ، سواء كانت خالصة أو مزيجة بالغناء إنما هى ضرب من وسائل التهييج والتخييل ، كأى صنف من المخدرات المشتتة للوعى . وهذا ما حفز هؤلاء إلى أن يدَّعوا ما نسبوه إليها من الخصائص ، وليس زعمهم هذا إلا كزعم مدمنى الخمر والمخدرات حين يقولون أنها تمنحهم لحظات فى السعادة لا سبيل إليها إلا عن ذلك الطريق ! ..

والحق أن الأمر على خلاف ما يزعم غواة هذه الفنون ، ولو صح بعض ما ادعوه للموسيقى من فضيلة لظهر فى أخلاق الغربيين ، الذين يعتبرونها غذاءهم النفسى ، وعبادته اليومية .. ومع ذلك فهم أقسى الخلق قلوباً ، وأشدهم بغياً وظلماً واستكباراً على عباد الله ، واستهتاراً بحقوق الضعفاء .. وقد حدث أن زميلاً لى كان يتحدث ذات يوم عن الموسيقى حتى ليقول : إنها تجعل من وحشى الطباع إنساناً رقيقاً رفيعاً . وكان

ذلك أثناء الثورة الجزائرية ، وقد انطلق الوحش الفرنسى يدمر الجزائر على رؤوس أبنائها ، فقلت : لذلك ترى الفرنسيين يقتلون إخوانك على أنغام الموسيقى ! ولمدمنى الغناء المشغولين به عن ذكر الله ، وهم يحسبون أنه يقربهم من الله ـ عياذاً بالله ـ نقول : على رسلكم فاسمعوا إلى شهادة ابن مسعود رضى الله عنه فى هذا الضرب من اللهو إذ يقول : (الغناء ينبت النفاق فى القلب كما ينبت الماء الزرع[1] وأى نفاق أكبر من أن يسمع أحدهم كتاب الله يرتل ، وحديث رسوله يتلى فلا تحنُّ جوارحه ولا يوجل قلبه ، ثم لا يتمالك أن يصعق ـ كابن أبى ربيعة ـ أو يكاد إذا مر بسمعه ترجيع غانية على لحن معزف ! .

ولأنصار الغناء وعشاق نجومه نقول أيضاً : بوسعكم أن تستنصروا لقضيتكم بتلاميذ الفلسفة الإغريقية ، وبإخوان الصفا الباطنية ، وبسيفا راقصة المعابد الهندية ، وحتى بالحواة الذين يستخرجون الثعابين من جحورها بالمعازف والألحان الغنائية .. أما أن تحاولوا الإتكاء على الإسلام فى ترويج بضاعتكم فجهد مهدور لا حصيلة له سوى الإخفاق ، ولو أفتاكم المفتون ، وخدع بدعايتكم المغفلون ..

ومعذرة لفضيلة الشيخ الذى نكن له كل تقدير .

---

(١) سنن أبى داود ج ٧ رقم ٤٧٥٩ وقد تقرر لدى المحققين أنه من الآثار الموقوفة عليه ولكنه من حيث المعنى بمنزلة المرفوع .

الصّحابة لايستسلمون

سيادة الأخ المكرم محرر (نداء الجنوب) سلمه الله .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

فى العدد (١٦٨) من النداء العزيز قرأت مقالة الأستاذ « ابن حزم » (صفحات من التاريخ) وعلى الرغم من إعجابى بقلمه وأفكاره العالية وجدتنى مضطراً لإبداء بعض الملاحظات حول بعض النقاط التى ما يحسن السكوت عليها لمخالفتها للصحيح الثابت من أخبار غزوة أحد .

١ ـ يقول الكاتب المحترم عن الذعر الذى عم المسلمين عقيب الانتكاسة : (فألقى بعضهم السلاح وأخذوا يفكرون فى الإتصال بحليف المشركين عبد الله بن أبى ـ رأس المنافقين بالمدينة ـ ليعرض استسلامهم على قائد جيش القرشيين ويأخذ لهم الأمان منهم ظناً منهم أن النبى القائد ـ ﷺ ـ قد قتل ولا جدوى فى المقاومة .. وبينما هم حائرون يفكرون فى الاستسلام إذ أقبل إليهم أنس بن النضر .. وقد تكرر هذا المعنى فى المقال عدة مرات كقوله : « .. يعنى الصحابة الذين ألقوا السلاح وفكروا فى الاستسلام ..) وقوله عن تضحية أنس رضى الله عنه بأنها كانت (بمثابة العاصفة التى اقتلعت روح الاستسلام من نفوس الصحابة الذين كانوا قد قرروا القاء السلاح والاستسلام للمشركين ..)

ثم يقول : (.. فعدلوا عن فكرة الاستسلام وأخذوا أسلحتهم واندفعوا ..)

٢ ـ فهاهنا توكيد ملح على أن هؤلاء الصحابة قد ألقوا سلاحهم وأنهم أزمعوا الاستسلام للمنافقين والمشركين لم يردهم عن ذلك إلا مشاهد التضحية التى حققها أنس وبعض الثابتين على العهد ..

وهذا قول يعوزه التحقيق الذى سرعان ما يكشف زيفه ، حتى ولو نسبت روايته إلى بعض المشهورين الذين أشار إليهم الطبرى وابن كثير رحمهما الله .

٣ ـ وأول ما يعرض من الشك في ادعاء كهذا هو ما ينطوى عليه من اتهام لهؤلاء الصحابة برقة الدين حتى إنهم ليلقون سلاحهم ، ويفكرون بإعطاء الدنية التى تقربهم بل تعرضهم للارتداد . لأن أهل النفاق والشرك لن يرضوا عنهم بأقل من العودة إلى وثنيتهم .. وهو تصور مستحيل فى حقهم ، ولا سيما بعد استقرار الإيمان فى قلوبهم ومشاهدتهم الآيات ، وعيشهم فى غمار الوحى ، والتأثر العميق بالتربية النبوية ، وبخاصة أن بينهم بعض كبار الصحابة والمبشرين وحسبنا أن نذكر منهم عمر الفاروق رضى الله عنه الذى يقول فيه ابن مسعود : (ما زلنا أذلة حتى أسلم عمر ..)

٤ ـ إذا أعدنا النظر فى هذه الرواية كما جاءت فى تاريخ ابن كثير نلاحظ أنه عقب عليها بما يدحضها ويرذلها ، وذلك قوله : (وهذا غريب جداً وفيه نكارة) ومرد تلك إلى أمرين : متن القصة الذى لا يتفق مع إيمان أولئك الصحابة الذين أسهموا فى تثبيت صرح الإسلام وإعلاء رايته قبلا وبعدا ، ثم إسناد القصة الذى فيه مجهولان ، وهما شيخ ابن جرير وشيخ شيخه ، وأسباط عن السدى ، والأول مجروح بكثرة الخطأ والاغراب ، والثانى منبوذ بالتشيع .. ورائحة التشيع أبرز شيء فى القصة .. هذا فضلاً عن الانقطاع الذى لا يخطئه النظر ، إذ تقف الرواية عند السدى ، ثم لا ندرى عمن رواها .. وكفى بهذا مفنداً ومكذباً .

٥ ـ ولدى التدقيق فى خبر أنس بن النضر كما ورد فى رواية ابن اسحق ـ بصيغة التحديث ـ وكما أخرجه البخارى من حديث أنس ، وأحمد عن يزيد عن حميد عن أنس رضى الله عنه ، لا نجد أية إشارة إلى فكرة الاستسلام أو القاء السلاح بل كل ما هنالك أنهم ـ كما جاء فى رواية ابن اسحق ـ ألقوا بأيديهم ـ لا بأسلحتهم ـ وذلك كناية عن الوهن والحيرة من هول ما أصابهم حين سمعوا الخبر عن مقتل رسول الله ﷺ وسرعان ما عادوا إلى القتال بما سمعوا من تذكير أنس ، وبما علموا عن حياة قائدهم الحبيب ﷺ كما هو واضح من مختلف المصادر الصحيحة .

٦ ـ والخلاصة أن لا سند من الصحة لخبر الاستسلام أو القاء السلاح ، ولا يعقل أن يكون فى صحابة رسول الله ﷺ من يفكر بمفاوضة أعداء الله ، والتخلى عن

دينه ليمكن للوثنية وأهلها .. إلا إذا سمحنا لعقولنا بأن لا تفرق بين ذلك الرعيل المصفى وأحابيش اليوم .

وبعد ، فهذا ما رأيت التذكير به شاكراً للأستاذ ابن حزم وإخوانه جهادهم وغيرتهم . والله أسأل أن يوفقنا وإياهم إلى طاعته واقتفاء آثار أولئك الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه ، والحمد لله رب العالمين



إبراء للذمة

من مسلم ناصح صغير إلى شيخ المقرئين الكبير فى مصر ومن ثم فى العالم الإسلامى كله الشيخ محمود خليل الحصرى هدانا الله وإياه سواء السبيل .

الحمد لله الذى أكرم المؤمنين فجعلهم نصحة أمناء ، وأنقذهم بذلك من صفات الكافرين الغششة السفهاء . وصلى وسلم وبارك على صفوته من خلقه محمد وآله وصحبه ومن التزم سبيله ، ونهض بدعوته على بصيرة إلى يوم الدين .

أما بعد ، فقد سمعتك أمس تتلو فى مسجد رسول الله ﷺ ، وعلى مقربة من مثواه المبارك ، قوله تعالى : ﴿ **ويل لكل همزة لمزة ..** ﴾ فأثار ذلك فى نفسى ضروباً من التأملات ، وكان من غرائب الاتفاق أن تعترى هذه الحالة كثيرين غيرى أيضاً ، فإذا أحدهم يقول لآخر وهو يحاوره : كيف سمح هذا الرجل لنفسه أن يقدم على هذه التلاوة هنا فى مهبط الوحى ، وهو يعلم أن معصيته للوحى ومبلِّغ الوحى لم تتلاش بعد من أذهان الناس ، ولم يكد يفرغ الكرام الكاتبون من تسجيلها . أبهذا اللسان نفسه الذى افتتح أمس حفل الذكرى لأم كلثوم بآيات الحى القيوم ، يرتل فى مسجد رسول الله آيات الله ! .

وقال آخر : مسكين . ألم يقرأ فى كتاب الله غير هذا الويل الموجه إلى الهمزة اللمزة ! .. أولم يعلم أن ثمة ويلات كثيرة لكثيرين من العاصين ، وبينهم المصلون الذين هم عن صلاتهم ساهون ، والقاسية قلوبهم من ذكر الله ، الظالمون والأفاكون الآثمون ... ولا سهو عن الصلاة أهول من فقدانها روح التطهير من الفحشاء والمنكر ، حتى تصبح عادة يؤديها فاعلها كما يؤدى أى عمل آخر فى معزل عن الخشوع والوعى . وأى قسوة أشد من أن يقرأ امروء كتاب الله ، بل يتخذ منه حرفة للارتزاق ، ثم لا يتورع عن اقتراف المنكر الذى يخزى صاحبه فى الدنيا والآخرة ! ... وهل ثمة ظلم بعد الشرك أكبر من أن يفتتح مقرىء حفلة غناء بآيات من الكتاب الذى أؤتمن عليه ،

والذى يقول منزله تبارك اسمه ﴿ **لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله ..** ﴾ ألا يعلم هذا المسكين أن هذا عين الأفك وجماع الإثم ، وأدنى دركات التلاعب بكتاب الله ! ..

يا شيخ محمود .. هذا ما يقول عنك كل مؤمن يعى آيات الله ، ويفقه تعاليمه سبحانه فهل علمت ذلك ؟ .. وهل أتيح لك، من يبلغكه يا أبا الأفراح ؟ ! ..

لقد والله أحدثت فتقاً فى الإسلام يتعذر ، إذا لم يستحل ، رتقه بجرأتك على الله ، وإقتحامك تلك العقبة الخطيرة ، يوم رضيت لتلك الهاوية المغفلة أن تقوم مقام هاتيك القينة الصغيرة بنظر كل فاضل ، وإن كبر فى منظار كل سفيه غوى من أهل الباطل ، لتتغنى وتتمعج ، كى تستثير أعجاب الغواة الهواة من أذناب الشيطان ، كما فجرت الخمر من قبل مشاعر مدمنيها ، فراحوا ينظمون فى مدحها ونعتها أفانين الشعر ، وهم الذين بهم وبأضرابهم دمر الله حصون هذه الأمة فى بغداد والأندلس ، إذْ استطاعوا أن يجردوها من مقوماتها ، ويصرفوها عن رسالتها ، فذلتْ بعد عز ، وطمع بقهرها كل ذى عجز .

ولو أن أى فارغ من الخلق قدم ابنته لأسماع الغواة وأبصارهم على ذلك النحو ، ولو فى موكب من الآيات والذكر الحكيم ، لما كان لفعلته سوى أثر ضئيل ، يذكره الناس ثم لا يلبثون أن ينسوه ، أما أن يقدم على ذلك شيخ أزهرى يسمى فى لغة الدواوين شيخ المقارىء المصرية ، فتلك هى البدعة التى سيحمل إثمها وإثم من أخذ بها إلى يوم القيامة . ولعلك قرأت فيما قرأت من حديث رسول الله ﷺ قوله : « ... **ومن سن فى الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها ..** » . رواه مسلم .

وليس كل من ارتكب سوءاً يعتبر صاحب سنة سيئة ، أو يقال إنه أحدث فتقا لا يرتق . فالحشاشون كثيرون ، والسكارى أكثر ، وتاركو الصلاة .. والمتسلخات من آداب الإسلام بالسفور الذى ملأ بلدك ، هؤلاء كثير كثير . ولكنهم مع ذلك لا يؤلفون السنة التى يلحق وزرها صاحبها إلى يوم القيامة ، لأنهم عديمو الوزن فى قسطاس الناس ، فلا يؤبه لهم ولا يتأسى بهم .. وإنما المحدثون المحشورون فى زمرة الظالمين لأنفسهم وغيرهم هم الذين يحملون صفة العلم ، ويظن بهم الفقه والفضل .. ومن

أحق بأن يكون مظنة العلم والورع ـ فى نظر العامة وأشباههم ـ من أولئك المجودين للقرآن الهادرين به فى بيوت الله ، الشاحنين به أمواج الأثير إلى عباد الله ! ..

أجل يا شيخ محمود .. لقد سبقت كل المبتدعين إلى خرق هذا الفتق الرهيب ، لأن تاريخ الإسلام لم يعرف قط واحداً قبلك ، من كبار القراء أو صغارهم ، قدم كريمته للغناء فى محافل العابثين ، وفى موكب من آيات الكتاب المبين !

أنا لا أستبعد أن تكون قد ندمت على ما فرطت فى جنب الله ، وأسفت على ما أسلفت ، فآليت أن لا تعود لمثلها ـ كما قيل عن لسانك ـ ولكن ندمك وأسفك لن يمحوا وزرك الكبير أبداً أبداً ، إلا أن تعلن بكل ما وسعك من وسائل الإعلام أنك كنت بما فعلت فى ضلال ، وأنك تشهد الله وعباده على أنك أقلعت عنه إلى غير رجعة ، وستعمل على تكفيره بكل ما أوتيت من قوة ، رجاء أن يتداركك الله بعفوه ومغفرته . وما أدرى إذا كنت قادراً على ذلك وجارئاً .. وحولك من الشياطين من لا يرى فى جنايتك بأساً ، بل لا يرى فيها إلا سابقة مشكورة إلى العمل الصالح ! ..

استمع يا شيخ محمود إلى واحدة من فضائل حملة القرآن .

فى معركة المرتدين من بنى حنيفة أصابت المسلمين حولة بسبب اختلاط الطلقاء ـ ذوى الإسلام الحديث ـ بأهل السابقة العليا من المهاجرين والأنصار ، فكان الرأى استبعاد الطلقاء عن مباشرة القتال ، وتركه لتلاميذ النبوة الناضجين الصامدين ، وعُهد بلواء الإسلام إلى خطيب رسول الله ﷺ ثابت بن قيس بن شماس رضى الله عنه ، فأراد إخوانه ، أن يلهبوا رجولته ، فذكَّروه قائلين : إن الناس إنما يُؤتَون من قبل راياتهم ، فحذار أن تُؤتى من قبلك » . فدفن ساقيه فى الأرض ، وهو يقول لإخوانه : « بئس حامل القرآن إنا أن أتيتم من قبلى » .

ذلك شأن حملة القرآن من سلف هذه الأمة ، ثبات فى وجه الكفر كثبات الأرض فى وجه العواصف ، وتصميم على التحقق بكل عزائم القرآن حتى الموت .

فقس بهذا الطراز يا شيخ محمود أولئك الذين لا يفقهون من حملهم للقرآن سوى أنه وسيلة للارتزاق ، وسبيل إلى التنافس على الدنيا ، والحصول على إعجاب الفارغين العاطلين من تلاميذ الشيطان ! .

يا شيخ .. محمود إن الذين يحاربون الإسلام وينخلعون من ربقته كل يوم كثيرون لا يحصرهم إحصاء ، على حين أن الذين يلتزمون سبيله ، ويتفانون فى نصرته ، هم الأقلون المضطهدون .. ولكنهم وحدهم السعداء بمرضاة ربهم ، لأنهم الثابتون على عهد نبيهم ، لا يضرهم من خالفهم حتى تقوم الساعة . فإلى أى الفريقين تنحاز يا شيخ محمود ؟ . وبأيهما تلوذ ؟ فاختر لنفسك ، وتذكر أنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه ، فلن تنفعك فتوى فلان ، ولا تصفيق فلتان ، ولا تهريج علان (**يوم يعض الظالم على يديه يقول : يا ليتنى اتخذت مع الرسول سبيلاً يا ويلتا ليتنى لم اتخذ (فلاناً) خليلاً**)

إن الزلة لكبيرة يا شيخ محمود ، فأدركها بتوبة تغسلها ، وأعلن ذلك على الملأ كما اقترفتها على الملأ .. تلك نصيحتى أبعث بها إليك إبراءً للذمة ، وتذكيراً بالحق ، فافتح لها صدرك ، وتلقَّها بمثل الروح التى أملتها ، ولا تكن كذلك الذى (**إذا قيلَ له اتقِ الله أخذتْه العزةُ بالإثم**) .

(**إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت . وما توفيقى إلا بالله ، عليه توكلت وإليه أنيب**) .



موقف المؤمن عند ذكره ﷺ

إلى فضيلة الأخ الدعية الكبير

الأستاذ / أحمد محمد جمال

فى الصفحة العاشرة من عدد الثلاثاء : ٨٥/٧/٩ ـ الشرق الأوسط ـ قرأت كلمة الداعية الإسلامى الأستاذ أحمد محمد جمال تحت عنوان (سيدهم رغم أنوفهم) وكان ذلك بعد عشرة أيام من صدوره ، لأن البريد لا يصلنا فى مصطافنا من ترمال بتركية إلا متأخراً ، فليعذرنى فضيلة الأخ إذا لم يطلع على أسطرى هذه إلا بعد عشرة أخرى على الأقل أو عشرين ..

الموضوع الذى يعالجه الأستاذ فى زاويته تلك يجب أن يكون موضع اهتمام كل ذى قلب حىّ من المؤمنين ، لأن حب رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وآله هو أحد الأركان الرئيسة فى إسلامنا ما دام كمال الإيمان متوقفا على أن يكون أحب إلينا من أنفسنا وأموالنا وأهلينا والناس أجمعين . ولا أصرح بمجهول عندما أؤكد ما ذهب إليه فضيلة الأخ من جمود بعض المتحدثين فى الدعوة عند ذكره صلى الله عليه وآله وسلم ، إذ يمرون باسمه دون أن يعقبوا عليه بأى كلمة تنم عن الحب أو التقدير ... أو يحاولون ذلك بخليط من الأحرف لا يتبين من خلالها سوى كلمة (سلام) .

وقد بدا لى أن بعضهم قد يعمد إلى ذلك خشية الوقوع فى الغلو ، ولكنى لا أشك فى أن استمراره على هذا النحو مؤدٍ بقلبه إلى القسوة فى النهاية ، حتى لا يكاد يستشعر فارقاً بين ذكره وذكر سواه ... مع أن العلاقة بين المؤمن وبينه عليه صلوات الله وسلامه قائمة على اليقين المقترن بالحب بدليل التعبير النبوى الذى يركز على الحب بقوله ، فى الحديث الصحيح ، (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه ...) ومن طبيعة الحب

الأصيل الصادق أن يهيج التفاعل فى قلب صاحبه بمجرد ذكره أو سماعه ذكرَ الحبيب ، ومن هنا كان من أمارات البخل النفسى فى المسلم ـ كما ورد فى الأثر ـ أن يسمع ذكره ولا يعقب ذلك بالصلاة عليه ...

وأنا لا أستطيع أن أفهم كيف يأمل بالنجاح عامل فى نطاق الدعوة إلى الله ورسوله إذا بلغ من الجمود فى القلب والعين إلى مثل هذه الحدود ! ..

● ونعود إلى فكرة السيادة لرسول الله وحكم التلفظ بها عند ذكره خارج الصلاة ، وقد وفى الأستاذ ذلك الموضوع بالأدلة الشرعية الماثلة فى كتاب الله ، الذى يأمر المؤمنين بتعزيره وتوقيره وخفض الصوت فى حضرته ، ثم فى الحديث الصحيح الذى يعلن سيادته على صفوة خلق الله من النبيين والمرسلين والناس أجمعين...

إلا أن ثمة ملاحظات رأيت أن استرعى انتباه فضيلته إليها تصحيحاً لخطأ وإيضاحاً لغامض يتعرض له الأكثرون من العامة ، فلا مندوحة عن جلائه ابراءً للذمة وحفاظاً على سلامة التوحيد ، الذى هو المنطلق الأول لرسالة الأنبياء ومن تصدى لحمل أمانتهم من صالحى المؤمنين .

فأما الخطأ ففى رواية الأخ الفاضل قول رسول الله ﷺ لإخوان سعد بن معاذ ـ رضوان الله عليهم ـ يوم جىء به للحكم فى قضية قريظة ، إذ نَقَلَ العبارة النبوية على الوجه التالى (قوموا لسيدكم) وبمراجعة المصادر الموثوقة للسيرة يتضح أن أصل العبارة هكذا (قوموا إلى سيدكم) فالفرق بين الروايتين وقوع (اللام) بدل (إلى) وبقليل من التأمل يظهر أن البون بين المعنيين بعيد .. ذلك أن اللام فى الأولى تفيد معنى الإجلال والتعظيم ولو بغير استحقاق ودون تحديد مسافة الحركة .. فالمرء قد يقوم إجلالاً أو تكرمةً لصاحبه دون أن يزايل مكانه على حين أن (إلى) يراد بها تحريك المأمورين نحو القادم دون اقتران بمعنى التعظيم ، وبخاصة عندما يكون الموقف مقتضياً طلب العون للمقوم إليه ..

ومعلوم أن سعداً رضى الله عنه كان مصاباً فى أكحله بالسهم الذى رمى به يوم الخندق ، فهو بحاجة إلى من يعينه على النزول عن دابته وأولى الناس بذلك أصحابه من الأوس ..

ويذكرنا هذا بقوله تعالى : ﴿ **وسارعوا إلى مغفرةٍ من ربكم وجنةٍ عرضها**

السموات والأرض ﴾ وبقول الرسول الكريم لأبطال الصحابة يوم بدر « **قوموا إلى جنةٍ عرضها السموات والأرض** » ـ برواية مسلم عن أنس ـ ولا جرم أن اللام لا تفى بحق (إلى) فى كلا المقامين ، لأن وصل المغفرة والقيام باللام يفيد مجرد اتجاه النية نحوهما أما مع (إلى) النهائية فيكون المـــراد إثـــارة الهمة للنهوض بكل ما يقرب إليهما من الفعل .. وهذا ما تصوره حركة المسارعة والقيام التى تقتضى بذل المجهود لتحقيق المقصود .

وقد يتساءل بعض الناس أليس من شأن (اللام) و (إلى) أن يتناوبا بحيث يقوم كل منهما مكان الآخر ؟ .. وهو تساؤل تسوّغه مقررات اللغويين ، إلا أن التناوب بينهما ليس على إطلاقه كما يتبين من الشواهد الآنفة ، وبخاصة فى مثل قوله عزّ من قائل : ﴿ **حافظوا على الصلوات والصلاةِ الوسطى وقوموا للهِ قانتين** ﴾ [البقرة : ٢٣٨] إذ يستحيل هنا حلول (إلى) مكان اللام الداخلة على اسم الجلالة لاختلاف ما بينهما من الدلالة ..

أما تمييز سعد رضى الله عنه بلقب السيادة فعائد إلى رئاسته فى قومه التى عرفناها منذ اليوم الذى شرح الله صدره للإسلام .. إذ جمعهم ووجه إليهم كلمته الرائعة التى غيرت مسيرتهم التاريخية من الجاهلية إلى الإسلام بقوله : (إن كلام رجالكم ونسائكم علىّ حرام حتى تؤمنوا بالله وبرسوله) فلم يمض مساء ذلك اليوم المبارك حتى استجابت له عشيرته بأسرها ..

وعلى ضوء هذا المفهوم للسيادة بأنها نوع من القيادة والتقدم يمكن تفسيرها حيث وردت من الشواهد التى عرضها فضيلة الأخ ، وقريب من ذلك قول الحق سبحانه ﴿ **وألفيا سيدها لدى الباب** ﴾ ومن هذا المنطلق تأتى كلمة الفاروق فى أخويه بلال والصديق رضوان الله عليهم .. فهو بقوله (أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا) إنما يريد توقيرهما لفضلهما ولتقدمهما ، وقريب من ذلك أن يشير أحدنا إلى الحاكم الصالح والعالم الفاضل بكلمة سيد .. ومثلها قول الجندى لرئيسه (سيدى) .. ولا احتمال لها غير ذلك ، إذ لا يلفظ أحدنا بهذه الكلمة وهو يريد بها شيئاً من معانى العبودية التى لا تحق إلا لله ..

● على أن ثمة أوضاعاً لا مندوحة عن استثنائها والاحتياط لها فى هذا الصدد اصلتها

الوثيقة بتزمت أولئك الذين أشار إليهم فضيلة الأخ ، وأخص بالذكر منها اثنين :
أحدهما ما نراه من شيوع مثل هذه الصيغة (غلام أحمد ، وغلام محمد ، وغلام رسول ، وعبد النبي و ...) ولا سيما فى الأوساط التى يكثر فيها أمثال (عبد الحسين وعبد على وعبد الزهراء .. وحتى كلب عباس ! ..) وكلها تحمل معنى العبودية لغير الله ، وهى من المنكرات التى لا يصح لمسلم قبولها ، بل يتعين على كل من سمى بها تغييرها كما فعل الأخ المجاهد عبد رب الرسول السياف أيده الله وإخوانه .

هذه واحدة .. ثم الثانية وهى تَصاغُر المريد الطرقى أمام شيخه حتى ليرى من الشرف العظيم أن يجعل له العبودية المطلقة ، وحتى لا يكاد يتحرك إلا بأمره ، ويرى من أكبر الكبائر مراجعته ، لما استقر فى خلده من قولهم (من قال لشيخه لِمَ .. لم يفلح) ولقد سمعت وسمع المئات معى أحد هؤلاء الشيوخ من الذين بلغوا فى مريديهم المرتبة العليا يحاضر فى موضوع العالم والمتعلم فيتخذ من قول الخضر لموسى عليهما السلام (فلا تسألن عن شىء حتى أُحدثَ لك منه ذكراً) دليلاً لتوكيد القاعدة الطرقية التى تفرض على المريد الصمت المطلق أمام شيخه فلا سؤال ولا استفهام ولا استيضاح .. وهى قاعدة لو طبقت فى ميدان التعليم لكانت النتيجة تخريج جيل من الصمّ البُكم الذين لا يصلحون إلا للرق ...

وما أحسب الأخ الحبيب إلا معى فى هذا الجانب ، ولعله معى أيضا فى تقدير العذر لأولئك المتزمتين الحذرين على ضوء هذه الوقائع .. وإن كنت أنكر عليهم جمودهم المتجاوز الحد فى هذا الحذر ، إذ خير لهم من ذلك أن يذكّروا الناس بمنزلة رسول الله ولزوم اتباعه فى كل أمر ونهى ، على اعتبار أن اتباعه هو التعبير السليم عن حب المؤمن لله ورسوله ..

وتبقى الملحوظة الأخيرة وهى أنى لم أعرف قط واحداً من المسلمين بله خطباء المسجد يسمح لنفسه أن يشير إلى رسول الله باسمه مجرداً من حقه فى الصلاة والتسليم ، فإن هو قرنهما بالاسم الكريم فقد صدع بأمر الله وعمل بالتوجيه النبوى ، الذى لقننا صيغ تكريمه دون أن يكون بينها ذكر السيادة ، ذلك لأن السيادة قابلة النسبة لأى إنسان بخلاف الصلاة والتسليم الخاصتين بمقام النبوة .. وإنما المأخذ على أولئك الذين تبلغ بهم الصفافة حد الاكتفاء بالاسم الشريف مقطوعاً عن الصلاة والتسليم عليه ، صلوات الله وسلامه عليه وآله وصحبه أجمعين .

مَـن هو الشهـيدُ

من قاتل لإعلاء كلمة الله
فهو فى سبيل الله

قصة البارجة الفرنسية (جان دارم) لم تزل حية فى أذهان الكثيرين من هذا الجيل فقد شغلت بها وسائل الأعلام العربية طويلاً ، وافتنت فى عرض واقعتها بمختلف الأساليب والصور حتى رسختها فى أعماق النفوس ، فكانت حديث العامة والخاصة ، وبخاصة فى (الإقليم) الشمالى من الجمهورية العربية المتحدة حينئذ ـ سورية ـ حيث انتشرت اللافتات على واجهات الأبنية والمؤسسات تحمل اسم (الشهيد جول جمال) ثم ما لبث هذا الاسم ان تُوِّجَتْ به المدارس والمنشآت ورُكِّزت عليه أبصار الطلاب فى كتب المطالعة وغيرها ..

وفى هذه الغمرة الإعلامية تهافتت عليَّ الأسئلة من هنا وهناك تحمل هذه العبارة الموحدة: ما رأيكم فى مصرع هذا الفتى الذى سجل أروع صفحات البطولة فى اقتحام تلك الباخرة ؟ .. هل ثمة من شك فى كونه واحداً من أعاظم الشهداء ؟! ..

وكان فى بعض هذه الأسئلة قصد مكشوف إلى الإحراج والتحدى لأن بين السائلين من يريدون الفتنة ، إذ يتوقعون من الإسلاميين أن ينكروا عليهم دعوى الشهادة ، وبذلك يتسع أمامهم المجال للدس على الإسلام ودعاته .. ولا سيما فى مثل ذلك الجو الذى طاشت فيه المدارك أمام الهجمة الهائلة التى أثارتها الناصرية على الجماعة الإسلامية ، فملأت بها السجون وصبت على أفرادها صنوف العذاب وساقت المواكب من قادتها إلى أعواد المشانق ! ..

ومع ذلك لم نُمَكِّن لتلك المحاولة من تحقيق مآربها ، فكنا نجيب كل مثير لهذا السؤال بهذا الحوار المنطق :

ـ أولاً .. لو أتيح لإنسان أن يسأل البطل جول جمال وهو يمتطى الزروق الحربى مع رفاقه المغاوير لمهاجمة تلك البارجة العدوة : مِن أجلِ أيِ شئ تقدم نفسك للموت المحتم فى هذه المغامرة ؟فماذا تراه يُجيب ؟ ..

ـ لاشك أنه سيقول : أضحى بنفسى من أجل وطنى وقومى ..

ـ وهذا ما نتوقعه ..

ـ فهو إذن شهيد ..

ـ مهلا يا أخى .. فللكلام بقية لا بد منها : وخلاصتها أن الشهادة اصطلاح دينى يحدده الشرع ، بأن الشهيد هو الذى يُقْدم على القتل فى تصميم يملأ كيانه بأنه يقاتل لإعلاء كلمة الله .. وهو حكم مستمد من قول رسول الله ، صلوات الله عليه وسلامه ، حين سأله بعض أصحابه عن (الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء .. أى ذلك فى سبيل الله ؟ .. فقال صلوات الله وسلامه عليه : من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله[1] وعلى هذا الأساس تتحدد صفة هذا الفقيد العزيز بأنه بطل قومى يستحق من قومه كل تقدير وإعجاب ..

وكان فى هذا الحوار ما أسكت الألسنة وأسكن العاصفة إلى حين ..

ثم رأيت أن أتم ذلك الموضوع بعرضه فى صورة قصصية تكون جواباً شافياً لكل مجادل ومخاذل فكتبت قصة (بطل إلى النار) وفيها عرضت لخبر قُزمان الذى انضم إلى صفوف المسلمين يوم أحد فأبلى فى قتال أعدائهم بلاء أدهش الناظرين ، ولكن رسول الله ما انفك كلما سمع أنباءه يقول : (إنه لمن أهل النار) .. ولم يستطع الصحابة تفسير هذا الحكم حتى رأوا قزمان يسقط وقد أثقلته الجراح ، فجعلوا يبشرونه بالجنة فيقول : والله ما قاتلت إلا عن أحساب قومى . ثم أخذ سهماً فقتل به نفسه وهكذا أنهى وجوده بالانتحار ، فكان كما أخبر رسول الله (من أهل النار) ..

وانى لأكتب هذه الأسطر وأمامى عدد من قصاصات الصحف التى حفلت بالمقالات الحماسية التى تقص خبر تلك الفدائية اللبنانية سناء المحيدلى .. وتمجد شجاعتها التى دفعت بها إلى صدام قافلة من جيش العدو بسيارتها فقضت على نفسها وعلى العشرات من أولئك القتلة ، انتقاماً لأرواح الأبرياء من سكان تلك القرى المظلومة .. الذين لا تزال أيدى المجرمين مخضبة بدمائهم .

وأى إنسانٍ منا لا يعجب بهذه التضحية الرائعة ، التى سكبت بعضَ البرء على جراح قلوبنا التى تتحرق ألماً من عدوان الظالمين ! ..

---

(١) رواه مسلم عن أبى موسى الأشعرى مرفوعاً بتغيير قليل فى اللفظ .

أجل إنى لأشعر بروعة هذا الموقف الجبار ، فأتمنى أن يتكرر فى كل موطن يتعرض فيه المسلمون للهوان ، كى يعلم المستهينون بدولهم أن فى شعوبهم من بقايا النخوة والغيرة ما هو جدير بأن يزلزل الأرض تحت أقدامهم .

ولقد طالما هزتنى مثل هذه التضحيات ينهض بها المظلومون فى مختلف أنحاء العالم للرد على طغاة الاستعمار الحديث ، من الفلبين إلى فايتنام إلى أفغانستان .. إلى كل مكان يصارع فيه الفدائيون طواغيت الشيوعيين والأميركيين والصليبيين .

ولا أنسى يوم مطار اللّدِ حين انتصب البطلان اليابانيان يحصدون برشاشيهما عشرات الغاصبين من يهود إسرائيل لمجرد إيمانهما بأن هؤلاء رهط من الذئاب الذين تجمعوا من أنحاء العالم ليقتلعوا أصحاب هذه الأرض من جذورهم ، ثم يلقوا بهم مشردين تحت كل كوكب .

ولا غرو فالإعجاب بالشهامة والمروءة والانتصار للحق غريزة فطرية فى صدر كل إنسان ، لا يكاد يواجهها أو يسمح بها حتى يستخفه الطرب ويغمره شعور الرضى .. ومن هنا كان إعجابنا بموقف الفتاة اللبنانية صادراً عن مشاركتنا إياها فى مشاعر النقمة من المجرمين الذين تجاوزوا كل الحدود فى إهدار حقوق المضطهدين .

ولكن هذا لا ينبغى أن يلغى فى عقولنا الفوارق الطبيعية بين الأشياء حتى تختلط علينا الرؤى ، وتضطرب المقاييس فلا نميز بين الباعث والآخر ، فنطلق على الشئ اسم غيره ، لأن الحكم فى الشئ فرع عن تصوره .

وإلا فما بال هذه الصحف تحدد هوية سناء المحيدلى بأنها (عضو فى الحزب السورى القومى الاجتماعى اليسارى) وأنها (تفادت فى مقابلة سُجلت على شريط فيديو خاص قبيل قيامها بمهمتها الانتحارية .. أية إشارةٍ إلى الشعارات الدينية) ..

ثم لا يمنعها هذا التحديد لهوية الفتاة من أن تطلق عليها لقب (الشهيدة) حتى لتجعل عنوان حادثتها بالقلم العريض (بطلة الجنوب التى استشهدت يوم عرسها) وتكرر هذا فى عدد آخر قائلة (فلتهنأ عروس الجنوب الشهيدة بالشهادة) ثم لا تكتفى بذلك حتى تجرى على لسانها (الدعاء إلى الله) وهى التى حددت هويتها بالعضوية فى حزب لا يعترف بالدين ، ويقرر فى دستوره الأساسى إلغاء الحواجز الطائفية .. ثم تختم

ذلك كله بالدعاء لها قائلة (ليغفر الله للشهيدة الصغيرة ويقبل استشهادها الذى أرادت به وجه الله من أجل إقامة الحياة الكريمة للإنسان المسلم على هذه البقعة الصغيرة التى يسمونها الجنوب اللبنانى) .

وما أحسب مسلماً على وجه الأرض إلا وهو يتمنى أن تكون سناء شهيدة حقاً حتى تكون تضحيتها الكبيرة سبيلاً إلى الخلود فى كنف الله ، مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقيين والشهداء .. ولكن الأمر وراء أمانينا إذ اختارت لنفسها طريق الانتحار دون تفكير بأى هدف آخر غير الثأر لدماء الأبرياء .. وبذلك استحقت أفضل مراتب الحياة الدنيوية من حسن الأحدوثة وطيب الذكر .. ويظل ثمة حاجز لم تفكر باجتيازه إلى عالم الخلود .. وهو موقوف على الشهداء الذين طلبوا الموت لتوهب لهم الحياة الأبدية . فجمعوا بذلك بين الحسنيين : الانتصار للحق والظفر بمرضاة الحق ، الذى قدموا أنفسهم لإعلاء كلمته .. وهكذا بقى الفرق قائماً بين الموقفين موقف الانتصار البطولى وموقف الاستشهاد الإيمانى ، ولكلٍّ نصيبه المكافئ لعمله من التقدير والتكريم .. وعلى ضوء هذه الحقيقة يكون من حق سناء المحيدلى أن تُسَمى بطلة ، ويكون من حق المؤمن الذى يُقتل تحت راية الإيمان أن يسمى بطلاً وشهيداً ..

فى ملحمة الـ (١٩٦٥) بين الهند والباكستان تدفقت دبابات الدولة الوثنية على تخوم الدولة الإسلامية ، التى لم تكن لتملك من الآليات ما تواجهها به ، فكانت الحاجة ماسة إلى الفدائيين الذين يبيعون أنفسهم لله ، ابتغاء مرضاته وطلباً لجنته ، وما إن أعلنت القيادة المسلمة تلك الحاجة حتى تدفق الشباب عليها بالمئات ، فاختارت منهم ما يسد الثغور وبعد أن زودتهم بالناسفات دفعت بهم باتجاه العدو ، فطرح كل واحد بنفسه تحت إحدى الدبابات فإذا هى تتطاير حاملة معها أشلاء الشهداء إلى عِليين ..

لا شك أن ثمة وجها من التشابه بين إقدام الفتاة وتضحية كل من أولئك الفتيان .. ولكن .. هل يتصور أحد يؤمن بالله أن يكون مصير الفريقين واحداً عند الله ؟

لقد اختلفت النية بين هذا وتلك ، فتباين المصير ، وستنكشف الغمة عن لبنان بمشيئة الله ، وينهض الحزب القومى بتمجيد ذكرى فتاته بنصب يجدد ذكراها ما بقى لهذا النصب من أثر . أما أولئك الذين فجَّروا بأجسادهم فيلق الدَّبابات الوثنية فقد

نسيهم الناس ، ولكن لم يضرهم ذلك النسيان ، لأنهم إنما أرادوا وجه الله والدار الآخرة ، وحسبهم أن يكونوا أحياء عند ربهم يرزقون .

أما بعد فهل يُراجع هؤلاء الإخوة الصحفيون ، وفيهم من لا تنكـر غيرته الإسلامية ، ما سطروه فى هذه المناسبة من تلك الأغاليط العَجلى ، فيتذكروا أنهم مخطئون فى حق دينهم إذ راحوا فى غمرة الحماسة يصدرون أحكامهم بإطلاق لقب الشهيدة على تلك الفتاة ، التى لم تتصور قط للشهادة من معنى ... هذا مع اعترافنا الخالص بأن استحقاق الشهادة سر موقوف على علم الله ، فرب قتيل نحسبه فى الشهداء وليس كذلك عند الله ، وآخر لم يركع لله ركعة قط ومع ذلك نال بإخلاصه لمولاه مرتبة الشهداء كما حدث يوم أُحُد لأصيرِم بنى عبد الأشهل ، ولمخيريق الحَبر اليهودى وقد دخلا المعركة فى جانب المؤمنين ، ففقدا حياتهما دفاعاً عن الإسلام ، دون أن يتسع وقتهما لأداء صلاة ، ومع ذلك شهد لهما رسول الله بالجنة .

وأخيراً ليسمح لنا أولئك الإخوة أن نهمس فى آذانهم بهذا السؤال ، أرأيتم لو شاهدتم جزّاراً يقدم على فتح بطن لأحد المرضى ، رغبة فى استئصال زائدته الملتهبة ، أكنتم ترتضون عمله ؟ أم كنتم تَسْتَعْدون عليه المسئولين لتجاوزه نطاق خبرته إلى غير تخصصه ؟ .. وطبيعى أنكم ستسلكون الطريقة الثانية فى مواجهة هذا الجزار الطيِّب ..

فكيف إذن تسمحون لأنفسكم بالافتاء فى قضايا شرعية لم تتفرغوا لدراستها وفقهها ! ! أم أن الدين قد بلغ من الهوان فى واقع الناس حد الابتذال بحيث يستبيح الكلام فيه من لا يكاد يعلم عن مصطلحاته شيئاً ! !

ولا حول ولا قوة إلا بالله ..

★★★

أجل .. إنه الموت من أجل لا شئ

وأخطاء لا يحسن استمرارها

من حق الأستاذ / نواف أن يقال له : أحسنت كل الإحسان فى ما سطرته فى عدد ١٩/٣/١٤٠٦ هـ من جريدة المدينة حول ذلك النزَق الرهيب. المقيت الذى يقوم به تجار الموت فى عدوانهم على الأبرياء والمساكين ، لغير سبب سوى إرضاء حفنة من كبار المجرمين ، الذين وهبوا وجودهم لترويع الغافلين ، فراحوا يشحنون الحياة رعباً وقلقاً وهولاً لا يدع لحىٍّ سبيلاً إلى الراحة والاطمئنان ..

ولقد كان لعنوان المقال إيحاؤه العميق فى تصوير هؤلاء الحمقى ومَن وراءهم ، ممن باعوا أنفسهم للشيطان ، حتى رضوا أن يلقوا بها إلى التهلكة (من أجل لا شئ) ! وما أروع وصف رسول الله ، صلوات الله وسلامه عليه ، لذلك القطيع الضالّ وأثره فى تشويه الحياة ، حين حدثنا عن أيامهم التى يكثر فيها الهرج – القتل – حتى لا يدرى القاتل لِمَ قَتَل ، ولا المقتول فيمَ قُتل ! ..

وأنا إذ أعرب عن تقديرى لذلك المقال لا أجد متسعاً لمزيد من التفصيل عليه ، بيد أنى عثرت فى آخره بزلة قلم أحببت أن ألفت نظر الكاتب الكريم إليها ، فقد يكون فى التنبيه إليها شئ من الخير يصحح خطأً شائعاً ، ولا ينبغى أن يستمر فى شيوعه .

يقول الأستاذ : (فبطلٌ مثل (جول جمال) فجرَّ نفسه فى مدمرة إنجليزية إبان حرب السويس .. لازال فى الذاكرة ..) .

والحق أن اسم جول جمال قد شغل الكثير من جهود الدعاية السياسية ، حتى عم ذكره وحديث بطولته كل جدار فى سُورية ، وكل كتاب ألف فى موضوع العدوان الثلاثى .. وقد تعمدت السياسة الناصرية يومئذ أن تقرن اسمه أبداً بنعت الشهيد ، كما يحدث هذه الأيام بوصف الفدائيين من القوميين والبعثيين والشيوعيين الذين يقدمون على تفجير أنفسهم فى أوساط العدو من يهود وأعوانهم ، فيزلزلون الأرض تحت أقدام

المعتدين ، فى أعمال بطولية تستحق كل إعجاب وتقدير ، فهم حقاً أبطال ومغاوير من الطراز الأول ، يجودون بأرواحهم ، وهى أغلى ما لديهم فى سبيل وطنهم ، وإسهاماً فى الانتقام من أعدائه . والجود بالنفس أقصى غاية الجود .. ولكن لا نعلم واحدًا أشار فى إذاعته المسجلة بصوته ، وهو متجه نحو الموت ، أنه يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله ، أو طلباً للجنة ، بل إن بينهم من أعلن على الملأ ـ برواية الأستاذ أكرم زعيتر فى جريدة « الشرق الأوسط » ـ أنه يقوم بعمليته الانتحارية على منهج (غيفارا) أحد أساطين الثورة الشيوعية فى أمريكا اللاتينية !

ومن أجل ذلك وجب أن نقف فى تقديرنا إياهم حيث وقفوا بأنفسهم ، فلا نقحمهم فى موضوع دينى محض لا يقبل الشركة مع غيره ، إذ يحدد تعريف الشهيد بأنه هو المؤمن الذى يفقد حياته فى معركة يبتغى بها مرضاة الله وإعلاء كلمته .. وحتى أنواع الشهادة الأخرى التى بشّر بها رسول الله ﷺ أمته لا يدخل فى عدادها إلا الذين أمنوا بالله ربًّا ، وبالإسلام دينًا ، وبمحمد نبيًّا ورسولاً . وإلا فإن أبواب البطولات كما يقول الأستاذ كثيرة تتسع لكلّ مغوار يريد تحقيق مثله الأعلى .

ولا جرم أن من حسنات ذلك المقال الموفق حصره صفة الفقيد جول جمال فى نطاق البطولة بمعزل عن ذكر الشهادة .

ولا أهمية بعد ذلك لبعض الهنات الأخرى كالتى تمثلت فى إفراد ذلك الفقيد بالذكر ، مع أنه كان واحداً من مجموعة مغاوير ، وبينهم من يريدون وجه الله فى تلك العملية ، وقد حقق الله لهم أمنيتهم بالشهادة فى سبيله .. وإنما سلطت سياسةُ تلك الأيام أضواءها على شخص مواطننا العزيز جول دون غيره ، وبخاصة فى سورية ، كنوع من الترضية الطائفية ..

وهنة أخيرة هى تحديد هوية المدمرة العدوة المستهدفة يومئذ بالتابعية الإنجليزية ، مع أنها فرنسية الجنس ، وتحمل اسم (جان دارم) لا جان دارك كما أشيع فى تلك الأثناء .

وبهذه المناسبة تقفز إلى ذهنى ذكرى مقالة نشرتها جريدة المدينة قبل عام بقلم أحد الفضلاء يعاتب بها كاتباً سورياً هو ابن للصحفى الشهير الأستاذ نجيب الريس صاحب جريدة القبس ، التى كانت تصدر بدمشق أيام الانتداب الفرنسى ، على مقالة نشرها ذلك الكاتب فى إحدى الصحف المهاجرة يتجنى بها على الإسلام .. فلم يجد أجدى فى

خطابه من تذكيره بماضى والده فى خدمة الإسلام والذود عن حقائقه ، فأولى بمثله إذن أن يلتزم خط ذلك الوالد بدلاً من مفارقة سبيله ! ..

ولقد هممت يومئذٍ بالتعقيب على عتاب ذلك الفاضل بما ينصف الحقيقة ، التى يشاركنى فى معرفتها الآلاف من السوريين ، الذين قُدر لهم أن يعيشوا أحداث ذلك العهد ، ولكن ظروفاً قاهرة صرفتنى عن ذلك ، حتى وجدتنى اليوم تلقاء هاتيك الذكرى وأنا أطالع خاتمة مقال الأستاذ ، وها أنذا الآن أستدرك ما فاتنى يومئذ من أمرها :

لقد عُرف الأستاذ نجيب الريس واحداً من أبرز الصحفيين الوطنيين ، وكانت جريدته القبس إحدى كبريات الصحف المجابهة للسياسة الفرنسية تحت راية الكتلة الوطنية ، وقد تحمل نصيبه من الاعتقال والبلاء الذى لقيته الصفوة المناضلة .. حتى إذا جاء نصر الله وعقد أول مجلس تأسيسى لوضع دستور الدولة السورية ، كان الأستاذ الريس أشد المعارضين لإسلامية الدستور ، ووقف إلى جانب العلمانيين ، وراح يعلن فى مقالاته اللاهبة أن الإسلام وافد على الشام الذى كان بلداً نصرانياً تحت سلطان الغساسنة ، فمن حق الوفاء للنصرانية العريقة أن يستظل الجميع بنظام لا ينتسب إلى الإسلام ولا النصرانية ! ..

وهكذا استمرت قبس نجيب الريس فى مقاومة التيار الإسلامى بقوة لا تعرف المهادنة .. وكان ذلك تعبيراً طبيعياً لأفكار ذلك الكاتب الذى جرفه التيار القومى فى مَن جرف من قادة الحركة الوطنية أيامئذٍ ، إلا من رحم الله ، وقليل ما هم .. فإذا قرأنا اليوم لولده شيئاً من هذا القبيل فإنما هى الوراثة التى كثيراً ما تمحى بها الفوارق بين الوارث والمورث (ومن يشابه أَبَه فما ظلم) .

ولعلى بهذه الكلمة اليسيرة قد أنصفت الحقيقة ولم أظلم أحدا ..

والحمد لله رب العالمين ..

ملاحظات يوجبها العقل والدين

إلى الدكتورة الفاضلة رشيدة مهران

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته : أما بعد حمد الله والصلاة والسلام على رسوله ومصطفاه إمام الأولين والآخرين محمد بن عبدالله وآله وصحبه ومن تبع هداه إلى يوم الدين .

فقد قدر لى الله أن أطلع على مقالاتك الثلاث المنشورة فى العدد « ٥٧٩٣ » من جريدة الرياض تحت عنوان (أحبك .. ولكن) من صفحة (حروف وأفكار) .

لقد توقفت مليّا أمام هذا المثلث ، استعيد صوره وأفكاره ، وأناقش مضمونه ، ثم انتهيت من ذلك إلى القطع بأن من حقك علىّ أن أنقل إليك انطباعى عن ذلك كله ، بالأسلوب الذى أعتقد أنه أرضى لله وأخلق بالمؤمن ، الذى يوقن أنه مسؤول عن كل حركة وسكنة من حياته ، التى هى أمانة الله فى يديه .. وما أدرى إذا كان خطابى هذا هو الوحيد الذى سيصلك فى هذا الصدد ، وإن كنت على يقين أنه واجب كل ذى شعور بحق أمته ودينه . وذلك لسبب لا مفر من التزامه على أهل الإسلام ، وهو العمل بتوجيه الله فى قوله الخالد الحكيم : ﴿ **المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر**﴾ (../٩/٧٢) .

ولننظر الآن معاً إلى مضمون كل من القصص الثلاث :

١ ـ لقد عرضت فى أُولاهن خبر تلك الفتاة التى ضلت السبيل إلى الهناءة الزوجية فجرّت على نفسها وزوجها الشقاء حتى استحال بيتهما جحيماً لا يطاق ، ولم تجد مفراً من التفكير بالانفصال للخلاص من ذلك الوضع الشاذ ، ولكنكِ سرعان ما هُديتِ إلى العلاج الصحيح فمازلت بها حتى أقنعتها بتغيير أسلوبها فى معاملة ذلك الزوج .. فراحت بتوجيهاتك الحكيمة تواجه شدته باللين ، وجهله بالحِلم ، وعناده بالتواضع ، حتى استرد ثقته بصلاحيتها ، واستيقن أن له فى قلبها المودة التى بها تأسر المرأة الصالحةُ

قلب صاحبها .. وإذا هما يبدأن شوطاً من السعادة جديداً لم يكن لهما به عهد من قبل .

وبذلك كنتِ نعم الطبيب الذى أحاط بواقع مريضه ، فأعطاه الوصفة الناجعة الشافية بفضل الله . فجزاك الله خيراً عن صنيعك الذى كان عبرة صالحة لكل بيت يعانى من مثل ذلك البلاء .

٢ ـ أما ثانية القصتين فتصور واقع فتاة نشأت فى ظل فتًى من ذوى قرابتها ، فكان لا بد أن يتغلغل فى وجدانها ما تتعرض له كل أنثى ترعرعت بجانب مثله ، ثم راحت البذرة تنمو وتشتد فتزداد به تعلقاً وهو غافل عن ذلك ، حتى إذا اعتراه مرض ألزمه الفراش أخذت نفسها برعايته وتمريضه والسهر على راحته ، وتأمين كل ما تستطيعه من مصالحه ، فكانت النتيجة أن راودته لأول مرة فكرة الزواج منها ، لأنه وجد فيها الفتاة الصالحة لمعايشته ، وتحقيق حاجته من رفيقة الحياة ، وقد أعلن لوالدته وعمتها اتجاهه هذا مع تقديره أن هذا الضرب من التعاون هو الأساس فى الحياة الزوجية التى يتصورها ، وما وراء ذلك من الحب فثمرة طبيعية للزواج القائم على التفاهم والانسجام .

على أن الفتاة التى طالما تطلعت إلى هذه اللحظة الإيجابية سرعان ما تغير رأيها ، وإذا هى تنصرف عنه إلى القبول بخطيب آخر .. ولم يكن لذلك من مسوِّغ سوى اختلاف وجهتى النظر بينهما ، فهو قد رضيها بعد أن تحقق من صلاحيتها له ، وهى قد رفضته لأنها تريده زواجاً مقصوراً على الحب ولا مكان فيه للتفكير بالصلاحية .

وقد نجحتِ فى تصوير أعماق كل منهما ، فرأينا فتًى تمكَّن من عواطفه فأخضعها لعقله ، على حين رأينا فتاة استحوذ عليها الهوى فأخضعت وجودها كله لعواطفها ، حتى نسيتْ كل ما يتعلق بتبعات الحياة .

وطبيعى أنِ العواطف الغارقة فى أحلام الحب ليست هى الأساس الذى تبنى عليه الحياة الزوجية ، بل لعل هذا النوع من الزواج الخيالى هو أسرع الزيجات إلى الإخفاق والانهيار كما هو المشاهد فى ما لا يحصى من التجارب .

ومع ذلك فقد نسيت الدكتورة أصلحها الله حكمتها السابقة ، وتركت للفتاة أن تكمل استسلامها لعواطفها حتى النهاية ، دون أن توجه إليها أىَّ نصيحة ، بل دون أن

نعرف رأيها فى هذه النهاية .. وإن كان توكيدها على الحب فى العنوان والسياق يرجح أنها مع الفتاة فى موقفها الرافض .

أما ملاحظاتنا على هذه القصة فمستمدة من إيماننا بأن كل تصرف يشذ عن أحكام النظام الإسلامى لا بد أن يكون خطأ محضاً ، بل هو فى مثل هذه القصة يشكل صدعاً بالغاً فى أسلوب الحياة التى يقررها الحق تبارك اسمه فى قوله الجامع المانع : ﴿ **ومن يشاقق الرسول من بعدِ ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نولِّه ما تولَّى ، ونصلِه جهنمَ وساءتْ مصيرا** ﴾ (٤/١١٥) .

وقد فارقت أحداثُ القصة سبيل المؤمنين فى أكثر من جانب ، وحسبنا من ذلك قيام هذه الفتاة بتمريض الرجل وملازمتها خدمته والقراءة له ، كما لو أن التزاوج قد تم بينهما بالعقد الشرعى ، وهو الأجنبى الذى لا يسمح لها الإسلام بمخالطته إلا بوجود المحرم ، ولحاجة سريعة هى الرؤية المساعدة على الزواج .

وطبيعى أن هذا الضرب من الاختلاط منقول بكل تفاصيله من صميم المجتمعات الكافرة ، ولا حصيلة له فى النهاية سوى تشجيع القراء والقارئات على ممارسته فى أوساط المسلمين . ولئن كان مثل هذا التصرف مقبولاً أو مسكوتاً عنه فى بعض الشعوب الإسلامية ، التى أفسد التقليد الضرير الكثير من خصائصها المميزة ، فإنه لا يزال غريباً ومنكراً فى هذه المملكة التى قامت بالإسلام ، والتى تتقدم أبداً صفوف العاملين لهذا الإسلام ، ولله الحمد والمنة .

● وتذكرنى هذه القصة بفقرة سمعتها ذات يوم من إذاعة لندن فى برنامج (الحياة فى بريطانيا) .

لقد عرضت هذه الفقرة بصورة تمثيلية لحياة أسرةٍ إنجليزية تتألف من أبوين وابنةٍ لها علقت شاباً ، فأقام معها فى بيت أهلها زمناً ربما جاوز العام ، دون أن يوافق الفتى على الزواج ، بل اكتفى بمعاشرة الفتاة باسم التجربة .. حتى ضاق صدر الأبوين به فأخذا يناقشان ابنتهما فى هذه التجربة التى لا يعرفون متى تنتهى ، فإما أن يتزوجا ، أو يفارقها لتبحث عن غيره ! ..

والحق أنى لا أرى فرقاً بين قصة هذه الإنجليزية وتلك العربية ، فكلتاهما تتعرضان

للتجربة نفسها ، وكلتا الأسرتين تخضعان لعرف اجتماعى لا علاقة له بموضوع الحلال والحرام ..

ولعمر الحق أن مجرد التعرض المشوِّق لمثل هذه الوقائع المنافية لأخلاق الإسلام بأى وسائل الإعلام ، مسموعة أو منظورة أو مقروءةً ، إنما هو دعوة صريحة للفتاة المسلمة كى تتحرك لتحطيم الحواجز ، التى أقامها الإسلام بين الجنسين ، صيانةً لها من العبث الذى صارت إليه الفتاة الغربية ، حين تجردت من ذلك الدرع الذى هو للمرأة بمثابة الغلاف ، الذى يقى الأسلاك الكهربائية شر التحاكِّ المؤدى إلى أفجع الأخطار .

وبحسب المروجين لهذه الأحداث إنذار رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وآله بقوله الحكيم : « **ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً** »[1] .

ويا لهول ذلك من إثم ! ..

٣ ـ وأخرى الثلاث قصة فتاة علقت منذ الصغر ابن عم لها من البيت الذى نشأت فيه ، ومضى ذلك الهوى يتنامى فى قلبها حتى استوى على سُوقه ، وقد شجعها على ذلك أهلها ، فهى ترى فيه فتى أحلامها ، وتتطلع إلى اليوم السعيد الذى ينهيان فيه دراستهما ويتيح لها تحقيق أمنيتها بالزواج منه .. ويلعب الهوى دوره بين (قيس) الذى يتابع دراسته فى الخارج ، و (ليلى) التى تواصل دراستها المتفوقة فى الوطن .. فالرسائل بينهما متتابعة مشحونة بكل ما فى اللغة من صيغ الحب ومشتقاته ..

وفى هذه الغمرة من أحلام المراهقة تفاجأ الكاتبة الفاضلة بانفصال العاشقين وانطفاء شعلة الأمل ، وكان السبب فى تلك النهاية اكتشاف الفتاة السابقة فى حلبة الدراسة أن (الحبيب) على غير رأيها فى شأن الدراسة والشهادات . فبينما هى لا ترى الوقوف دون الحصول على الدكتوراه إذا هو مقصور الهوى على التوافه من سرف وترف وإغراقٍ فى النعيم المادى ، وهى كلها متوافرة له لا تكلفه جهداً ولا علماً ، ويريد من (حبيبته) أن تؤثر طريقته فلا تقيم وزناً للعلم ولا للشهادات ، ولا ترمى إلى هدف من الحياة يتجاوز هذه الصغائر ! ..

---

(١) من حديث أخرجه مسلم ورقمه ١٨٦٠ .

ومن هنا كان انصرافها عن ذلك الكسول المستهتر.. وكانت مباركة الكاتبة لموقف الفتاة هذا بالتأييد المطلق ..

ثم تختم هذه القصة برأيها الذى ينظر إلى المشكلة من خلال المنطق الذى لا يكون الفصل فيه للحب بل للاختيار الواعى ..

ولنا على هذه القصة أيضاً ملاحظات :

لقد بُنِيَتْ الحكاية من أساسها على الحب ، فهو الذى ربط بين قيس وليلى ، وكان له الأثر الهام فى نشاطها الدراسى حتى التفوق .. وجاء البعد المكانى بينهما بسبب الدراسة حافزاً لإطلاق الرسائل المعبرة عن مكنون كل من الحبيبين .. حتى انكشف واقع الفتى الذى صدم ليلاه بما لم تتوقعه من تفاهة رؤاه ، فإذا هى تفركه ثم ترفضه ..

وطبيعى أن أى امرئٍ ذى مسكة من العقل لا يعترض على هذه النهاية ، فمثل ذلك الفتى لا يستحق احترام كريم ، ولا تصلح به حياة زوجية ، بَلْهَ أن يرجى لبناء أسرة صالحة ..

ولكن الفكرة التى تسترعى الانتباه هى التركيز الحاد على الدراسة والشهادة بالنسبة إلى المرأة ، فالفتاة لم تأخذ نفسها بذلك الجد إلا لِظنها أنه أسعد لها فى ظل الحياة الزوجية المتوقَّعة ، وهى لم تفرك فتاها إلا لإخفاقه فى التزود من الدراسة التى تريدها له .. أما تفاهة أهدافه فما كان أهونها عليها لو غُطِّيَت بأوراق الشهادات ! ..

وتَفاني الفتاة العصرية فى طلب الشهادات العليا هذه الأيام لم يتأت من حاجة البيت الزوجى إليها ، وإنما هو ضرب من المنافسة فى ميدان كثرت فيه المتسابقات إلى الشهرة ، كتسابق الرياضيات فى طلب الكئوس الفضية .. ويا لله ما أشق الفتاة التى تستسلم لِهذه الرغبات حتى يفوتها الركب ، وتفقد موسم الأمومة ، ثم لا تجد لها من عزاء سوى ذلك اللقب الذى حصدته من تلك الأوراق ! .. ولله ما أوجع تلك الكلمةَ التى سمعتُها ذات يوم من طبيبة فاضلة فاتها القطار ، عندما سألتنى عن دراسة ابنةٍ لى فقلت إنها تتهيأ للالتحاق بالجامعة ، فقالت : وهبها أحرزت الدكتوراه فما حصيلة ذلك أخيراً ؟ ..

وأنا أقول : لقد انفتحت أبواب الدراسات على مداها أمام الفتاة المسلمة حتى فى

الغرب والشرق ، فما حصيلة كل ذلك حتى اليوم سوى تكاثر العوانس ، وتضخم الغرور ، ومزيد من العقد النفسية ، التى أوهمت هذه الفتاة أنها فوق الرجل ، أو على أفضل الوجوه نظيرته فى النقاش والجدال والتنافس على الشهرة .. إلا من رحم الله ! ..

ولعل واهماً يظن أننا ننكر على الفتاة ـ وهى شقيقة الرجل بشهادة المصطفى ﷺ ـ طلبَ العلم والتفوقَ فيه ، وهو الزاد الذى لا مندوحة عنه لكل مسلم ومسلمة ، بعد أن جعل الله قبول العبادة موقوفاً على العلم والصواب معاً ، وبعد أن حصر خشيته سبحانه فى أهل العلم وحدهم حين قال : ﴿ **إنما يخشى الله من عباده العلماء** ﴾ (٢٨/٣٥) . وقد رأينا أثر ذلك التوجيه الأعلى فى حياة الأجيال المؤمنة ، التى أدركت هذه الحقيقة ، فكان بين أئمة العلم فيها نساء ملأن الأرض روايةً ودراية .. وكيف ننكر عليها التبحرَ فى العلم ونحن نقرأ ما أسلفناه من قول الله عزّ اسمه ﴿ **المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر** ﴾ وأنَّى للمؤمنة أن تنهض بواجب الأمر والنهى إذا هى لم تعرف حدود ما أنزل الله على رسوله ! ..

ولكنا نريد لها أن تُقبل على العلم الحق الذى ﴿ **يَهدِى به اللهُ من اتبعَ رضوانه سبل السلام ، ويخرجهم من الظلمات إلى النور** ﴾ (١٦/٥) . وهى حين تفعل ذلك فستحقق مهمتها فى تربية الأجيال وتخريج الأبطال ، ومثلها لن يكون ضحية غرور ، ولا طالب شهرة ، ولا داعية استغراب ، بل دليل هداية وناشر ضياء ، ومفجِّر معرفة ، وقائداً إلى العزة وإلى صراط مستقيم .

● ثم لنقف قليلا على موضوع المراسلة التى تواصلت بين الفتاة وفارس أحلامها أثناء الدراسة ، وبغض النظر عن مضمونها من بث المشاعر والإفضاء بالهوى ، لا يسعنا إلا أن نتساءل : أهى مما يبيحه الإسلام ، الذى هو دين الفتيين وملاكِ وجود المسلم كيفما وأينما كان ؟! .. أمجرد التواعد على الزواج يعطيهما الحق فى مثل هذا التراسل ، الذى لا سلطان عليه لغير العواطف ! ! ..

ما أحسب مسلماً ، جعل ولاءه لله ولرسوله ولجماعة المسلمين ، يجرؤ على القول بإباحته ، فهو إذاً من المورد نفسه الذى استقت منه حياة الفتاة الثانية فى مخالطتها لذلك الحبيب الغريب .. فالحكم على كلتا القصتين واحد من حيث مفارقتهما لروح الإسلام ،

الذى هو أغلى على قلب المسلم الحق من الحب والأرض وما عليهما ..

ولا غرابة فى شئ من ذلك ، فالمسلسل الثلاثى كله إنما أملاه الإتجاه الغربى الذى قطع صلته بالوحى ، فهو لا ينظر إلى الدنيا إلا من خلال (الكمبيوتر) حتى ليخلو من ذكر الله ، وقد فُرِّغ من أى إشارة ولو عابرةً إلى شئ من خصائص الجو الإسلامى ، الذى أنشئ فى ظله ، وقصد إلى معالجة بعض مشكلاته الطارئة ، ويكاد يكون مقصوراً على مطالعة القارئ المسلم ، فلو ترجم إلى أى لغة من كلام البشر لما وجد فيه قارئ ما يدل على أنه كتب فى بلد إسلامى .. مع أن الاحتفاظ بلون الوسط من السمات التى تميز الأدب الأصيل فى كل زمان ومكان .. وقصارى القول أنه صورة مكثفة من الفكر الغربى المحض رسمت بأحرف عربية ..

● وأخيراً لا ننسى دلالة العنوان على الفكرة التى تنتظم الموضوع جميعاً ، فالحب فيه يوشك أن يكون كل شئ ، وبخاصة فى الكيان الزوجى ، إلا عند نهاية القسم الثالث حيث جاءت الخاتمة قلقة بالنسبة إلى الأحكام السابقة بشأن الحب . ولا يسعنا هنا إلا أن نذكر الكاتبة الفاضلة بكلمة أمير المؤمنين الفاروق ، إذ جاءه رجل يخبره برغبته فى طلاق زوجه لأنه لا يحبها ، فقال له : الفارق رضى الله عنه : (أكل البيوت بُنِيَتْ على الحب ؟! .. فأين المودة والرحمة إذاً ! !) .

والفاروق إنما استمد حكمته من قول ربه فى كتابه الحكيم : ﴿ **ومن آياتهِ أنْ خلقَ لكم من أنفسِكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعلَ بينكمْ مودةً ورحمة** ﴾ (٢١/٣٠) . فالسكن والمودة والرحمة إذاً هى ملاك الحياة الزوجية ، الذى يضمن صلاحها واستمرارها ، بخلاف الحب الخاضع أبداً للتقلب تحت ضغط الظروف ..

وللأخت الفاضلة كاتبة المثلث أخلص احترامى مقروناً بأحر الدعوات إلى الله أن يكتب لنا ولها التوفيق إلى السعادة الحقة فى الدنيا والآخرة ، ويَهدينا وإياها سواء السبيل ، إنه خير مسئول .



رحلة فى

كتاب «البداية والنهاية»



أغاليط وتحريفات ج ٢

قيمة هذا الكتاب لدى المثقفين أنه واحد من نفائس التراث الإسلامى ، لما امتاز به مؤلفه ابن كثير (رح) من سعة العلم والإخلاص للحق والإسهام الكبير فى تصفية الكتابات الإسلامية من الآثار الدخيلة .

وهذا الكتاب الذى يستوعب أربعة عشر جزءاً فى سبع مجلدات كبار يُعتبر واحداً من أعماله الصالحة فى خدمة التاريخ حتى أيامه ، وبخاصة أحداث السيرة النبوية التى حاول مشكوراً أن ينقيها من كل خبر غير موثوق . وبهذه الميزات الرفيعة أصبحت كتبه موضع القبول والاطمئنان لدى محبى المعرفة ، وعُرِفَ كواحدٍ من أعلام المدرسة التيمية ذات الفضل الكبير فى حركة التصحيح السلفى ، الشامل لِجوانب الفكر الإسلامى على امتداده واتساع آفاقه .

وقد استوقفنى لدى النظر فى بعض هذا الكتاب أخطاء شوهت مواضعها من النصوص التى يزخر بها . أقلها مطبعى ومعظمها من هفوات القائمين على إخراجه فى المجلد الأول من الطبعة الثانية ، الصادرة عن مكتبة المعارف البيروتية عام ١٩٧٧ م .

● ان أول ما يواجه القارئ من هذه الطبعة ذلك الشعار البارز على الوجه الأول من هذه النسخة ، والذى يؤكد أنها (ضبطت وصححت على عدة نسخ ، وذُيِّلت بشروح قامت بها هيئة بإشراف الناشر) ولا يكتفى الناشر بهذه العبارة المغرية حتى يعقبها بأخرى أطول منها وأشد إيغالاً فى الإغراء إذ تقول ـ على الوجه الثانى من تلك الورقة ـ :

(طُبع هذا المجلد نقلاً عن المخطوطة الموجودة فى المدرسة الأحمدية بمدينة حلب من الجمهورية العربية السورية ، بعد أن قارنها جمهور من المحققين ، وراجعوها على أمهات الكتب التاريخية وكتب السِّيَر الأقدم منها زمناً ، والتى تم تحقيقها إلى أن غدت

معتمَدة لدى الدارسين ، وبعد أن حققوا ألفاظها على معاجم اللغة) .

فهى ـ بناء على هاتين الشهادتين ـ قد بلغت القمة فى التحقيق والتوثيق على نمط لم يظفر بمثله أى مؤلف بعد كتاب الله وحديث رسوله صلوات الله وسلامه عليه .. فاستحقت أن تكون موضع الثقة والاعتماد لدى الدارسين وأهل اللغة ..

بيد أنك لن تمضى طويلا ـ بعد الجزء الأول من الكتاب ـ حتى تستيقن أنها شهادة مهزوزة ، وأن الجمهور الذى تعزو إليه تحقيق الكتاب لا يعدو أن يكون من الذين لا يملكون أى سبب يؤهلهم لمثل هذا العمل الضخم ..

* ـ وقد استثنيت الجزء الأول من هذا الحكم لندرة أخطائه ، ولعل ذلك عائد إلى الأستاذ محمود الإمام ، الذى ذُيلت باسمه بعض الصفحات فى بعض التعقيبات الصحيحة ، فما إن تصير إلى بقية الأجزاء حتى تشعر بأن عمل ذلك المحقق قد انتهى بنهاية الجزء الأول ، ليحل مكانه من لا يكاد يفرق بين الصواب والخطأ ..

ولكيلا يتوهم قارئ أننا نظلم هذا (المدقق أو المدققين) فننسب إليه الأغاليط المطبعية التى قلما يسلم من سوآتها كتاب ، نُذكِّره بأننا إنما نحكم عليه من خلال عمله ، وذلك بما يرسمه بقلمه لما يظنه ضبطاً لحركات بعض الكلمات ، فيأتى تشويهاً لها بتحويلها إلى أشكال لا معنى لها أو مُفسدةٍ لها بفساد إعرابها .. وقد نقل الطابع هذه الرسوم مصورة لم تمسسها يد المنضد ، فبقيت إشارات ناطقة بالشهادة على راسمها ..

وعلى الرغم من أعبائى المرهقة فى إنجاز بعض المؤلفات رأيت من الواجب علىَّ أن أفرغ لبعض الكتابة حول هذا الموضوع ، تنبيهاً للجهات التى تقوم بتوزيع وبيع هذا الكتاب ، وبخاصة قارئه وناشره ، إلى مآخذ هذه الطبعة ـ المصورة ـ خدمة لهذا المؤلَّف النفيس ، وتكرمة لمؤلِّفه ، ورجاء أن تتاح له طبعة جديدة يتولاها واحد من أهل العلم الحق ، الذين يستشعرون مسئوليتهم الكبيرة نحو تراث أمتهم ..

* ـ وقبل الشروع فى هذه الملاحظات أُذكِر القارئ بأنى زيادة فى التثبت قمت بمراجعة بعض الطبعات السابقة لهذه النسخة استيضاحاً لمدى العلاقة بينها ، فكان أن وقعت على الأصل الذى نقلت عنه بالتصوير ، وهو النسخة المطبوعة بمصر عام ١٣٥١ هـ ، بالتعاون ما بين مطبعتى السعادة والسلفية ومكتبة الخانجى ، وقد صدرت بالعبارة نفسها

التى أسلفناها مع بعض التغيير للإيهام بأنها السابقة إلى النقل عن المخطوطة الأحمدية الطبية .. فهى صورة وفق الأصل عن تلك النسخة محتفظة بأرقامها وألفاظها وأخطائها ، إلا أنها تزيد عليها ما استحدثه (محققوها) من أغاليط جديدة تعلن عن نفسها بالرسم المميَّز ، لأن الأولى تكاد تكون خالية من الشكل ، فجاء هؤلاء يستدركون ما فاتها من (الضبط) فأصابوا حيناً وأخطئوا أحياناً .. ولذلك سيكون عملى منصبًّا على النسخة الثانية ـ المصورة إلا عندما تشترك النسختان فى الشكل الواحد ، فأشير إليهما معاً ، أو أذكر أولاهما باسم الأولى والأخرى باسم الثانية ..

والآن هلم معى أيها القارئ فى رحلة قد تطول وقد تقصر ، لمشاركتى فى استكشاف تلك (الطرائف) المنسوبة ظلماً إلى ذلك (الجمهور) من (محقق ومراجعى) هذه الطبعة الجديدة من كتاب (البداية والنهاية) على أنى سأقصر ملاحظاتى على ما ورد من تلك الطرائف فى النصوص الشعرية وحدها ، تاركاً ملاحقة الأغاليط النثرية إلى من شاء من ذوى الاهتمام بتراث الإسلام ، وهى على جانب كبير من الوفرة .

ص ٢٨ ج ٢

تـروح على آل المحلق جـفـنـةٍ كـجابيةِ الشيخ العراق يفهق

وهو من شعر الأعشى والصواب (جفنةٌ) بالرفع فاعل (تروح) و(جابيةِ) بالكسر على الجر دون تنوين بسبب الإضافة .

١٧٨ ومن شعر أمية بن أبى الصلت :

يَمَّمَ قيصراً لـمّـا حـان رحلته فلم يجد عنده بعض الذى سالا

والصواب (قيصرَ) بمنع الصرف وهو كذلك فى السيرة لابن هشام .

١٧٩ ومن شعر عدىِ بن زيد الحميرى فى صنعاء :

رفعهـا من بنى لذى قزع المز ن وتـــنـــدى مســكــا محاربها

ولا معنى لصدر البيت على هذا الوضع ولعل الصواب :

رفعها مَن بَنَى لدى قَزَعِ المزن .. / أو قريب منه فيكون المعنى أن الذى بناها قد

أعلى بناءها حتى شارفت قطع الغمام . وهى كذلك فى طبعة السلفية إلا (لذى) فقد أثبتها بالذال .

١٨٦ من شعر عمرو بن الحارث بن مضاض الجرهمي فى مكة :

أقول إذا نام الخلى ولم أنم إذا العرشُ لايبعدْ سهيل وعامرُ

والصواب : إذا العرشِ . يناجى الله سبحانه داعياً فهو منادى ومضاف إليه .

وله أيضاً :

يا أيها الناس سيروا ان قصاركم ان تصبحوا ذات يوم لاتسيرونا

وفى الأولى (إنْ قصاركمْ) وهى مقبولة على أن تكون (ان) مخففة من الثقيلة ، وفى السيرة (قصركمُ) وكلتاهما بمعنى الغاية والنهاية .

١٩٧ ومن شعر الناشئ أبى عبدالله : سجايا حمتهم كلٌّ زارٍ وعائبِ) .

والصواب بنصب (كل) مفعولاً ثانياً لـ (حمتهم) .

٢٠١ من شعر جرير : وماقِرم بأنجبَ من أبيكم ../ وكرر ذلك فى ص ٢٦٦ والصواب (قَرم) بفتح القاف المثناة .

٢٠٢ ومن شعر الجمحى فى تعليل اسم قريش :

تأكل الغث والسمين ولا تتر كنَّ لذيِ الجناحين ريشا

وهو مكسور يمكن جبره بمثل :

تأكل الغث والسمين ولا تتر كُ يومًا لذيِ الجناحين ريشا

٢٠٩ ومن شعر قصى :

فلستُ لغالب أن لم تَأَثَّلْ بها أولاد قيْدَرَ والنبيتُ

رزاحَ ناصريِ وبه أسامى فلست أخاف ضيمًا ماحييت

والخطأ فى البيت الأول فتح همزة (ان) لأن ذلك يقلب المعنى فيصير : انه غير منسوب لغالب لأن أولاد قَيْدر والنبيت غير مؤثلين بمكة . وإنما هى إن الشرطية وبها يتضح ما يريده الشاعر من كون القوم مؤثلين فيها حتماً .. وفى البيت الثانى فتح حاء رزاح وهى مرفوعة على أنها مبتدأ خبره ناصر .

٢٢٠ ومن شعر النابغة الذبيانى :

يا دارَميةَ بالعلياء فالسندِ أقوتْ وطال عليها سالفُ الأمد

بفتح دار ـ كأكثر الروايات ـ على أنها منادى مضاف ، وقليل من الشراح فيما أذكر مَن فطِن إلى الوجه الأصح ، وهو رفع دار على الابتداء ، فيكون الخبر (أقوتْ) وتكون (يا) حرف نداءٍ لمحذوف ، أو حرف استفتاح وتنبيه ، كقوله تعالى ، حكاية عن صاحب ياسين : ﴿ ياليتَ قومى يَعلمون﴾ .

٢٢٥ ومن أبياتٍ لأميةَ بنِ أبى الصلت :

وفرقة منهم قد أُدخلتِ النا رَ فساءتهمُ مرافقُها

والخطأ فى إثبات همزة الفعل (أدخلت) التى كَسَرَتْ بناءَ البيت ، والصواب حذفها ونقل حركتها إلى الدال الساكنة قبلها للتسهيل ، على سبيل القراءة المعروفة فى قوله تعالى : ﴿ قَدَ افْلَحَ مَن زكَّاها ﴾ وفيها :

ان لم تمت غبطة تمت هَرِمًا للموت كأس والمرء ذائقها

ولا مكان للغبطة هنا وإنما هى (عَبطة) وفى اللسان أورد الصدر فى مادة (عبط) هكذا : (من لم يمت عبطة يمت هرما) وفسر العبطة بأنها موت الشاب صحيحًا ..

٢٢٩ ومن شعر أمية أيضاً فى حديثه عن عرش الرحمن وحَمَلَة العرش ـ كما ورد فى النسختين ـ

مشرجعا ينا له بصر العين ترى حوله الملائك صُورا

والصواب (لا ينا له) وله فى الصفحة نفسها مادحًا :

لا ينكثون الأرض عند سؤالهم كتطلب العِلاتِ بالعيدان

والصحيح (لا ينكتون) بالتاء المثناة .

٢٣٢ ومن شعر للجارود بن المعلى فى مدح رسول الله ﷺ :

خصَّك اللهُ يا ابن آمنةَ الخيرِ بها إذ أتت سجالا سجالا

والصواب : (آمنةِ الخير) بكسر التاء لزوال مانعها من الصرف بالإضافة .

٣٣٦ وفى أبيات لقس بن ساعدة ـ أو غيره ـ فى وصف البعث :

منهم عراة ومنهم فى ثيابهمِ　　منها الجديد ومنها المنهج الخلِق

وكرر (الخلِق) مكسورة اللام فى رواية ثالثة ، والصواب (المُنهَجُ الخَلَقُ) بفتح اللام وهو البالى من الثياب . وفى الطبعة الأولى (الأزرق) بدل المُنهج ، وهذه أفصح .

٢٤٢ ومن شعر زيد بن عمرو بن نفيل :

أرب واحدٌ أم ألفُ رب　　أدين إذا تقسمت الأمور!

والصواب : أربًّا واحدًا . بالفتح مفعولاً به وصفته للفعل الذى بعده (أدين) أو لمثله محذوفاً ، وقد أوردهما المؤلف فيما بعد صحيحين عن هشام بن عروة .. ومنه :

ترى الأبرارَ دارُهم جنانٌ　　وللكفار حاميةٌ سعير

والخطأ فى رفع (حامية) والصواب نصبُها على أنها حال من (سعير) وهى كذلك صحيحة فى ابن هشام .

٢٤٣ وفيها من أبيات لورقة بن نوفل يرثى صديقه زيد بن عمرو بن نفيل :

لِدينِك ربًّا ليس ربًّا كمثله ..) والصواب (ليس رب) بالرفع اسم ليس ومنها أيضاً

لَتُدرِكَنَّ المرءَ رحمةُ ربه　　وان كان تحت الأرض سبعين واديا

ويلاحظ أن الصدر من الكامل والعجز من الطويل كبقية أبيات القصيدة ، وصوابه كما فى ابن هشام .

وقد تدرك الإنسانَ رحمةُ ربه ..

٢٥٨ ومن شعر العباس بن عبدالمطلب (رض) وقد حسبنا البيت مدورا :

ثم هبطت البلاد لابشر أنـ　　ـت ولا مضغة ولا علقُ

والصواب ثمَّ هبطتَ البلاد لا بشر...

وفيه :

تنقل من صلب إلى رحم　　إذا مضى طبق بدا طبق

وهو مختلف الصدر والعجز ، فالأول من السريع والثانى كسائر الأبيات من المنسرح ، والصواب فى شاهد (لسان العرب) : (تنقل من صالب إلى رحم) والصالب والصَّلَب زنةَ قلم لغتان فى الصُّلب ، وقد أوردتاها صحيحه كذلك فى الجزء الخامس ص ٢٨ .

٢٧٨ وفى أبيات لزهير بن صرد يستعطف رسول الله عقيب وقعة هوازن :

امنن على نسوة قدكنت ترضعها   اذ فوك يملؤه من محضها دَرَر

ولا مناسبة هنا للدرر بفتح الدال ، وإنما هى الدِّرر وزان فِعَل جمع دِرَّة بكسر الدال وهو سيلان اللبن ..

٢٩٦ ومن شعر ورقة بن نوفل فى مطالع البعثة النبوية :

لجحت وكنت فى الذكرى لجوجا   لِهمٍّ طالما مابعث النشيجا

وقد زيدت (ما) فى كلتيهما بعد (طالما) فكسرت الوزن .

وفيها :

ويظهر فى البلاد ضياء نور   يقوم به البَريةَ أن تموجا

والعجز هنا غارق فى الاضطراب ولا يُزيله إلا العودة إلى رواية ابن هشام (يقيم به البريةَ أن تموجا) أى يضبطها ويصونها من الفتن .

٣٣٤ ومن شعر سواد بن قارب :

فأشهد أن الله لا شئ غيرَ .. بفتح (غير) ويجب رفعها خبر لا النافية للجنس .

٣٤٨ أبيات منسوبة إلى أحد الهواتف :

قبَّح الله رأيَكم آل فهر   ما أدقّ العقولَ والأفهام

وقد فَتحنا لام العقول توهما بأنها مفعول فعل التعجب قبلها ، وبقيت الإفهام مكسورة تبعاً للقافية . وأحرى أن يكون الأصل : (يا أدقَّ العقولِ والأفهام) يصفهم بضآلتها .. والمعنى يا أقل الناس حظا من العقول والأفهام .

ومنها فيها :

توشك الخيل إن تردْها تهادى   تقتل القوم فى حرام يهام

وقد سكن المحقق دال (تردها » ظناً منه أنه مجزوم بإن الشرطية ..

والصواب : توشك الخيل أن تروها ..

٣٤٩ ومن هذا النوع قوله : أبا عمرو ناوبَنى السهود ../ والوزن مختل ، ويصح بزيادة تاء المضارعة على الفعل فيصير (تناوَبَنى) وفيه أيضاً (حياضًا ليس منهلُها الورودُ) بضم منهل ، والروىُّ مضموم ، والصواب نصب منهل على أنه خبر ليس مقدما .

٣٥٠ وأحد بيتين من هذا الضرب أولهما صحيح والثانى مختل وهو هذا :

نبىّ أتى يخبر بما سبق ... وبمايكون اليوم حقا أوغدِ

وليس هو من العَربية ولا الشعر بشئ ..



أغاليط وتحريفات في كتاب «البداية والنهاية» ج ٣

فى الجزء الثانى من هذا الكتاب لاحظنا أن الغالب على أخطائه قلة العلم بقواعد العربية وضيق مجال الرؤية للمعانى لدى (المصحح) حتى ليفوته فى العبارة الصواب القريب فيقع فى التصحيف البعيد .

وفى الجزء الثالث الذى نتتبع الآن أغاليطه ـ الشعرية ـ نلاحظ كذلك أن المصحح أكثر من واحد فهناك المثقف الذواق الذى يحسن التعقيب والتنقيب ولكنه لا يلبث أن يغيب عن العمل فيتولاه من لا يسد مسده .. ولا تفوتنا الإشارة إلى أن المجلد الذى يضم الثالث والرابع من الأجزاء هو من الطبعة الأولى وقد خلا من العبارة التى تتحدث عن تحقيقه وضبطه ومع ذلك لا نجد لأحد المجلدين ميزة عن الآخر من حيث وفرة المآخذ .

والآن هلم بنا أيها القارئ نواصل تجوالنا فى الجزء الثالث من الكتاب :

ص ١٠ فى الأبيات التى يرويها الكتاب عن ورقة بن نوفل حول مطالع البشريات بمبعث سيد الكائنات ﷺ يعرض إحداها على الوجه التالى :

بأن محمداً سيسود قوماً ويخصم من يكون له حجيجا

ولو نتبه المشرف على هذه الطبعة إلى الهوة الواسعة بين صدر البيت وعجزه لكلف نفسه العودة إلى المصادر الأخرى للوقوف على صوابه ، فتخصيص سيادته ﷺ بـ (قوم) يباين ما بعده من عموم غلبته على كل محاجّ له .. ولا خلاف على أن الحق مع ابن هشام الذى أثبت مكان (قوماً) كلمة (فينا)[1] المراد بها قريشاً أو العرب جميعاً .

وفى آخر القصيدة نفسها :

فان يبقوا وابق يكن أمورا ../ والصواب تكن أمورٌ برفع أمور فاعل تكن التامة ، أى تحدث أمور . وهى صحيحة هكذا فى رواية ابن هشام .

---

(١) أنظر سيرة ابن هشام ١٩٢/١ ط الحلبى ١٣٧٥ .

١١ فى أبيات أخرى لورقة وفى الموضوع نفسه :

فإن يك حقا ياخديجة ـ فاعلمى ـ حديثك إيانا فأحمد مرسلُ

والخطأ فى نصب (حديثك) وصوابه الرفع بأنه اسم (يك) مؤخراً وحقاً خبره ، وجملة الفعل (فاعلمى) معترضة والمعنى : إذا صح ما حدثتنا فلاشك أن أحمد مرسل من الله.

٤٩ ومن أبيات لأبى طالب فى نصرة رسول الله ﷺ والفخر بأعوانه :

بنا انتعش العود الزواء وإنما بأكنافنا تندى وتنمى أرومها

والتصحيف فى (الزواء) وهى (الذَّواء) بالذال المعجمة وهو الجفاف والذبول فى النبات وكذلك أثبتها ابن هشام ٢٦٩/١ .

٥٤ وفى مطولة أبى طالب عن نصرته لرسول الله وموقف خصومه :

يطاع بنا امر العدى ودَّ أننا يسد بنا أبواب تركٍ وكابلِ

وفى الصدر ركاكة لا تأتلف مع أسلوب أبى طالب ، ومن حقها أن تدفع المحقق إلى مراجعة القصيدة فى مظانِّها الأخرى ليتضح له مراد الشاعر . وصحته كما هو فى السيرة : (يطاع بنا العُدَّى وودوا لَوَننا [٢] ../ والعُدَّى كغُزَّى هم الأعداء الذين يودون تهجير آل هاشم وحلفائهم إلى أقصى بلاد الترك والأفعان لو استطاعوا .

وبعده يتحدى الشاعر خصومه قائلاً :

كذبتم وبيت الله نَبذى محمداً ولما نطاعنْ دونَه ونناضل

والخطأ فى (نبذى) فهى فيهما بالذال المعجمة وفى الثانية بالبناء للمعلوم ، وفى ابن هشام (نُبْزَى) بالزاى المعجمة وبصيغة المجهول ، يريد أنهم مصممون ألا يمكنوا أحداً من سلبهم محمداً ﷺ ودون ذلك قتال تشيب من هوله النواصى ..

٥٥ وفيها أيضاً يُقرِّع احد الممالئين عليهم :

أضاق عليه بغضُنا كلّ تلعة من الأرض بين أخشبَ فمجادلِ

---

(١) المرجع نفسه ٣٧٥ .

وقد ترك (أخشبَ) ممنوعاً من الصرف فاختل البيت ، وسلامته فى كسر الأخشب وتنوينه .

وفيها قوله :

وكنتم حديثا حَطب قدر وأنتم الآن أحطاب أقدُرٍ ومراجلِ

وهو مختل وزن العجز ، والرواية نفسها فى ابن هشام ـ ط الحلبى ص ٢٧٨ ـ وصحتها كما هى فى الأولى وفى طبعة دار الفكر ـ ص ٢٨٩ ـ

وكنتم حديثا حطب قِدر وأنتمُ أَلَانَ حِطابُ أَقدُرٍ ومراجلِ

٩٧ وفى قصيدة له يمدح ناقضى الصحيفة الظالمة :

تراوحها إفك وسحرٌ مجمّع ولم يلف سحراً آخر الدهر يصعدُ

وقد نصبتا (سحرا) وهو مرفوع نائب فاعل يُلغى .

١٣٨ ومن شعر حسان فى رثاء المطعم بن عدى عقيب بدر :

فلوكان مجد مخلد اليوم واحد من الناس نحى مجدَه اليوم مطعما

وهذه الرواية مجموعة من الركاكة ، فإذا صرفنا النظر عن عروض البيتَ (واحد) أمنصوبة هى على المفعولية لاسم الفاعل مخلد ، أم مجرورة بإضافته إليها فلا سبيل إلى قبول النصب لـ (مجده) لأنه فاعل (نحى) قطعاً ، هذا إلى أن الرواية المعقولة للبيت هى ما نقرؤه فى السيرة ـ ١/٣٨٠ ـ

فلو كان مجدٌ يخلدُ الدهرَ واحداً
من الناس أبقى مجدُه اليومَ مطعما

برفع (مجده) فاعل أبقى .

١٤٧ ومن شعر سويد بن الصامت :

فرُشنى بخيرٍ طالما قد بريتنى
وخير الموالى من يريش ولا يبرى

وقد رسم المصحح حركة الراء بالضم فى (يرُشنى) وهو من راش يريش : امده واغناه ، فالراء مكسورة ولا وجه لضمها .

١٥٤ وفى مطولة أبى قيس بن الأسلت يعظ قريشاً ويحذرهم ويذكّرهم :

رسول امرئٍ قد راعه ذاتُ بينكم
على النأىِ محزونٌ بذلك ناصبُ

وقد أفسد القافية برفع (ناصب) وهى مكسورة الروى ، وبقليل من الانتباه يعلم أن (محزون) و(ناصب) مجروران على أنهما صفتان أخريان لـ (امرئٍ) ..

وفيها أيضاً : (كوخز الاشافى وقعِها حق صائب) والصواب رفع (وقعُها) مبتدأ وخبره حق .. والجملة فى محل حال من الأشافى .

وفيها كذلك بوصف الحرب (.. هى الغول للاقصِينِ أو للأقاربِ) .

ولا أعلم وجهاً لكسر الصاد فهو مفتوح للدلالة على الألف المحذوفة والأصل (للأقصَينَ) بفتح الصاد والنون لكونه جمع مذكر سالماً مثل (الأعلَيْنَ)

١٥ وللشاعر المذكور أيضاً من عظة بليغة :

فأوصيكم بالله والبرِ والتقى واعراضِكم والبرِ باللهِ أولُ

وقد ضبط المدقق (البِر) الثانية بالكسر عطفاً على ما قبلها ولا وجه له ، بل هو (البرُّ) مرفوعاً بالابتداءو (أولُ) خبرُه .

ويتلو ذلك قوله : (**وإن قومكم سادوا فلا تحسِدَنَّهم** ...) والصواب ضم الدال دلالة على الواو المحذوفة إذ الأصل (**فلا تحسُدُونَّهم**) **ولا سيما إن الخطاب فى سائر الأبيات موجه إلى الجمع** ..

١٦٢ وفى قصيدة كعب بن مالك فى ذكر النقباء ليلة العقبة الثانية يتحدى أبا سفيان :

فلا ترغبن فى حشد أمر تريده وألّبْ وجَمّعْ كل ما أنت جامع

وكذلك ورد فى ابن هشام وهو مضطرب معنى الصدر ، بسبب دخول الرغبة على (فى) إذ يصير المراد نهى المخاطب عن بذل الجهد ، وفى ذلك مناقضة للعجز حيث يتحداه بإن يحشد كل طاقاته ، ولعل رواية البيت فى طبعة دار الفكر الصق بالصواب ، فهى هناك بالعين والياء (**فلا تُرعِيَن**) والمعنى فلا تدخر وسعاً لمواجهتنا بكل ما تملك من قوة .. أو لعل الأصل (**فلا ترغبنْ عن** ..) .

١٧١ ومن شعر أحمد بن جحش فى هجرتهم إلى المدينة :

إلى الله وجهى والرسول ومن يقم . إلى الله يوما وجهَه لا يخيبُ

وكذلك هو فى السيرة ، وفيه لحن ظاهر برفع جواب الشرط (لا يخيب) ولا مسوغ له فيما أعلم ، ومما ينسجم مع جزالة النص وقوته أن يكون الأصل هكذا ــ أو قريباً منه ــ

إلى الله وجهى والرسولِ ومن يُقيــ ـمُ لله يوماً وجهَه لا يخيبُ

إذ تكون (مَن) موصولة لا شرطية .

وفيها أيضاً : (**ترى أن وتراً نائياً عن بلادنا ..) ولا معنى له وصوابه كما فى السيرة** ١/٤٧٣ .

(ترى أن وتراً نأيُنا عن بلادنا ..) فهو يريد الهجرة وامرأته ترى فراق مكة أمراً صعباً وفيه أيضاً :

ستعلم يوماً أيَّنا إذ تزايلوا وزَيِّلَ أمر الناس لِلحقِ أصوبُ

وقد نصب (أيَّنا) وهو مبتدأ وخبره أصوب ، وجعل (زيل) **فعلاً معلوماً** ومفعولاً ، ولا وجه له بل هو كما ورد فى السيرة :

ستعلم يوماً أيُّنا ، إذ تزايلوا وزُيِّل أمرُ الناس ، للحقِ أصوب

٢٠٤ ومن شعر لأبى قيس بن الأسلت أيضاً :

(**نعادى الذى عادى من الناس كلهم**) بفتح كل ، والوجهُ كلِّهم بالكسر تابعاً مؤكداً للناس .

٢٤٣ ومما نسب إلى الصِّدِيق من الشعر :

أمن طيف سلمى بالبطاح الدمائث
أرقت وأمــرٌ فى العشيرة حادث

برفع (أمر) وطبيعى أن الأمر معطوف على (طيف) مجرور ...

وفى جواب ابن الزبعرى عليه :

٢٤ ومن عجيب الأيام – والدهر كله –
له عجب من سابقات وحادث
لجيشٌ أتانا ذى عَرام يقوده
...إلخ

فى البيت الأول زيادة الياء فى (عجيب) وفى الثانى رفع (الجيش) وهو مجرور باللام ويؤكد ذلك وصفه بمجرور (ذى) ثم أخطأ فى فتح عين (عرام) وهى مضمومة وصفاً للجيش بالقوة والشدة.

٢٤ – ومن أبيات منسوبة إلى سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه :

ألا هل أتى رسول الله أنى حميت صحابتى بصدور نبلى

وقد رسم السكون على آخر (هل) بالقلم وأثبت همز (أتى) بعدها ، وبذلك كسر البيت ، ويصح بحذف الهمزة ونقل حركتها إلى اللام الساكن قبلها..

٢٩٤ وفى بائية لحسان عقيب الانتصار فى بدرٍ يصف بطولة المسلمين :

بأيديهم صوارم مرهفات وكل مجرب خاطى الكعوبِ

وفى السيرة (حاظى) بالظاء المعجمة وهو الصواب ، ويريد به الرمح الصلب المكتنز.

٣٠٥ ومن رجز أحد الصحابة فى المناسبة نفسها :

أقم لها صدورَها يا بسبس ليس بذى الطلح لها معرِّسُ

على أن (معرس) اسم فاعل ، وأولى بها أن تكون اسم مكان من التعريس بفتح الراء.

٣٣٥ ومن قصيدة منسوبة لعلى كرم الله وجهه فى هذه المناسبة :

دعا الغي منهم من دعا فأجابه وللغى أسباب مرّمقة الوصلِ

يقال : عيش مرمَّق ، أى ضيق ، وبالنون مرنَّق المكدَّر ، وهو هنا أليق بالمعنى.

٣٣٧ ومن أبيات لحسان فى أعقاب بدر أيضاً :

لعمرك ما حامت فوارس مالك وأشياعهم يوم التقينا على بدر

ولا معنى هنا للحوم أو الحَيم بل هى بالخاء المعجمة ، وخام الفرسان : جبنوا ونكصوا .

٣٣٧ وله أيضاً : (**تَبَلَّتْ فؤادك فى المنام خريدة ...**) وصوابه تَبَلَت من الثلاثى أى أسقمت فؤادك .

٣٣٩ ومن أبيات لأثاثة بنت عباد بن المطلب ترثى عبيدة بن الحارث بن المطلب :

وبكِّيه للأيتام والريحُ زفزفٌ وتشبيبُ قدر طالما أزبدت تغلى

ورسمت الضمة على باء تشبيب بالقلم توهماً بأنه معطوف على الريح ، وهو معطوف على الأيتام حتماً .

تريد أنه جدير بأن يُبكى من أجل الأيتام الذين كان يرعاهم والنار التى كان يشبها ــ يوقدها ــ تحت القدور المعدة للضيفان .

٣٤٠ ومن قول لعاتكة بنت عبد المطلب تقرع المشركين عقيب بدر :

ولم تصبروا ــ للبيض حتى أُخذتمو ــ
قليلاً بأيدى المؤمنين المشاعرِ

ولا مكان هنا للمشاعر وإنما هى المساعر بالمهملة ، جمع مِسعر المقدام المثير للحرب ، وفى الحديث عند قصة أبى بصير (**ويل امه مِسعرَ حرب**) .

وفيها أيضا :

سيكفى الذى ضيعتمو من نبيكم وينصره الحَيَّانِ عمرو وعامرِ

ويمكن تجنب الإقواء ــ بين الكسر والضم من الروى ــ بجعل العجز هكذا (ويُنصر بالحيين عمرو وعامرِ) على أنه لا يُستغرب الإقواء عند بعض الجاهليين .

٣٤١ ومن قصيدة لضرار بن الخطاب بن مرادس يهدد الأنصار ــ قبل إسلامه :

عجبت لفخر الأوس ...

وفخر بنى النجار إن كان معشر أصيبوا ببدر . كلُّهم ثم صائرُ

والصحيح الذى يستقيم به المعنى فتح همز أن على أنها مخففة من أنْ : فيكون المراد : لا مُسوِّغ لفخرِ بنى النجار بإصابتهم جماعة من قريش فى بدر ، فمصير كل حّيٍ

هو الموت . وفى التنزيل العزيز (**أنْ كان ذا مالٍ وبنين**) و (**عَبَس وتولّى أن جاءه الأعمى**) .

وإلى هنا نكون قد انتهينا إلى آخر الجزء الثالث من كتاب (**البداية والنهاية**) فى طبعته الأولى الصادرة من قبل دار المعارف ـ بيروت ـ ومكتبة النصر بالرياض ، وقد اقتصرنا من المآخذ على الواضح الصريح ، وتجاوزنا كل ما يتصور حصوله عن طريق الطابع ..

وإلى اللقاء فى المقال الخاص بالجزء الرابع من الكتاب إن شاء الله ، وهو الموفق والمستعان .



أغاليط وتحريفات ج ٤

نتابع مع القارىء رحلتنا فى الجزء الرابع من هذا الكتاب النفيس .

٣٥٠ من قول حسان مقرِّعاً المشركين بعد أُحَد :

وأفلت حارث لما شُغلنا   بأسر القوم أُسرتِهِ فليلُ

ورسمت كسرتا (أسرته) بالقلم ولا وجه له بل الصواب (أسرتُه) بالضم على الابتداء .

٣٧ وفى أبيات لهند بنت عتبة فى المناسبة نفسها :

ما كان لى عن عتبة من صبر   ولا أخى وعمه وبكر

والصواب بكرى بالإضافة إلى ضمير المتكلم كما هى فى سيرة ابن هشام ج ٣ ط الحلبى ٩١ .

٤٧ ويَستشهد ببيت لامرىء القيس على الصورة التالية :

لَقَتلُ بنى أسد ربَّهم   إلا كل شىء خلاه جللّ

برفع (قتل) وبدئه بلام الابتداء ، وصحته فى الديوان (بقتلِ ...) وهو متعلق بقوله قبله (أتانى حديث فكذبته ...) وكذلك ورد هناك (سواه) بدل (خلاه) .

٥٣ وفى مطولة لكعب بن مالك يرد على هبيرة بن أبى وهب المخزومى بعد أُحُدٍ أيضاً :

به العين والآرام يمشين خُلفةً

وبيض نعام قيضه يتفلع

وقد ضم خاء خلفة والصواب كسرها بمعنى متتابعة يخلف بعضها بعضاً ، ومن ذلك قوله تعالى فى سورة الفرقان ﴿ **وهو الذى جعل الليلَ والنهارَ خِلفة** ﴾ .

٥٥ ومنها :

بنو الحرب أن نظفر فلسنا بفحَّشٍ ولا نحن من أظفارنا نتوجه

والخطأ (أَظفارنا) وفى ابن هشام ط الحلبى (أظفارها) بفتح الهمزة ولعل مراده بالأظفار أهوال الحرب ، كقول أبى ذؤيب الهذلى : وإذا المنية أنشبت أظفارها ...) وعند ابن هشام ـ طبعة دار الفكر ـ (إظفارها) بكسر الهمزة وفسرها بقوله (إذا ظُفر عليهم لم يجزعوا) .

٥٦ من نقيضة يرد بها حسان على ابن الزبعرى ـ قبل إسلامه :

نحن لا أمثالكم وُلْدُ إستِها نحضر البأس إذا البأس نزل

وقد رفع ولد فقلب المعنى إلى نقيضه إذ صار المقصود من (ولد إستها) قدحاً فى المؤمنين ، والصحيح نصبه بكونه منادى مضافاً ، وبذلك ينسجم التعبير مع المراد من هجاء المشركين .

٥٨ وفى أخرى منسوبة إلى حسان يبكى حمزة وإخوانه من شهداء الإسلام معارضاً حائية ابن أبى الصلت فى قتلى المشركين يوم بدر :

من كان يرمى بالنواقر من زمان غير صالحْ
ما أن تزال ركابه يرسمن فى غُبرٍ صحاصحْ

والخطأ فى (ما أن) من البيت الثانى حيث رسمت الهمزة بالقلم مفتوحة وهى إن النافية المكسورة الهمزة لتوكيد ما .

ـ وفى أبيات منسوبة إلى خبيب من شهداء يوم الرجيع :

وما بى حَذارُ الموت ، إنى لميت ولكن حَذارى جحمُ نار ملفعِ

بفتح حاء حذار والصحيح كسرها ، وبرفع حجم والصحيح نصبها على أنها مفعول المصدر حِذار .

ـ ومن أبيات لأبى سفيان بن الحارث المطلبى يرد على حسان :

فإنك لا فى هجرة إن ذكرتها   ولا حرمات دينها أنت ناسكِ

والأبيات مكسورة الروى وهو فى هذا البيت مضموم ، وكذلك ورد فى بعض الروايات ، إلا أن ابن هشام اثبته صحيحاً على الوجه التالى : (ولا حرمات الدين أنت بناسكِ) وكذلك هو فى طبعة دار الفكر من السيرة .

ـ وكان المسلمون يرتجزون بأبيات أثناء حفر الخندق ومنها ـ برواية النسختين ـ ٩٦/٤ ـ

أن الأولى قد بغوا علينا   وإن أرادوا فتنة أبينا

الصدر هنا مختل وينضبط برواية ابن هشام ٣٢٨/٣ ـ **(إنا إذا قوم بغوا علينا) ومما نسب إلى رسول الله ﷺ أنه (ضرب فى الخندق وقال :**

بسم الله وبه هدينا ـ ولو عبدنا غيره شقينا ـ يا حبذا ربًّا وحُبًّ دينا .

وقد عقب عليه ابن كثير بأنه حديث غريب .. وإذا كان هذا الرجز لغيره ﷺ فلا بد أن يكون أصله (بسم الآله ...) .

١٠ ويهجو حسان عكرمة فى فراره يوم الخندق فيقول :

فر وألقى لنا رمحه   لعلك عكرمٌ لم تفعل
ووليت تعدو كعدوِ الظليم ...   ما إن يحوِّر عن المعدل

وهنا خطآن أحدهما تنوين عكرم وليس فيه سوى الفتح أو الضم دون تنوين ، وثانيهما تشديد ياء (يحور) .

وفى أبيات لعلى فى الرد على عمر بن عبدود فى الصفحة نفسها :

لا تعجلن فقد أتاك   مجيب صوتك غيرُ عاجز

برفع غير وهو منصوب على الحال .

١٣ وفى قصيدة لحسان يرد بها على ابن الزبعرى ويصف أثر العاصفة فى خيبة الأحزاب :

حتِى إذا وردوا المدينة ...   رُدوا .....
بهبوب معصفة تفرق جمعهم   وجنودُ ربك سيدُ الأرباب

برفع (جنود) و (سيد) وكذلك هما فى طبعة دار الفكر ، والمعنى فيهما مشوش لا يصفو ويستقيم إلا برواية ابن هشام ط الحلبى ٢٥٨/٣ التى تجعلهما مجرورين بعطف جنود على هبوب وإتباع السيد للرب .

ومنها أيضاً :

وأقـر عين محمـد وصحابـه وأذلَّ كـل مـكـذبٍ مـرتـاب

عاتى الفؤاد موقّعٌ ذى ريبة

عـلق الشـقاء بقلبـه ففـؤادِهِ فى الـكفـر آخر هذه الأحقابِ

برفع موقّع ولا مندوحة عن جره بدليل وصفه بمجرور (ذى) وعلى هذا الوجه الصحيح جاءت رواية البيت فى كلتا طبعتى السيرة ، وضبط (فؤاده) بالكسر كأنه معطوف على القلب وهو فيهما أيضاً مرفوع على الابتداء .

وفى رد كعب بن مالك على ابن الزبعرى أيضاً يصف خيل الصحابة :

ونـزائـعاً مـثل السراج نمى بها عـلـف الشـعير وجزة المقضاب

عرى الشوى منها وأردف نحضها جـــرد المنون وسـائـر الآراب

وفى كلتا طبعتى السيرة (السراح) بالحاء المهملة جمع سرحان وهو الذئب و (المتون) بالتاء المثناة جمع متن وهو الظهر .

وله من أبيات أخرى :

هـدانا لـدين الحق واختاره لنا ولَلّهُ فـوق الصـانـعين صـانـعُ

والصحيح للهِ بالجر ، و (صنائعُ) كما هو فى طبعتى السيرة .

ومن أبيات لحسان فى بنى قريظة :

لـقـد لـقيت قـريـظـة ماساءهـا ومـا وجـدت لـذلٍّ مـن نصير

وفى ابن هشام ط الحلبى ٢٧١/٣ (ما سآها) على طريقة القلب المكانى بنقل الهمزة إلى ما بعد الألف ، كما فى الصاعقة والقاصعة والسجادة والسداجة .

وفى أبيات له يرثى بعض الشهداء :

لأنهم يـرجون مـنـه شـفـاعـة إذا لم يـكن إلا النبيون شافع

وذلك برفع (النبيون) وهى كذلك فى السيرة ولكنها منصوبة فى ديوان حسان (إلا النبيين) على القاعدة المشهورة فى نصب المستثنى منه إذا تقدم على المستثنى [1].

ولابن الزبعرى فى خالد بن الوليد وعثمان بن طلحة :

أنشدُّ عثمان بن طلحة خلفنا   وملقى نعال القوم عند المقبَّلِ

وفى السيرة (أنشد) مخففة الدال بمعنى (أطلب) وحلفنا بالمهملة ، ويبدو أن الشاعر يذكِّر ابن طلحة بعهد حَلَفَ عليه عند الحجر الأسود من الكعبة . وفى العجز صورة طريفة لتراكم نعال الطائفين الذين يكرههم التزاحم لتقبيل الحجر على ترك نعالهم بقربه ، وقد انتقلت هذه الصورة اليوم إلى مواضع الجمرات حيث تؤلف النعال الملقاة أكداساً .

ومن أبيات لحسان فى غزوة ذى قرد :

كنا من القوم الذين يلونهم   ويقدمون عَنان كل جواد

بفتح عين عنان ، والصواب كسرها للدلالة على اللجام ، فإذا فتحت دلت على السحاب .

من قول عامر بن الأكوع فى الطريق إلى خيبر :

ونحن من فضلك ما استغنينا   فأنزلن سكينة علينا

ويلاحظ ألَاَ مكان لـ (مِن) فى البيت لأنها تقلب المعنى إلى ضده ، وإنما هى (عن) .

وكذلك من أراجيز يوم خيبر قول الصحابى الشاعر كعب بن مالك :

قد علمت خيبر أنى كعب   مفرج الغماء جرىّ صلب

.. يطأكمو حتى يذل الصعب   بكف ماض ليس فيه عَيب

والبيت الأول مختل الوزن ، وإنما صحيحه كما فى السيرة (مفرج الغمى) بحذف الهمز و (عتب) بدل (عيب) فى الثانى .

وهنا رواية أخرى لهذا الرجز خالية كذلك من تلك الأخطاء ، ولابد من حذف

(١) الديون ٢٥٤ ط التجارية ١٣٤٧ هـ

الهمز أو الواو من (يطأكمو) كى يستقيم البيت .. وفى إحدى روايتى السيرة (نطؤكمْ) .

٢٤٢ ومن شعر عبد الله بن رواحة أثناء الرحلة إلى مؤتة :

لكننى أسأل الرحمن مغفرة وضربة ذات فرع تقذف الزبدا
أو طعنة بيدى حران مجهزةٍ ....

وفى السيرة (فرغ) بالغين المعجمة وهى السعة ، ومجهزة بالفتح لأنها نعت للمنصوب (طعنة) ولا وجه لجرها سوى الخطأ أو الإهمال ..

وفى أبيات له يودع بها رسول الله :

إنى تفرست فيك الخير نافلة الله يعلم إنى ثابتُ البصرُ

وكسر البصر يُحدث إقواء فى القافية ، لأن رويها مضموم ، وشاعر كابن رواحة وفى بيئة كالمدينة يتداول ناسُها الشعرَ فى كل مناسبة ، لا يتصور أن يقع فى شعره هذا العيب ، وبخاصة فى خطاب أعرب العرب ﷺ الذى لا يُغضى على اللحن يسمعه من أحد ، ولذلك أرى الخطأ فى أصل الرواية المتشابهة فى عديد من المراجع ولعل الصواب (بَصِر) وزان فَطِن أو بَصَر على الوصف بالمصدر ، كوصفنا الرجل بالعدل بمعنى كثير العدل ، وفى هذه الحال لابد من تنوين (ثابت) .

٢٤١ وله أيضاً أثناء الطريق إلى مؤتة :

جلبنا الخيل من أجا وفرع تَعُرُّ من الحشيش إلى العكوم
حذوناها من الصوان سَبتا أزل كأن صفحته أديمُ ...

والبيتان من أبيات مضمومة الروى إلا الأول فمجرور بإلى ، وهو خطأ كان سهل التصحيح لو رجع المدقق فيهما إلى السيرة حيث يرى العجز هكذا : (تُغَر من الحشيش لها العكومُ) ولا مناسبة لفعل (تُعَر) وإنما هو (تُغر) بالمعجمة أى تطعم شيئاً بعد شيء وكذلك فتح السين فى السبت وهو مكسور يراد به انعل المدبوغة ، وفى معلقة عنترة يصف قِرنه :

بطل كأن ثيابه فى سرحة يحذى نعالَ السِّبت ليس بتوأم

٢٤ وفى رجز لجعفر ذى الجناحين :

يـا حـبـذا الجنـة واقترابها   طـيـبـةٌ وبـارداً شرابُـهـا

فرفع طيّبة وحقها النصب على الحال .

ومن رجز ابن رواحة الذى ينازع به نفسه فى قلب الملحمة :

أقسمت يـا نـفس لـتـنـزلنـه   لـتـنـزلِنَّ أو لَـتُـكْـرَهَـنَّـه ..

بفتح الهاء من (لتكرهن) وهى مكسورة دلالة على الياء المحذوفة بعدها .

٢٥ وفى أبيات لقيس بن المحسر اليعمرى عن وقعة مؤتة :

وضم إلـيـنـا حـجـزتَيهم كليهما   مهاجرة لا مشركون ولا عُذُلُ

بالذال المعجمة وضمها مع العين وصوابها (لا عُزْل) بالزاى المعجمة جمع أعزل وبسكونها متابعة لقافية الأبيات .

٢٥ ويرثى حسان زيداً حِب رسول الله وابنَ رواحة بأبيات جاء فيها :

ثم جودى لـلـخزرجى بدمع   سـيـدا كـان ثم غيـرُ نـزور

بضم غير وتنوينها ولا مكان لذاك بل هى بالفتح نعت (سيدا) أو خبراً ثانياً لكان .

٢٦ ويبكى كعب بن مالك شهداء مؤتة ويصف منهم جعفراً بقوله :

قـرم على بـنـيـانـه من هاشم   فرعا أشم وسؤددًا ما ينقل

وفى السيرة علا بنيانُه فعل وفاعل وهو الصحيح .

ومنها :

لا يطلقون إلى السفاه حَباهمو   وترى خطيبهم بحق يفصل

بفتح حاء (حَباهمو) وصوابها الضم جمع حبوة ، وهى ضرب من الجلوس ، وقد كرر فتح حباء فى ص ٢٧٩ .

٢٧ وفى قصيدة عمرو بن سالم الخزاعى يشكو قريشاً إلى رسول الله :

قد كنتمو ولداً وكنا والداً   ثَمت أسلمنا ولم ننزع يداً

فـانصر رسول الله نصراً أبـداً   ....

ونقضوا ميثاقك المؤكدا وجعلوا لى فى كِداء رصداً

وقد فتحت ثاء (ثمت) والصواب ضمها بمعنى ثُم ، وجاء أبداً بالباء وهى أيدًاً بالياء المثناة أى قوياً ، وكسر كاف كداء وهى مفتوحة موضع بمكة كسحاب وسماء .

٢٨ ومن أبيات لبديل بن عبد مناة يرد على خصم له فى موقعة الوتير :

ويوم الغميم قد تكفتّ ساعياً عبيسَ فجعناه بجلد حلاحلِ

وقد شدد تاء (تكفت) وهى مخففة وفتح سين عبيس كأنه ممنوع من الصرف وهو مصروف مرفوع فاعل تكفت .

٢٨ ومن شعر حسان فى التحريض لنصر خزاعة : (وصفوان عَودًا حز من شفراسته) . بنصب عَود فى كلتا النسختين وهو المُسن من الإبل ، وفى السيرة (عَود) بالضم خبر صفوان تشبيها له بالعَود .

٢٨ ومن أبيات لأبى سفيان بن الحارث بن عبد المطلب فى إعلان هدايته :

فقل لثقيف لا أريد قتالها وقل لثقيف تلك عيرىَ أوعدى

عيرى بالعين المهملة ، وفى السيرة غيرى أوعدى أى هددى سواى .

وفيها :

فما كنت فى الجيش الذى نال عامر
وما كان عن جرى لسانى ولا يدى
قبائل جاءت من بلاد بعيدة
نزائع جاءت من سِهام وسُردَدِ

وفى السيرة (جرًّا) بدل (جرى) والجرًّا مهموزاً أو مقصوراً : السبب و (سهام) بفتح السين بدل الكسر اسم موضع .

٢٩ ومن همزية حسان الشهيرة فى فتح مكة :

عدمتُ بُنَيّتى إن لم تروها تثير النقع من كَنَفىْ كداءِ

ومن غرائب هذه الرواية ما تراه من الفرق بينها وبين الأصل التالى :

عدمنا خيلَنا إن لم تروها رتثير النقع موعدها كَداءُ

وهى هكذا فى ديوان حسان ص ٤ وفى السيرة ومختلف المراجع ، وقبل البيتْ مقدمة طويلة عن الخمر وأثرها فى الشَّرب ، ولو ترك لرواية ابن كثير غفر الله له لعاد ضمير (تروها) إلى الخمرة .. وهيهات .. وكذلك القول فى (كنفى كداء) فمع سلامة المدلول تفسد القافية بالإقواء ولا عذر لمصححى الطبعة فى السكوت على هذه الرواية الفاسدة ..

٣٩ وفى أبيات لضرار بن الخطاب أو سواه يستعطف رسول الله على قريش يوم فتح مكة :

لتكونن بالبطاح قريش بُقعةَ القاعِ فى أكفِّ الإماء

ولا معنى للبقعة هنا وإنما هى الفَقعة حبة الكمأة ، كناية عن الخطر المحدق بقريش من تهديد سعد بن عبادة رضى الله عنه .

٣١ ولأنيس بن زنيم الدئلى يعتذر لرسول الله :

تعلمْ أن الركب ركب عويمر هم الكاذبون المخلفو كل موعد

والبيت مختل بهذه الصيغة والصواب (تعلم بأن) كما هو فى السيرة ، ومنه أيضا :

وأنك قد أخبرت أنك ساعيا بعبد بن عبد الله وابنة مهود

وفى الصدر تشويش كثيف تجليه رواية ابن هشام ٤/٤٢٥ :

فإنك قد أخفرت إن كنت ساعياً ..

٣٤ ومن شعر بجير بن زهير فى غزوة هوازن :

بالجزع يوم حيالنا أقرانَنا وسوابح يكبون للأذقان

بفتح أقران وكسر سوابح ، وحيا بالياء ، وفى ابن هشام (حبا لنا أقرانُنا) من الحبو بالباء والأقران جمع قرن فاعل مرفوع وسوابحٌ بالرفع معطوفة على الأقران .

٣٤ والعباس بن مرادس يصف الضحاك وعمله فى معركة هوازن : (رجلاً به درب السلاح ..) بالدال وهو بالذال المعجمة (ذرب) الحدة والمضاء وكذلك (أنبئك انى قد رأيت مكره) والصحيح بتسهيل همزة (أنبئك) ياءً ومثلها فى قصيدة له أخرى (ينبئها) والصواب (ينبيها) .

٢٤ وفى أخرى له أيضاً :

حتى رفعنا وقتلاهم كأنهم نخل بظاهرة البطحاء منقعر

والصحيح دفعنا أى انطلقنا ... وفيها :

فما ترى معشراً قلوا ولا كثروا
إلا وقد أصبح منافيهمُ أثر

وقد زيدت واو (وقد) وقطعت الهمزة فى (أصبح) فكسر البيت . وفى أخرى له أيضاً :

وعلى حنين قد وفى من جمعنا ألف أمدَّ به الرسولَ عِرِندسُ

ويفهم من هذه الصورة أن (عرندس) أمد الرسول بذلك الألف ، والصحيح (ألف أُمِدَّ به الرسولُ عرندسُ) فعرندس أى الشديد وصف للألف ، وأُمِد فعل ماضٍ للمجهول ، أى ألف عرندس أُمِد به الرسول ..

٣٧٠ وفى لامية كعب بن زهير يصف ناقته :

تهوى على يَسُرات وهى لاهية ذوابل وقعهن الأرضَ تحليل

وقد ضم سين يسرات وهى مفتوحة جمع يسرة ، وزان حسنة : قوائم الناقة الخفاف ، وفى السيرة (مسّهن الأرضَ) وهو الصحيح ولا تسويغ لوقعهن إلا بتكلف بعيد . ومنها :

لظل يُرعِد من وجد موارده من الرسول بإذن الله تنويل

ولا تناسق بين الصدر والعجز على هذا الوجه ، وإنما هو على إحدى روايتين :

لظل ترعد من وجد بوادرُه
إن لم يكن من رسول الله تنويل

وفى الثانية وهى المشهورة والأقوى :

لظل يُرعد إلا أن يكون له من الرسول بإذن الله تنويل

ومنها أيضاً :

تظل منه حمير الوحش نافرةً ولا تمشي بواديه الأراجيل

برفع (نافرة) وهى منصوبة على الحال ورسمت (تمشى) بالياء وهى بالألف على أنه مضارع محذوف التاء .

ومنها :

لـيسوا مـعـاريـج أن نـالـت رمـاحـهـم
قـومـاً ولـيسوا مجازيـعـاً إذا نـيـلوا

والأصل (مفاريح) من الفرح ، وهنالك رواية أخرى للصدر هى (لا يفرحون إذا نالت رماحهم ...) .

★★★

أغاليط وتحريفات ج ٥

ج ٥ من منشورات دار المعارف بيروت ـ

ص ٤ عن الضحاك بن خليفة قوله حين كسرت رجله فى بيت سويلم اليهودى :

كادت وبيت الله نار محمد يُشيط بها الضحاك وابن أبيرق
وظلت وقد طبقت كبس سويلم أنوء على رجلى كسيراً ومرفق

والصواب كما فى ابن هشام :

٢٨ كادت وبيت الله نار محمد يَشيط بفتح الياء بدل الضم و (مرفقى) مع ضمير المتكلم .

فى أبيات العباس بن عبد المطلب التى سبق بعضها فى القسم الأول :

بل نطفة تركب السفين وقد أُلجَم نسراً وأهله الغرقُ
حتى احتوى بيتك المهيمن من خندفٍ علياءَ تحتَها النطق

بضم همزة الجم ، وتنوين خندف ..

والصواب : أَلجم بفتح الهمز ، وخندفِ بغير تنوين كما أثبتها فى الجزء ٢ . وفى أبيات تالية لخالد بن الوليد رضى الله عنه (إذا ما الصبا ألوت بكل خَباء) وصوابها خِباء بكسر المعجمة .

٣٣ فى رجز لنساء ثقيف : (لم يحسنوا المَصاع) وهو بكسر الميم مصدر ماصَعَ .

٣٥ ولحسان وقيل لولده عبد الرحمن فى مدح الأنصار :

(ألست خير مُعِدٍّ كلها نفراً ..) وكرر (معداً) بضم فكسر فى ص ٤٤ ، ومنها

(بالبِيض ترعش فى الإيمان عارية) والصواب مَعَدّ بفتح ففتح ، ويريد بها قريشاً ، والإيمان بفتح الهمز جمع يمين لا بكسرها كما فعل .

٤٢ فى أبيات الزبرقان :

فما تــرانـــا إلى حى نــفـــاخـــرهـــم
إلا استـفـادوا ، وكـانوا الـرأس تـقـتـطع

والصحيح بالقاف كما فى ابن هشام ، وفى طبعة دار الفكر ، أى انقادوا . ومنها : (إنا أبينا ولم يأبى لنا أحد ..) .

٤٣ وفى غيرهما : (ولا يأبى) وهو الأصح . وفى رد حسان على الزبرقان .

لا يـرفـع الـنـاس مـا أوهت أكـفـهـم
عـنـد الـدفـاع ولا يوهون مـا رفـعوا

أعـفـة ذكـرت فى الوحى عـفتهـم
لا يـطـمـعون ولا يـرديهم طـمـع

لا يـفـخـرون إذا نـالوا عـدوهـم
وأن أصـيـبوا فلا خَوَرٌ ولا هَـلَـع

أكـرم بـقـومِ رسولِ الله شـيـعـتُـهـم
إذا تـفـاوتت الأهـواء والشـيـع

فـإنهم أفضـل الأحـيـاء كـلـهـم
إن جد فى الناس جد القول أو شمِعوا

وفى الأول لا يرفــع ورفعوا بالفاء ، وفى بقية نسخ السيرة بالقاف من الرقع ويراد به تقوية الواهى ، وفى الثانى لا يطمعون ، والصواب كما فى سائر نسخ السيرة بالباء (لا يطبعون) من الطبَع بفتح الباء أى الفساد والعيب والدنس . وفى الثالث (خوَر وهلَع) بوصفهما مصدرينِ ، وتحريك الواو فى (خور) يخل بوزن البيت ، والصواب كما فى السيرة بضم الخاء والهاء جمع خَئور وهَلوع ، وفى الرابع جعل الرسول مضافاً إليه وهو مبتدأ خبره شيعتهم ، وفى الخامس (شمِعوا) بكسر الميم والصواب فتحها .. وهى ضد

٤٤ الجد . وفى نقيضة أخرى لحسان .

بحيٍّ حـريـد أصـلـه وثـراؤه بجابية الـجُولان وسط الأعاجم

ونحن وُلِدنا من قريش عظيمها ولدنا نبى الخير من آل هاشم
فلا تجعلوا لله نَدًّا وأسلموا ...

وقد ضم جيم الجولان والمضبوط فى المعجمات فتحه ، وضم واو (ولدنا) ولا يصح سوى فتحها ، وكذلك فتح نون الند والصواب كسرها ، وفى الحديث . أجعلتنى لله نِداً ! .

وفى الصفحة نفسها :

ظللت مفترش الهلباء تشتمنى عند الرسول فلم تُصدِق ولم تصب

بضم تاء (تصدق) وكسر دالها ولا وجه لها هنا وإنما هى بالفتح والضم .

٥٨ ويرثى لبيد أخاه أربد بأبيات تكثر فيها الأخطاء .

ما أن تُعَرى المنون من أحد لا والد مشفق ولا ولدِ
أخشى على أربدِ الحتوفِ ولا أرهب نوء السَّماك والأسد
فعين هلا بكيت أربداذ قمنا وقام النساء فى كبِد
وعين هلا بكيت أبداذ ألوت رياح الشتاء بالعضِد
أشجع من ليث غابة لحم ذو نهمة فى العلا ومُنتَقِد
فجعنى البرق والصواعق بالفـ ـارس يوم الكريهة النجِد
كل بنى حَرةٍ مصيرهم قَلٌّ وإن كثروا من العدد
أن يقبطوا يهبطوا وإن أمروا يوماً فهم للهلاك والنَّفَد

ففى الأول فتح همزة إن وهى مكسورة لأنها توكيد للنفى القائم بما ، وخير ما يقال فى (تعرى) أن صوابها (تعدى) بحذف تاء المضارعة . وفى الثانى كسر دال (أربد) وفاء (الحتوف) والصحيح فتحها ، على أن أربد مجرور بفتحة لامتناعه على الصرف ، والحتوف مفعول أخشى ، وفتح سين (السماك) والمشهور كسره . وفى الثالث كسر باء كبد وهى مفتوحه ، وفى التنزيل العزيز ﴿ لقد خلقنا الإنسان فى كَبَد ﴾ وفى الرابع كسر ضاد (العضد) وصوابه الفتح أو الضم . وفى الخامس جعل (منتقد) وزان اسم الفاعل ، ولا وجه له والصواب وزن اسم المفعول على أنه مصدر ميمى ، أى ذو بصر وخبرة . وفى طبعة مكتبة الفلاح (مُتقَد) وهو حسن . وفى السادس كسر جيم

(النجد) والصحيح ضمها ، وفى السابع جعل الحُرة بضم الحاء حَرة فاستحجرت المرأة ، وجعل (قل) فعلاً ماضياً وهو (قُلٌّ) اسم مضموم القاف خبر كل ، وفى النسخ الأخرى من السيرة (أكثرت) وهى أقوم للوزن من (كثروا) وفى الأخير ضبط همزة أمروا بالضم على البناء للمجهول من الأَمر ، وكذلك جاء فى نسختى السيرة ، والذى أراه أنه بفتح فكسر وزان (سمع) بمعنى (كثروا) ومن ذلك قول أبى سفيان (أمر ابن أبى كبشة) أى عظم وكبرت قوته . وفى البيت خطأ فى توزيع جزأى البيت إذْ ضم (أمروا) إلى عجز البيت وهو عروضه .

٦٣ ــ ومن كلام زيد الخير إذ أحسَّ بالموت عند ماء يسمّى فردة :

أمرتحل قومى المشارقَ غدوة وأترك فى بيت بفردةِ منجدِ !
إلا رب يوم لو مرضت لعادنى عوائد من لم يبر منهن يجهد

وقد كسر المحقق الكريم تاء (فردة) وهى علم ممنوع من الكسر بعلتين ، ونقل البيتين من ذيل الصفحة مشوَّهين بمزيد من الأخطاء التى أثبتها بقلمه ، وليته تركها عاريين من ذلك الشكل المشوّه .

٧٠ فى أبيات لفروة بن مسيك المرادى :

(مررن على لِقاتٍ وهن خُوص) بكسر لِفات وتنوينها وهى علم مكانٍ ممنوع من الصرف مجرور بالفتحة .

٧١ ومن قصيدة لعمرو بن معديكوب :

ترد الرمحَ مثنىّ السنان عوائراً قَصَدُهْ

بفتح القاف والصواب كسره جمع قِصْدة أى القِطع المتكسرة ، ومثل ذلك ضبطهُ اللبد بضم اللام جمع لبدة للأسد ، وفى ابن هشام بالكسر وزان قِطعة وقِطَع . وفيه يصف مظهر القوة به (ناشراً كتدَه) فجعل الكتد كأنه مفعول به لناشر ، والروى مضموم فهو مرفوع على أنه فاعل (ناشر) . وفى ابن هشام وط الفلاح ناشز بالزاى .. أى بارز مرتفع . وكذلك ضبط (يعتضده) بفتح الدال وهو معطوف على مرفوع ، وعلى دأبه فتح قاف القِرن الذى هو المكافىء مرتين ..

٧٢ وفى أبيات له أيضاً :

إنى بالنبى موقنة نفسى وإن لم أر النبى عَياناً

جاء بالناموس من لدن الله وكان الأمين فيه المعانا
فعليه السلام والسلام منا حيث كنا من البلاد وكانا

وفى الأول فتح عين عيانا وهى مكسورة مصدر (عاين) والثانى مختل وزن الصدر ولم أجد مرجع القصيدة ويمكن ضبطه كما يلى (جاءنا بنَّموس ...) بحذف الألف الثانية لفظاً من الناموس ، ومثل ذلك يدخل فى جوازات الشاعر ، ولعل الأصل هو (الكتاب) وبخاصة أن (الناموس) من تعابير أهل الكتاب التى لم يُعْنَ بها إلاَّ من هم مثل ورقة بن نوفل . أما الثالث فمكسور ، وينضبط بتحويل السلام الثانية إلى السلم .

٨٦ ، ٨٧ ومن شعر فروة بن عمرو الجذامى :

طرقت سليمى مُوهنا أصحابى والروم بين الباب والقَروانِ
صد الخيال وساءه ما قد رأى وهممت أن أُغفَى وقد أبكانى
لا تكحَلَنَّ العينَ بعدى إثمدًا سلمى ولا تَدينُ للإتيان

وقد ضم المحقق ميم موهنا فى الأول وهو مفتوح ، وفتح همزة أغفىْ وفاءه وهو مضارع المزيد إلى أربع بضم أوله وكسر ما قبل آخره ، وأورد لا تكحلن فى الثالث بصيغة المفرد المذكر ، مع أن الخطاب للمؤنث سلمى / فيجب كسر اللام قبل نون التوكيد ، وجعل (تدين) فعلاً مضارعاً مرفوعاً مع أنه متصل بنون التوكيد ينهى فيه سلمى عن أن تدين لأى راغب ، فهو مفتوح تاء المضارعة يليها دال فياء مكسورتان فنون مشدَّدة . وفى ط الفلاح تدنِنَّ من الدنو . وله أيضاً عند تقديمه للقتل والصلب :

ألا هل أتى سلمى بأن حليلها على ماء عفرى فوق إحدى الرواحلِ
على ناقة لم يضرب الفحل أمها يشُدُّ بِهِ أطرافُها بالمناجل

والتصحيف فى (يشد به) فهى كما فى السيرة وط الفلاح وفى ذيل الأحمدية (مشذَّبة) يصف الخشبة التى سيصلب عليها عقوبة له على إسلامه ، رضى الله عنه .

٩١ من شعر محمد بن بشر بن معاوية :

يملأن وفد الحى كل عشية ويعود ذاك الملىء بالغدوات

وقد كسر الملء وأخطأ فى رسمه وهو مرفوع بدل الفاعل ذاك

٩٢ من كلام راشد بن عبد ربه :

(أرب يبول الثعلبان برأسه) بكسر نون الثعلبان ظنا من المحقق أنه مثنى وهو مفرد مرفوع لأنه ذكر الثعالب . وله أيضاً : (حتى تبوأ بيته فى ملحِدِ) بكسر الحاء ، وهو مُلْحَد بفتحها اسم مكان وهو القبر .

٩٦ وفى أبيات على لسان الجن :

تهوى إلى مكة تبغى الهدى ليس قَدامَها كأذنابها

والصواب قُداماها جمع قادمة :

٢٢٠ ، ٢٢١ ومن شعر أحد المنافقين .

لقد عشت دهراً وما أن أرى ـ وأوفى ـ من أولاد قِيلة ـ فلو أن بالعز أو الملكُ .. وقد فتح همزة ان وهى مكسورة لأنها مؤكدة للنفى ، وكسر فاء أو فى وهى مفتوحة ، وأثبت همزة أولاد وهى محذوفة للوزن ، وكسر كذلك قاف قيلة وهى مفتوحة ، ورفع آخر الملك وهو مكسور بالعطف على المجرور . وفى الصفحة نفسها عقب ذلك .

تكذّب دين الله والمرء أحمداً لعمر الذى أمناك بئس الذى يَمنَى

حباك صنيفٌ آخر الليل طعنة أبا عفْكَ خذها على كبر السن

ففتح النون والياء فى (يمنى) وهى بضم الياء وكسر النون مضارع أمنى المعلوم ، وكسر عجز البيت الثانى بتسكين فاء عفك وهى مفتوحة ، وفتح كافه وجرُّها مع التنوين ضرورىّ لسلامة الوزن . وفى الصفحة نفسها فى أبيات :

بَأَسَتْ بنى مالك والنبيت وعوف وباسَتْ بنى الخزرج

وفيها : مُذجَح وغَرة .. وفى ابن هشام : بِاستِ ، وَمذ حِج بفتح الميم وكسر الحاء ، وغِرة بكسر الغين . ولحسان يرد على قائلتها :

فهزت فتى ماجداً عرفَه كريم المدْخَل والمخرج

والصحيح كما فى ابن هشام وط الفلاح :

عرقه بالقاف ، والمداخل جمع مدخل .

٢٨٠ من دالية حسان في رثاء رسول الله ﷺ

معارف لم تطمس على العهد آيها أتـاهـا البـِلا فـالآى منهـا تجدد

والصواب البِلى مقصوراً بكسر الباء.

وإن ناب أمر لم يقوموا بحمله فَـمَـن عـنـدَه تيسير مـا يـتـشـدد

بجعل (من) موصولية أو استفهامية، والصواب في ابن هشام (فمِن عندِه) جار ومجرور على أنه خبر لتيسير.

فـبـكّـى رسـول الله يا عين عَبرة ولا أعرفَنّك الدهر دمعك يجمد

وقد أخلت شدة نون (أعرفنك) بالوزن وصوابها التخفيف.

٢٨٢ ومن رثاء أبي سفيان بن الحارث لرسول الله ﷺ :

وذاك أحق مـا سالت عـلـيـه نـفـوس الـنـاس أو كَرُبتْ تسيل

والخطأ في (كربت) بضم الراء وهي مفتوحة بمعنى كادت.

٣٣٦ وفي رجز للشاعر الفارس عبد الله بن رواحه :

ضرباً يـزيـل الهام عـن مـقـيـلـه ويُشْـغِـلُ الخلـيـلَ عـن خـلـيـلـه

وقد ضم حرف المضارعة في يشغل كأنه من الرباعي، ولا يصح فيه سوى الفتح من الثلاثي، وقديماً تلقى الصاحب بن عباد معروضاً من طالب عمل ذكر فيه كلمة (إشغال) بكسر الهمزة فوقع الصاحب في ذيلة. لا (أشغال) عندنا لمن يقول (إشغال).

٣٤٥ ومن أبيات لحسان في رثاء الزبير (رضى).

وإن أمـراً كـانـت صـفـيـةُ أمُّه لـه مـن رسـول الله قربى قريبةٍ

وقد رفع (أمه) وهي منصوبة خبر كان، وجر قريبة وهي مرفوعة نعت المبتدأ قربى.

٣٤٦ ومن رثاء عاتكة زوج الزبير أياه (غدر ابنُ جرموزَ بفارس بهمة) بفتح جرموز وهو مجرور بكسرتين للوزن والقاعدة.

أغاليط وتحريفات ج ٦ و ٧

٣٠ ج ٦ فى أبيات لم يعرف قائلها

فيالُ قصى مازوى الله عنكم　　به من فعال لا تجازى وسؤدد

وموضع النظر فى أول البيت ، إذ فصل اللام عن قصى وأثبت عليها الضمة ولا مندوحة من أن تكون لام الاستغاثة ـ للتعجب ـ فينبغى فتحها ووصلها بالمتعجب منه (قصى) وإما أن يكون أصلها (آل) سهلت همزتها فهى منادى منصوب للإضافة ، ولا وجه لضمها البتة ، ولعل الأصل فى (تجازى) بالراء فابدلت زايا خطأ . ولم أجد هذا البيت فى نسخ السيرة .

٤٤ من مطولة لأبى طالب .

وما ترك قوم لا أبالك سيدا　　يحوط الذمار غير ذرِب موكّل

وابيض يُستسقى الغمامَ بوجهه　　ثَمالَ اليتامى عصمة للارامل

وكسر الراء فى (ذرب) أخل بالوزن وهى ساكنة فى نسخ السيرة ، وأفسد قافية البيت بتجريدها من ألف التأسيس الملتزم فى سائر القصيدة إذْ جعل (موكل) مشدد الكاف والأصل مواكل . وجعل يستسقى فى البيت الثانى معلوماً وهو للمجهول فى سائر النسخ ، فيكون الغمام مرفوعاً نائب-فاعل ، وفتح ثاء ثمال وهى مكسورة ..

٥٤ لحكيم بن حزام يصف رسول الله ﷺ

ماينظر الحكام بالفضل بعدما　　بدا واضحٌ من غُرة وحجولُ

إذا قايسوه الجد أربى عليهم　　بمستفرع ما الذباب سحيلِ

وأول مايلاحظ هنا الاقواء ـ اختلاف حركة الروى بين البيتين ـ ولا إقواء هناك ، وإنما هو خطأ (المحقق) الذى رسم الضمة على لام حجول بدل الكسر . ثم الخلل فى عجز الثانى ، ولعل الصواب (بمستفرع مثل الذباب) يشبه قوامه المحبوك بذباب السيف .. وفى ط الفلاح (بمستفرع ماء الذباب ..) !

٨٦ ومن شعر الحميرى عما زعموا من رد علىّ للشمس فى أخبار موضوعة :

حتى تبلج نورها فى وقتها للعصر ثم هوت هَوِى الكوكب

وقد فتح هاء (هوى) وهى مضمومة مصدر هَوَى يهوى أى هبط . وفى ص ٨٧ فى أبيات أخرى فى الموضوع نفسه ضبط كلمة الدجنة بكسر الدال وصوابها الضم .

١٦٨ من قصيدة النابغة الجعدى .

ولا خير فى حُلم إذا لم يكن له بوادر تحمى صفوه أن يكدرا

وكرر البيت فى الصفحة نفسها وفى كليهما يضم حاء حلم ، ومعلوم أنها مكسورة اسما للعقل .

٢٥١ وفى قصيدة فى وصف النار التى انفجرت من شرق المدينة كما أخبر رسول الله ﷺ .

زلازل تخشع الصمَ الصلادَ لها ..... فيالها آيةٌ .....

وقد رسم الفتح على كل من الصم والصلاد وهما مرفوعان فاعل ونعته ، ورفع آية بضمتين وهى منصوبة على التمييز .

٣١٣ ومن شعر الحطيئة أيام الردة

وإن التى سألوكمو فمنعتمو لكالتمر أو أحلى إلىَّ من التمر

وقد أثبت همز سأل ورسم فتحتها وبذلك يختل وزن البيت والصواب حذف الهمز .

٣١٧ ومن شعر طليحة بعد مقتل ولده فى حروب الردة :

أقمت له صدر الحمالة .. إنها معودة قبلَ الكماة نِزال

والخطأ فى (قبل الكماة) والصواب (قيل) أى القول ، ونَزال بفتح النون لا

بكسرها ، اسم فعل أمر للتحريض على القتال ، يريد أن خيولهم معودة كفرسانها خوضَ الغمرات .

٣٢٢ ومن شعر متمم بن نويرة فى مالك أخيه :

لقد لامنى عند العبور على البكى رفيقى لتذراف الدموع السوافك
فقلت له أن الأسى يبعث الأسى فدعنى فهذا كله قبرِ مالك

وفى ذكر (العبور) بدل القبور ، والبكى بدل البكا ، وجر القبر وهو خبر المبتدأ ، أوضح دليل على أن (المصحح) لم يكن غير آلة التصوير التى تنقل ما أمامها دون تفكير ، فليس هناك مصحح ولا مدقق ولا من يحزنون .

٣٢٧ ومن أبيات لأحد المحاصرين من المؤمنين يوم ردة البحرين :

توكلنا على الرحمن أنا قد وجدنا الصبر للمتوكلينا

وقد كسر الطابع البيت بزيادة (قد) عليه .

٣٣١ ومن كلام أحد المرتدين :

(جزى الله شخريتا وأفناء هاشما ..) وطبيعى أن الشاعر غير مسئول عن نصب هاشم وإنما هو جهاز التصوير الذى لم يتذكر عمل الإضافة فى هاشم فنصبه دون رحمة .. سامحه الله .. وفى ط الفلاح (أفناء هيثم) .

٣٤٩ ومن قول أحد الإيادين يمتدح قومه بالكرم والسبق إلى التعليم .

قومى إيادٍ لو أنهم أمم أو لو أقاموا فتهزل النعم
قوم لهم باحة العراق إذا ساروا جميعاً واللُّوح والقلم

فكسر (إياد) وهو مرفوع خبر المبتدأ (قومى) وضم لام اللوح بالرسم وكان على الجهاز أن يتذكر فتحها من وجود القلم إلى جانبها ..

ومن هنا ننتقل إلى الجزء السابع من الكتاب .

١١٧ ج ٧ من رثاء أم خالد لسيف الله .

أشجاع .. فأنت أشجع من ليث ضمر من جهنم أبى أشبال

والعجز مختل الوزن ولا أستبعد أن يكون الأصل (.. هزبز جهم أبى أشبال) أو قريباً من ذلك .

١١٨ ومن أبيات طليحة الأسدى .

فإن يكن اذداد أصِبن ونسوةٍ فلم يذهبوا فرعاً بقتل خيال
نصبت لهم صدر الحمالة . إنها معاودة قتل الكماة نزال
ويوما تراها تضىء المشرفية نحوها ويوما تراها فى ظلال عوالى

وقد سبق ورود هذه الأبيات فى ص ٣١٧ ج ٦ مع تقديم وتأخير فيها ، ومع اختلاف فى بعض ألفاظها .. فالبيت الأول هناك (فان يك أولاد ..) وقد قدم (أصِبن) على نسوة للضرورة ، وكسر (نسوة) وهى مرفوعة بالعطف على أولاد . وفى الثانى (معاودة) وصوابها كما فى الرواية السابقة معوَّدة ، وأخطأت الروايتان فى (قتل) فكانت هناك (قبل) والصواب قِيل أى القول كما أسلفنا . وفى البيت الثالث إخلال بالوزن يصح بحذف (تراها) وخطأ آخر فى (نحوها) والصحيح نحرها بالراء .. يريد أن هذه الخيول لا تبرح سوح المعارك فمرة تبرق السيوف فوق نحورها ، وتارة تُظلها رماح الأبطال .. وقد اضطربت الروايات فى اسم ابن طليحة فهو هنا خيال ، وفى رواية الجزء ٦ حبال وقبلها كان اسم القتيل جبال .

١١٩ وأحد بيتين فى نعى عمرو بن معديكرب :

(لقد غادر الركبان يوم تحملوا ...) بكسر نون ركبان على التثنية وصوابها الضم على أنها جمع ركب .

١٤٠ ومن رثاء فى الفاروق رضى الله عنه

فجعنى فيروزٌ .... بأبيض تال .. منيب
رؤوفٌ على الأدنى غليظٌ على العدى .. أخى ثقة ..
متى ما يقلْ لا يكذبُ القول فعله
سريعٌ إلى الخيرات غيرُ قطوب

وقد خالف فى الشكل بين النعوت فبدأ بمجرور (أبيض) وأتبعه بوصفين مجرورين ثم اتبعها بمرفوعين ثم بمجرور ، وكان عليه أن يسوى بين النعوت المتلاحقة على حكم واحد . وفى الثالث يرفع جواب الشرط الجازم (لا يكذب) وليته تركه دون شكل .. وفى ط دار العربى وردت الأبيات صحيحة كلها . وفى أبيات تالية فى رثائه أيضاً :

قل لأهل السراء والبؤس موتوا   قد سقته المنون كأس سغوب

ولا معنى هنا لسغوب وهى تصحيف عن (شعوب) أى المنية .

١٤١ من شعر عباس بن مرداس يوم توزيع غنائم هوازن :

وماكان حصن ولا حابس   يفوقان مرداس فى مجمع

وماكنت دون امرىء منهما   ومن يخفض اليوم لا يرفع

هكذا (يخفض) بضمير الغائب ، وفى ابن هشام . (ومن تضع اليوم لا يُرفع) وهو الأنسب لأن الكلام فى عتاب موجه إلى رسول الله ﷺ .

١٥٥ وفى بيتى هجاء لمجهول :

آب الكرام بالسبايا غنيمة   وآب بنو نهدٍ .. فى سَفَطْ

كميتٌ ووردٌ وافرين كلاهما   فظنوهما غنما فناهيك من غلَط

وفى (وافرين) لحن لا يصح إلا بالألف على الرفع ، أو بكسر الوصفان قبله ـ كما ورد فى ط دار العربى .

١٨٤ ومما نسب إلى ذى النورين يوم الفتنة الكبرى :

يبيتُ أهلُ الحصن ، والحصن مغلق

ويأتى الجبالَ الموتَ فى شماريخها العلا

والضمير عائد على الموت الذى يقتحم الحصون والجبال ولا يبقي على شيء .. ولذلك أرى أن فى البيت زيادة أخلت بوزنه ، وصواب العلا (العلى) على أنها جمع صفة لشماريخ ، وفى ط دار العربى (ويأتى الجبال الموت شمراخها العلا ..)

٢٠٠ لمجهول فى زواج عثمان رضى الله عنه من رقية بنت رسول الله ﷺ :

أحسن زوج رآه إنسانُ   رقيةٌ وزوجها عثمانُ

وهو مكسور يمكن جبره برد فعل (رأى) إلى اللغة الأخرى (راء) فيصير (راءه) .

٢٤٣ وفى رجز بنى ضبة يوم الجمل :

(نحن بنو ضبة أصحاب الجمل ..) والصواب (بنى) منصوبا على الاختصاص .

٢٥٠ وترثى الزبير رضى الله عنه زوجُه :

غـــدر ابن جرموزَ بفارس بهمه يوم الـلـقاء وكان غر معرد
ثكلتك أمك أن ظفرتَ بمثله ممن بقى ممن يـروح ويـفـتـدى

وضبط (جرموز) بالفتح وهو مخل بالوزن وصوابه بالكسر والتنوين ، وفَتح همزة أن وهى النافية المكسورة الهمز . وكذلك فى (غرمعرد) تصحيف فاحش والصواب (غير معرد) الثابت الذى لا يعرف الهزيمة ـ وقد عرض الأبيات صحيحة ـ فى ج ْ / ٣٤٦ ـ إلا فتحة جرموز وروى عجز البيت الرابع (فى من مضى فى من يروح ويفتدى) وأليق به أن يكون بدل (فى من) الثانية (ممن) وصواب (يفتدى) يغتدى بالغين .

٢٦٥ من شعر حاتم الطائى على لسان معاوية فى صفين :

ويحمى إذا مـــا الموت كـــان لـــقـــاؤه
كـذلك ذو الأشـبـال يحمى إذا مـا تـأمرا

والخلل فى (إذا ما تأمرا) وقد رويت القصيدة فى الأغانى وفى ديوان حاتم خالية من هذا البيت . ولعل الأصل (إمَّا تأمرا) بحذف (يحمى)

٢٦٦ من أبيات ابن الأطنانة :

أبت لى عــــفتى وأبى بلائى وأخـذى الحمل بالثمن الربـيـح

وقد صحف فجعل الحمل مكان الحمد ..

٣٣٧ ومن شعر الحجاج بن علاط السلمى يمدح عليا يوم بدر :

لله أى مـــذنب عن حـــربـــه أعنى ابـن فـاطـمةِ المعمِ المخولا
وعللت سيفك بالدماء ولم تكن لترده حــــرانِ حــــتَى ينهلا

ولا معنى لمذنب ـ فى الأول ـ وإنما هو مذبّب المبالغ فى الذب ، أى الدفع والمنع ـ وحزبه بالزاى المعجمة ، وكسر (فاطمة) و (المعم) وحقهما الفتح نعت ابن ، وفى الثانى كسر نون حران وهى مفتوحة على الحال أو لكونه مفعولاً ثانياً .

أغاليط وتحريفات ج ٨

ص ١٠ من أبيات لأمير المؤمنين على رضى الله عنه :

أجدُ الثياب إذا اكتسيت فإنها　　زين الرجال بها تعز وتكرم

وقد ضم دال أجد كأنها مضارع للمتكلم ، وصوابها الكسر فعل أمر من الإجادة أى اختر من الثياب حسنها .

١١ ومن أبيات منسوبة إليه أيضاً .

فكم من جاهل جاهل　　أودى حليما حين أخاه

وقد اشترك فى روايته على هذا الوجه عدة طبعات والصواب فى ما نراه :

فكم من جاهل اردى　　حليما حين آخاه

وكذلك حدث فى الأبيات الثلاثة التالية لها خطأ فى تقسيمها ، إذ ضم الحروف الأخيرة من صدورها إلى أعجازها ظنا من المحقق الأول أنها مدورة وليست كذلك .

٤٣ من شعر كثير نمرة فى رثاء الحسن رضى الله عنه ويصف كرمه :

كان إذا شُبَّتْ له ناره　　يرفعها بالنسب المائل

كيما يراها بائس مرمل　　أو فرد قوم ليس بالآهل

تغلى بنىَّ اللحم حتى إذا　　انضج لم تغل على آكل

ففى عجز الأول غموض فى المراد من النسب وهو كذلك فى بعض الطبعات التى اطلعنا عليها ، ولعل الأصل هو (المنشب) الذى تحرك به النار .

وشددت ياء (بنى) فى الثالث مع فتحها فأوهمت أنها منادى مضاف إلى ضمير

المتكلم ، وإنما هى (باء) الجر و (النىّ) مجرورا بها ، وهو بكسر النون الشحم ، وبفتحها السِّمَن ـ بكسر السين ـ

٥٦ وفى رثاء حجر بن عدى :

إن الآله عليك ميتا وجنات بها نعم وحور

وهى (فرضوان) .

٦٥ من أبيات لحسان فى آل جفنة :

لمن الديار أوحشت بمفان بين أعلى اليرموك فالصُّمان
فالقريّات من بلامس فداريـ ـنيا فسكاء لقصور الدوانى
ثكلت أمهم وقد ثكلتهم يوم حلوا بحارث الحولانى
وقد دنا الفصح فالولائد ينظمن سراعا أكلةَ المرجان

فالأغاليط التى أساءت للأبيات شائعة فى الأصل وبعض الطبعات الأخرى لتواردها جميعاً على مصدر واحد غير محقق ، وفى الأول (الديار) صوابها (الدار) والصّمان صحيحها (الخمان) وفى الثانى (بلامس) وهى بِلاس) ، وقد حذفت الفاء والألف من القصور فظهر فيها القصور ، وفى الثالث أثبت (الحولانى) بالحاء مكان الجولانى بالجيم ، وزيدت الواو أول الرابع بخلاف الأصل .. وقد نقلنا الصحيح من ديوان حسان ـ ط الرحمانية ١٣٤٧ هـ .

٧٦ من شعر أحد البجليين يوم القادسية :

فأبنا وقد أيمت نساء كثيرة ...

وفى طبعة دار الأصمى (آمت) وهو الصواب .

٨٦ من شعر متمم بن نويرة فى أخيه مالك :

فلما تفرقنا كأنى ومالك لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

وقد رسم الكسرتين تحت مالك ووجهه النصب بالعطف على اسم كأن .

٩٠ ومن كلام لعبد الرحمن بن أبى بكرة

تذكرت ليلى والسماوة دونها فمالُ ابنة الجوىّ ليلى وماليا ؟ !

وأنى تعاطى قلبه حارثية تؤمن بصرى أو تحل الجوابيا !
وأنّى بلا قيها .. بلى ولعلها إن الناس حجوا قابلا أن توافيا

فنى الأول فصل لام الجر عن مجرورها (فمالا بنة) وفى الثانى أثبت (تؤمن) ولا وجه لها هنا والأقرب أن تكون بالميم (تؤم) وفى الثالث أثبت (بلا) خطأ وهى وما بعدها (تلاقيها)

٩٥ وفى هجاء لابن مفرغ :

ولكن كان أمر فيه لِبس على خوف شديد وارتياع

ورسم الكسرة تحت لام (لبس) وهى مفتوحة كما فى التنزيل العزيز (أفعيينا بالخلق الأول .. بل هم فى لَبس من خلق جديد) .

٩٦ وله أيضاً .

عدسٌ ما لعبادَ عليك إمارة نجوت وهذا - تحملين - طليق

بضم عدس وتنوينه وفتح دال عباد منعا له من الصرف ، وفى كلتيهما إخلال بالوزن ، والصواب - كما فى ط الأصمعى - بإسكان عدس صوت زجر للدابة وصرف عباد بكسر وتنوينه .

٩٧ وعن الحطيئة يروى :

أبت شفتاي اليوم ان تتكلما بشر فما أدرى لمن أنا قائله

وقد قلب المعنى رأساً على عقب بقوله (أن تتكلما) والصحيح (إلاَّ تَكَلُّما) وهى صحيحة كذلك فى ط الأصمعى .

٩٨ وله فى استعطاف الفاروق رضى الله عنه :

فامنن على صبية بالرمل مسكنهم بين الأباطح يغشاهم بها القدر

وقد حرف المشهور من هذا البيت وهو (القِرَر) وله فى الصفحة نفسها من مديحه لبنى سعد

(أولئك قومى ان بنوا ! أحسنوا البنا ...)

والصواب كما فى الديوان (أولئك قوم)

ويتلو ذلك قوله :

الشعر صعب وطويل سلّمهْ إذا ارتقى فيه الذى لا يعلمه
زلت به إلى الحضيض قدمه والشعر لا يستطيعه من يظلمه
أراد أن يعربه فأعجمه

وقد اختل عجز الثانى بزيادة التاء على الفعل (يستطيعه) وهو فى الديوان (يسطيعه) و (يريد) مكان (أراد) والسوأة فى (فأعجمه) بدل (فيعجمه).

١٠٢ ومن أبيات قيس بن سعد بن عبادة رضى الله عنه يجيب معاوية فى موضوع سراويله :

أردت بها كى يعلم الناس أنها سراويل قيس والوفود شهود
والاَّ يقولوا غاب قيس وهذه سراويل غادى سمد وثمود

وقد توارد على هذه الأغلوطة فى عجز الثانى عدة طبعات ، والصحيح كما فى (رغبة الآمل) ٤١/٥/ (سراويل عادىّ نمَتْه ثمود)

١١٨ من شعر هند فى صغيرها معاوية :

ان بُنَىَّ معرقٍ كريم محبب فى أهله حليم
ليس بفحاشٍ ولا لئيم ولا ضجور ولا سؤوم

وقد رسم الكسرتين تحت (معرق) فى الأول وهى مرفوعة خبر إنَّ ، وأخل بعجز الثانى ، ويغلب على ظنى أن ثمة (لا) مكررة وساقطة من الراوى أو الكاتب (.. لا ولا سؤوم).

١٢٨ وفى خبر برواية ابن عساكر عن الشعبى أن عقبة بن أبى معيط قد بعث إلى معاوية يحرضه على حرب علىّ بأبياتٍ منها :

فان علياً ناظر ما تجيبه فأهدِ له حرباً يشيب النواصيا
وحامَ عليها بالقتال وبالقنا ولاتك مخشوش الذراعين وانيا

ففى البيت الأول (يشيب) للمفرد المذكر والحرب مؤنثة فهى بالتاء ، وفى الثانى (حـامَ) بفتح الميم كأنها فعل ماض وهو بكسر الميم دلالة على الياء المحذوفة من (حامى) ثم هناك مشكلة فى إسناد النص إلى عقبة بن أبى مغبط ، وهو الذى قتله

رسول الله صبراً فى بدر بيد عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح .. والظاهر أن الأبيات من صنع ولد له سقط اسمه من الراوى ، ولعله الوليد الذى نزل فيه قول الله ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ...** ﴾

١٤٠ من أبيات تمثل بها معاوية وهو يحتضر :

فياليتنى لم أعنِ فى الملك ساعة ولم أسع فى لذات عيشٍ نواضر

وقد كسر نون (أعن) ولا وجه له هنا والصحيح فتحها من العناء أو العناية مع ضم حرف المضارعة .

١٤٣ ومن أبيات قالها يزيد عندما تلقى نبأ وجع أبيه :

فما نبالى إذا بلَّغن أرحلنا مامات منهن بالمرمات أو طلعا

يصف سرعة سيرهم وأثرها فى المطايا ، فما يهمهم هو أن تبلغهم مقصدهم ولو أدى بها ذلك إلى الموت أو الوهن ، وقد بسط تاء المرمات وهو السهم ، وجعل الطاء بدل الظاء وهو الظلع . ولعل الأصل (الموماة) وهى المفازة لا ماء فيها . وفى الصفحة نفسها من رثاء ابن خريم لمعاوية :

رمى الحدثان نسوة آل حرب ... / بكسر نون الحدثان كأنه مثنى وهو مفرد بمعنى الجمع مرفوع بالضمة .

١٨٢ وفى رجز لرجل من عليم :

أن تنكرانى فأنا ابن كلب نسبى بيتى فى عليم حسبى
أنى امرؤ ذو مرؤة وغضب — — — —

فأول الأخطاء زيادة (نسبى) فى صدر الأول ، ثم خلل عجزه ، ومثله صدر الثانى ، وفى الكامل لابن الأثير ـ ج ٥ / ٤٣٠ ـ .

أن تنكرونى فأنا ابن كلب حسبىَ بيتى فى عُلَيم حسبى
انى امرؤ ذو مرة وعصب — — — —

١٨٣ ومن رجز الحر بن يزيد يوم الطف :

اضربهم بالسيف ضرباً مقصلا لا ناكلاً عنهم ولا مهملا

وفى ط الأصمعى (مهملاً) وفى لطبرى (مهلـلا) وهو الصحيح والمهلل الذى يجبن وينكص عن قرنه .

١٨٤ ومن رجز زهير بن القين فى المناسبة نفسها :

أنـــا زهير وأنـــا ابن الـقين أذودكـم بـالسيـف عـن الحسين

ولو حذف (كم) من العجز لصح . وفى ط الأصمعى (اذودكم بالسيف عن حسين) .

٢٠٨ ومن غرائب الأغاليط فى هذا الكتاب ـ وعدة طبعات ـ أن تقرأ به مثل هذا الخبر القائل (كان الحسين بن على يطوف بالبيت فأراد أن يستلم فما وسع له الناس فقال رجل للفرزدق : من هذا ؟ .. فقال الفرزدق :

هذا الذى تعرف البطحاء وطأته والـبـيـت يـعرفه والحل والحرم

إلى آخر القصيدة .. مع أن المشهور أنها قيلت فى زين العابدين رداً على سؤال الخليفة هشام بن عبد الملك على رواية صاحب الأغانى .

٢٠٩ وعن أبيات نسبها إلى الحسين رضى الله عنه عن أحوال الموتى وتسلط التراب على أجسامهم :

فـطعت ذا زاد من هذا كذا فتركتها رمما يـطـوف بها البـلى

وقد قطع الصدر حتى لا يعرف أصله ، وفى ط الأصمعى : (قطعت ذا من ذا من هذا كذا) ولتصحيح الوزن لابد من الواو بعد (ذا) الثانية .

٢١٠ ومن أبيات لعبيد الله بن الحر بعد مقتل الحسين رضى الله عنه

فـإن يـقـتـلـوا تـلـك الـنـفوس الـتـقـيـة
على الأرض قـد أضـحـت لـذلك واجـمـة

وقد غمض مراد الشاعر حتى الركاكة ، وصواب البيت كما فى ط الأصمعى :

فإن يقتلوا فكل نفسٍ تقيةٍ على الأرض قد أضحت لذلك واجمهْ

٢١١ ومن رثاء سليمان بن قتيبة فى الحسين :

مـررت على أبيـات آل محمد فـألـفيتها أمثالها حيث حلتِ
فلا يبعـد الله الـديـار وأهـلها وإن أصبحت منهم بزعمى تخلت

إذا افتقرت قيس خبرنا فقيرها وثقلنا قيس إذا النعل زلت

وصحة عجز البيت الأول (فلم أرها أمثالها يوم حلت) وتصويب الثانى :

فلا يبعد الله الديار وأهلها
وإن أصبحت من أهلها قد تخلت

وكذلك الثالث :

إذا افتقرت قيس جَبَرْنا فقيرها
وتقتلُنا قيس إذا النعل زلت

والتصحيح من الكامل لابن الأثير – ج ٣/٣٠٢ –

٢٢٤ وفى أبيات لابن الزبعرى – قبل إسلامه –

حين حلت بفنائهم برَّكها واستحر القتل فى عبد الأشل

وقد تواردت عدة طبعات على أغاليط الصدر ، وصوابه كما فى سيرة ابن هشام (حين حكت بقباء بَرْكَها)

٢٣١ وفى قول لأحدهم فى يزيد بن معاوية :

لست منا وليس خالك منا يا مضيع الصلوات للشهوات

والصحيح (الصلاة) بالإفراد .

٢٣٤ ومن أبيات منسوبة ليزيد بن معاوية :

انها بين عامر بن لؤى حين تمنى وبين عبد مناف

ولا معنى لـ (تمنى) هنا وإنما هى (تنمى) أى تنسب .

وفى أبيات له تالية :

آب هذا الهم فاكتنفا ثم مرَّ النوم فامتنعا
ولها بالمطارون إذا أكل النمل الذى جمعا
نزهة حتى إذا بلغت نزلت من خلق تبعا

وفى الأول (اكتنفا) وصوابه بالعين بدل الفاء بمعنى حضر ودنا ، واصل (المطارون) فى الثانى (الماطرون) وهو موضع كما فى لسان العرب ، و (خلق) فى

الثانى لا مفهوم لها ، ولعل الأصل جلَّق بالجيم وهى من أسماء دمشق ، ويفهم من اللسان أن الأبيات للأخطل ولعل يزيد قد تمثل بها .

وفى أبيات لشيخ من همدان :

بين شيخ خاضب عثنونه وفتى البيضاء وضاحا دقل
جاء يُهدج فى سابغة فذبحناه ضحى يوم الجمل

والصواب ـ ط الأصمعى ـ (وفتى أبيض وضاح رِفَل) وفى صدر الثالث خلل يصح بإضافة (نا) جاءنا ، ويهدج بفتح الياء ثلاثياً ، والهدج ضرب من السير .

٢٨٣ ومن أبيات لسراقة بن مرداس البارقى فى مقتل زياد :

ضربناك بالعضب الحسام بحده
إذا ما أتانا قتيلاً بقتيل

وفى ط الأصمعى .

ضربناك بالعضب الحسام بحِدةٍ
إذا ما أبأُنا قاتلا بقتيل

٣١٠ ومما تمثل به عبد الملك لقتلة عمرو بن سعيد :

وادنيته منى ليسكن روعه فأصول صولة حازم مستمكن

ويلاحظ أن الصدر من الطويل ، والعجز كالبيت الثانى من الكامل ، ويصح الصدر بحذف الواو من أوله . وفى الصفحة نفسها وفى الموضوع نفسه :

وجدت ابن مروان ولا نبل عنده شديد ضرير الناس غربليد

وفى ظنى أن أصله (هزبر شديد البأس غير بليد)

٣١١ ولمجهول فى الموضوع :

الا يا قوم للسفاهة والوهن وللفاجر الموهون والرأى الأفن

وقد فقدت البيت كل خصائص الشعر بهذه الرواية التى تواردت عليها طبعة الأصمعى وغيرها ، والرأى عندى أن الأصل :

الا يا لقومى للسفاهة والوهن وللعاجز الموْهون والرأى ذى الأفن

وبذلك تستقيم الأبيات فى الوزن والقافية .

٣٢٠ ولابن قيس الرقيات فى مصعب بن الزبير :

إن مصعبا شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلماء

ويصح بإعادته إلى أصله (إنما مصعب)

٣٢٢ وله أيضاً فى رثاء مصعب :

فإن نفن لا يبقى أولئك بعدنا
لذى حرمة فى المسلمين حريم

والبيت غير مستقيم المعنى ولا النظم ، وفى ديوانه ـ ١٩٧ ـ (فإن نَفْنَ لا يبقوا ...) والغموض باق ، ويخيل إلى أن الشطرين من بيتين للصدر عجز وللعجز صدر آخر .

٣٤٢ ومن أبيات لمعمر بن أبى معمر الذهلى فى رثاء ابنى الزبير رضى الله عنه :

إلى أن رمته الحادثات بسهمها فيالله سهما ما أشد وأصوبا
فإن يك هذا الدهر أردى بمصعب — — — —

ومثلها فى غيرها من الطبعات والصواب (فلله سهما ...) و (أودى بمصعب) .

٣٤٣ ومن قول عبد الله بن الزبير رضى الله عنه :

ولست بمبتاع الحياة بسبة ولا بمريق من خشية الموت سلما

والصواب (ولا مرتق من ...) .

أغاليط وتحريفات ج ٩

٢٣ أول الأغاليط فى هذا الجزء تلك الأبيات التى أدلت بها جدة وأم لصبى تقاضتا أمام شريح القاضي وأبيات له فى تقرير الحكم ، ولا تستحق اهتماماً فهى إلى كثرة أغلاطها تافهة الأسلوب تبدو عليها الصنعة والقصد إلى الالغاز.

وفى أبيات منسوبة إلى القاضى شريح فى ولدٍ له غوى :

ترك الصلاة لأكلب يسعى بها طلب الهراشَ مع الغواة الرجَّسِ
فإذا أتاك فعفّة بملامة وعظة من عظة الأديب الأكيس

وقد نصب الهراش وهو مجرور بالإضافة ، ولعل الأصل فى قوله (فعفه) (فعنّه) من العناء . وقد أفسد بناء العجز ، وأقرب إلى الصواب (وأفده من عظة ..)

٢٩ ومن رجز لشريح بن هانىء :

أصبحت ذا بث أقاسى الكبرا قد عشت بين المشركين اعصرا

ثم أدركت النبىَّ المنذرا ....

والخلل فى أول الثانى حيث أثبت (ثم) مكان ثمت ولكلتيهما حكم واحد .

٣٠ / ٣١ وفى أبيات قطرى بن الفجاءة :

فمن لا يغتبط يسأم ويهرم وتسلمه المنون إلى انقطاعى

والخطأ فى (يغتبط) إذ رسمت بالغين المعجمة وهى بالعين المهملة ، وقد أظهر ياء الوصل فى روى أربعة أبيات كشأنه فى (انقطاعى) وهى مما يجب حذفه ..

٣٩ من أبيات للسيد الحميرى يناجى غائبه على طريقة الكيسانية :

هـدانـا الله إذ خـرتم لأمـر ... بـه عـلـيـه يـلـتـمس التماما

وفى ديوانه ـ ٣٨٠ مكتبة الحياة : ـ

هـدانـا الله إذ جـرتم لأمـر ... بـه وعـلـيـه نـلـتمس التماما

٤٤ ومن غزل لجميل بن معمر أو عمر بن أبى ربيعة :

مازلت أبغى الحىَّ أتبع فلهم ... حتى دفعت إلى ربيبةَ هودجِ
فـلـثـمت فاها آخذاً بقرونها ... فـرشـفت ريـقـا باردا مثلج

وقد فتح (ربيبة) وهى مكسورة بالجر ، والخطأ الثانى فى آخر البيت الثانى وصوابه (بارد المتثلج) ولم أجد البيتين فى ديوان جميل ، ولم أجد فيه للجيم قافية .

٥٩ من قصيدة لعمران بن عصام يحض عبد الملك على تولية ابنه الوليد للعهد وصرفه عن أخيه :

ولـكـنـا نحاذر من بـنـيـه ... بنى الـعلات مـأثـرة سـبـامـا
فلايك مـاحـلـبت غداً لِقوم ... وبـعـد غـد بـنوك هـم العباما

وفى ط الأصمعى (ماثرة سماما) وأخطأتا فى (العبام) والصواب (العيامى) جمع العَيمان والعَيمى وهو ذو الشهوة إلى اللبن .

٩٢ من شعر ابن أبى ربيعة :

قـلت مـا بالَنا جفينا وكنا ... قـبـل ذاك الاسماعِ والأبصـار

وقد فتح اللام فى (لنا) وهى مرفوعة وكسر (الأسماع) وهى منصوبة خبر كنا .

١٠٨ وفى الميمية المنسوبة للفرزدق يرد على هشام ويمدح على بن الحسين زين العابدين :

سـهـل الخليقة لا تخشى بوادره ... يـزيـنـه اثـنـان الحلم والـكـرم
إن عد أهل التقى كانوا أيمتهم ... أو قيل من خير أهل الأرض قيل هم

وظاهر خلل الأول إذ صحيحه (يزينه اثنان حسن الحلِم والكرم) وربما روى

(الخلق) بدل (الحلم) . وفى الثانى ضبط من بكسر الميم و (خير) بالجر وطبيعى أن الصواب (مَن خيرُ .. ؟) على أن الجملة استفهامية .

١١٠ من زهديات زين العابدين على بن الحسين :

أبعد اقتراب الأربعين تربصٌ وشيبٌ قذالٌ منذرٌ للكابر
كأنك معنيٌّ بما هو ضائر لنفسك عمدا وعن الرشد حائرُ
امسحوا رميماً فى التراب وعطلت مجالسهم منهم واخلى مقاصر

فما أن ترى إلا قبورا .....
بل أوردته بعد عز ومنعة ...

ففى الأول خلل فى الوزن وأخطاء فى الإعراب والقافية ، والصحيح عطف (شيب) على الأربعين بالجر وإضافته إلى (قذال) ولعل الأصل فى ما بعدهما (للنذير تكابر) . وقد ختم الثانى بـ (حائر) والصواب (جائر) بالجيم أى حائد و (امسحوا) فى أول الثالث تحريف عن (أمسوا) مع الخرم ، ويحسن بدل (أخلى) (أخلت مقاصر) .. وفتح همزة إن فى الرابع وهى مكسورة على أنها مؤكدة للنفى ، و (بل) فى الخامس حذفت منها الألف المقصورة لأن المقام يتطلب حرف الجواب (بلى) .

١٢٤ ولشاعر مجهول :

حنانيك مَن يجنى عليك وقد تعدَّى الصحاحَ مبارك الجَرَب

وفى الصدر خلل لم نعثر بأصله ولا عرفت القائل ، وأقرب شىء إلى معناه (وأخوك قد يجنى عليك) وفى العجز ضعَّف الفعل (تعدى) وهو (تُعدِى) من (أعدى) وفتح الجيم والراء فى (الجرب) وهى بضم فسكون جمع جرباء وأجرب ، وبذلك تنسجم مع قافية الثانى (الذنْب) .

ويتلو ذلك أبيات تلقيها جارية صغيرة بين يدى الحجاج جاء فيها :

أحجاج .. كم تقتل به أن قتلته ثمانا وعشر واثنتين واربعا

وأقرب إلى العربية أن يكون الصدر (أحجاج أن تقتله تقتل بقتله ..)

١٥٣ ومن قصيدة فى وصف جامع بنى أمية بدمشق :

قد كان قبل الحريق مدهشة فغيرت نارة بلاقعها

والاشكال فى العجز ، وهو فى تهذيب تاريخ ابن عساكر (فغيرت ناره بلاقعها) والاشكال لا يزال فى اختلاف حركة الروى بين الفتح والكسر الذى بُنيت عليه القافية .

١٦٩ ومن أبيات لاشجع بن عمر السلمى يرثى بها عمر بن سعيد بن قتيبة :

سأبكيك ما فاضت دموعى ، فإن تغض
فحسبك منى ما تجر الجوانح

والصواب (تجن) بالنون ..

١٧٨ ومن قول أعرابى :

ولو ضربوا بالسيف رأسى فى مودتها
لمال يهوى سريعا نحوها راسى

ولعل الأصل أو قريباً منه (لوجز بالسيف رأسى فى مودتها) .

١٨١ ومما لهج به سليمان بن عبد الملك فى مرضه :

إن بنىَّ صغارُ أفلح من كان له كبار

والظاهر أن أصل الصدر (ان بنىَّ صِبية صغار) .

٢٠٥ ومن أدب المواعظ يقول شاعر لنفسه :

واخشىْ حوادث صرف الدهر فى مَهَل
واستيقظى لا تكونى كالذى بحثا
عن مدية كان فيها قطع مدته
فوافت الحرث موفورا كما حرثا

وفى قوله (فوافت الحرث ..) غموض لا يتلاءم مع مراد الشاعر ، ولعل الصواب (فغادر الحرث ..) .

٢١٢ ومن رثاء محارب بن دثار لعمر بن عبد العزيز :

لو كنت أملك ... (صَرَفتُ عن عمرَ الخيراتِ مصرعه)

وقد أبقى (عمر) ممنوعاً من الصرف فجره بالفتحة ، والصواب جره بالكسر ، لأن

الشاعر أضافه ، فجعل علميته فى كلا المتضايفين ، وصار حكمه فى الإعراب كحكم المركب الإضافى .

٢٢٠ وفى أبيات للجعد بن درهم :

نبكى على المنتوف فى نصر قومه
وليتنا نبكى الشائدين أباهما

أرادا فناء الحى بكرُ بن وائل
فعزٌّ تميمٌ لو أصيب فِناهما

وفى ط الأصمعى (ولسنا نبكّى) وفى الثانى (فعزُ تميمٍ) مبتدأ ومضاف إليه ، ويخيل إلىّ أن الأقرب لواقع الحال : (فعزٍّ تميماً لو أصيب فِناهما) ..

٢٥١ ومن حكم كثير عزة :

وجربت الأمور وجربتنى ... وقد أبدت عريكتى الأمور
وما تخفى الرجال علىَّ أنى ... بهم لاخو مشاقفة خبير
ويعجبك الطرير فتختبره ... وفى أثوابه أسد زئير
بغاثُ الطيرَ أطولها جسوماً ... — — — —
وقد عظم البعير بغير لب ... فلم يستغنَ بالعِظم البعير

والصواب فى الأول (أجَدَت) بدل (أبدت) وأجَدَه قواه ، وفى الثانى فتح همزة أنى والصواب كسرها بدليل دخول أل على خبرها (لأخو) وفى الثالث أفسد نظم البيت بقوله (تختبره) والصحيح المشهور (تبتليه) وفتح (بغاث) و (الطير) فى الرابع وهما بالرفع فالجر ، وفى الخامس رسم الفتحة على نون يستغن وهى مكسورة .

٢٥٣ ومن قصيدة له أخرى فى مدح عمر بن العزيز :

فما بين شرق الأرض والغرب كلها
منادٍ ينادى من فصيح وأعجم

يقول أميرُ المؤمنين ظلمتنى
— — — —

ولا بســـــط كفٌّ لامـــــــرىء غير مجرم
ولا السـفك مـنـه ظـالما مـلءُ محجـم

وفى الأول رفع (أمير ..) وهو منصوبٌ على نداء المضاف
(ملء) وهو منصوب مفعول المصدر (السفك)

ومن أبيات له اخرى فى عبد الله بن الزبير وآله :

هو المرء لاتـرزى بـه أمهـاتـه وآبـاؤه فـينـا الـكرام الأطايب

وأقرب الى المضمون (لا تُزرى) من الإزراء .

٢٥٤ ولكثير أيضاً :

وكيف يريد الصوم من هو وامق لـعـزة لا قـالٌ ولا مـتـبـذلُ

والصواب (قالٍ) منقوصاً .

٢٦٢ ومن أبيات للعباس بن مرداس فى مدح رسول الله ﷺ :

(فمن مبلغٍ عنى النبى محمداً ..) بكسر مبلغ والصواب ضمها خبر المبتدأ (من)

٢٦٣ ومن أبيات للأخطل :

(ولست بزاجر عيسا بكورٍ ...) وفى كتاب (الأخطل الكبير) ص ٢٥٥
(بكورا) نعت (عيسا)

ويتلو ذلك قول جميل :

الا لـــيـتـنـــا نحيـــا جـــمـــيـعـــا وان نمت
يـوافـق فى الموتى خـــــريجى خـــــريجهــــا

فما أنــــــا فى طول الحيـــــاة بـــــراغب
إذا قـيـل قـد سوّى عـلـيهـــا صـفـيـحـهـا

والخطأ فى الأول (خريجى خريجها) وصوابه (ضريحى ضريحها) والروى فى الثانى
هو الحاء لا الجيم ، وفى الديوان (يجاور فى ..) ويظل الخطأ فى رفع المضارع الذى
حكمه الجزم جواب (أن) ، إلا أن يحرك قاف (يوافق) بالكسر تجوزاً .

ولجرير كذلك :

طرقتكِ صائدةَ القلوب وليس ذا
حين الزيارة فارجعى بسلام

بكسر كاف (طرقتك) وهى مفتوحة ـ يخاطب نفسه ـ وفتح (صائدة) وهى فاعل مرفوع .

٢٦٤ ولأعرابى :

نعيم الحب أورق فيه حتى تناولنا جَناه من قريب
فخشينا أن نقطعه بلفظ فترجمت العيون عن القلوب

وقد شوش الأول بإخراج (حتى) من الصدر إلى العجز ، وزيادة الفاء فى أول الثانى .

٣٢٠ ومن شعر ذى الرمة عند احتضاره :

يا قابض الأرواح فى جسمى إذا احتضرت
وغافر الذنب زحزحنى عن النار

وبديهى أن الخلل فى (الأرواح) وصوابه (الروح) .

٣٢٣ ولبعضهم فى أسد بن عبد الله القسرى :

لم تلق خيراً إمرة ونقضا من الأمير أسدٌ وأمضى

والصحيح كسر أسد عطف بيان على الأمير .

٣٢٥ ولابن عرس العبدى يرثى أسداً :

أتاه حمامه فى جوف ضيع وكم بالضيع من بطل شجاع

وقد كرر البيت مع تغيير كلمة (ضيع) فكتبها (صيع) فى الثانى .. ولعلها (الصغد) أو (السغد) وهو إقليم فى أواسط آسيا ، ويطلق على إحدى الأمم .

٣٢٩ ولبعضهم يرثى مسلمة بن عبد الملك :

ونكتم موتك نخشى اليقين فأبدى اليقينَ لنا الجمجمهْ

وفى العجز غموض ، ولعل الأصل (فتبدى ...) على أن الجمجمة فاعل .

وقد ضبط فى ط الأصمعى (الجُمجُمهْ) بضم الجيمين ولا معنى لها بل هى الجَمجَمهْ بفتحها كالهمهمة والتمتمة ترديد الكلام فى خفاء .

وقفنا من الكتاب عند نهاية الجزء التاسع بسبب تباطؤ مجلة (الدعوة) فى نشر هذه الحلقات ، ولعل الله أن يكتب لنا التوفيق لاتمامها وإلحاقها بهذا الكتاب فى طبعته الثانية إن شاء الله ،،

المجذوب



من آثار المؤلف المطبوعة

فضائح المبشرين

المرشد فى الأدب العربى (مع آخرين)

نار ونور . شعر الديوان الأول

قصص من الصميم

صور من حياتنا

الأدب العربى للسنة الأولى من الجامعة الإسلامية (بالاشتراك)

الأدب العربى للسنة الثانية من الجامعة الإسلامية

دروس من الوحى

مشكلات الجيل فى ضوء الإسلام

تأملات فى المرأة والمجتمع

مشاهد من حياة الصِّديق

همسات قلب ـ شعر الديوان الثانى ـ

قصص من سورية

قصص لا تنسى ـ للشباب والطلاب ـ

بطل إلى النار

الآيات الثلاث

بطل من الصعيد

دماء وأشلاء

من تاريخنا

الألغام المتفجرة

اللقاء السعيد

تحفة اللبيب من ثقافة الأديب

مع المجاهدين والمهاجرين فى باكستان

مشاهداتى فى ربوع الهند
ذكريات لا تنسى / من الفلبين وأندونيسية وتركية وقبرص /
أضواء على حقائق
نظرات تحليلية فى القصة القرآنية
كلمات من القلب
كلمات مضيئة
أفكار إسلامية
علماء ومفكرون عرفتهم ج ١ و ٢
فى ظلال الإيمان
من وحى الأحداث
علماء ومفكرون عرفتهم ج ٣
ردود ومناقشات
أدب ونقد
خواطر ومشاعر

يصدر قريباً إن شاء الله

آلام وأحلام / شعر الديوان الثالث /
من القصص التمثيلى
فصول من الحياة / مذكرات /

* * *

مطبوعات نادي المدينة المنورة

عدد	اسم الكتاب	اسم المؤلف
١ ـ	ذكريات طفل وديع	عبد العزيز الربيع
٢ ـ	الشعر الحديث في الحجاز	عبد الرحيم ابو بكر
٣ ـ	شعراء من أرض عبقر ج ١	د. محمد العيد الخطراوي
٤ ـ	شعراء من أرض عبقر ج ٢	د. محمد العيد الخطراوي
٥ ـ	في ظلال السماء	محمد هاشم رشيد
٦ ـ	على دروب الشمس	محمد هاشم رشيد
٧ ـ	على ضفاف العقيق	محمد هاشم رشيد
٨ ـ	همسات في أذن الليل	د. محمد العيد الخطراوي
٩ ـ	غناء الجرح	د. محمد العيد الخطراوي
١٠ ـ	ترانيم العودة	ناجي محمد حسن وفوزان الحجيلي
١١ ـ	الفيصليات	عبد الحميد ربيع
١٢ ـ	رعاية الشباب في الإسلام	عبد العزيز الربيع
١٣ ـ	جرح الأباء	أحمد فرح عقيلان
١٤ ـ	أضواء على حقائق	محمد المجذوب
١٥ ـ	بيت وشاعر	خالد اليوسف
١٦ ـ	الحفل المسرحي	اعلامي عن النادي
١٧ ـ	جداول وينابيع	عبد الرحمن رفه
١٨ ـ	الجناحان الخالدان	محمد هاشم رشيد
١٩ ـ	على طلال ارم	محمد هشام رشيد
٢٠ ـ	ثلاثة أعوام مع مسابقة حفظ القرآن الكريم المدينة المنورة	دخيل الله الحيدري ومحمد وهبه الجبالي
٢١ ـ	رسالة إلى ليلى	أحمد فرح عقيلان
٢٢ ـ	في رحاب الجهاد المقدس	إبراهيم العياشي
٢٣ ـ	الشيخ محمد بن عبد الوهاب	مسلم الجهني
٢٤ ـ	في موكب الضياء	أبوزيد إبراهيم سيد
٢٥ ـ	الفنون التعبيرية	عبد العزيز الربيع
٢٦ ـ	أباريق النور	محمد عادل سليمان
٢٧ ـ	في غيابة الجب	علي الفقي
٢٨ ـ	المدينة المنورة في التاريخ	عبد السلام هاشم حافظ
٢٩ ـ	ذكريات طفل وديع ط ٢	عبد العزيز الربيع
٣٠ ـ	رعاية الشباب في الإسلام ط ٢	عبد العزيز الربيع

٣١ —	حروف في الرماد	محمد صالح البليهشي
٣٢ —	هموم عربية	للأستاذ أبو عبد الرحمن الظاهري
٣٣ —	المدينة اليوم	للأستاذ محمد صالح البليهشي
٣٤ —	لمحات عن حياة الربيع	للأستاذ محمد صالح البليهشي
٣٥ —	على ضفاف الذكريات	للشاعر مجدي خاشقجي
٣٦ —	مبضع الجراح	للأستاذ إبراهيم العياشي
٣٧ —	صور وذكريات عن المدينة المنورة	للأستاذ عثمان حافظ
٣٨ —	قصص لاتنسى	للشيخ محمد المجذوب
٣٩ —	تحفة اللبيب	للشيخ محمد المجذوب
٤٠ —	مع المجاهدين في باكستان	للشيخ محمد المجذوب
٤١ —	المجموعة الشعرية الكاملة	للشاعر عبد السلام هاشم حافظ
٤٢ —	مسيرة ٨ أعوام لنادي المدينة الأدبي	محمد صالح البليهشى
٤٣ —	طيبة وفنها الرفيع	المهندس حاتم عمر طه
٤٤ —	أدب ونقد	الشيخ محمد المجذوب
٤٥ —	أيسر التفاسير جـ ١	الشيخ أبو بكر الجزائرى
٤٦ —	أيسر التفاسير جـ ٢	الشيخ أبو بكر الجزائرى
٤٧ —	أيسر التفاسير جـ ٣	الشيخ أبو بكر الجزائرى
٤٨ —	أيسر التفاسير جـ ٤	الشيخ أبو بكر الجزائرى
٤٩ —	ردود ومناقشات	الشيخ محمد المجذوب

★ ★ ★

فهرس الكتاب



البحث	الصفحة
١ ـ المقدمة	٣
٢ ـ نظرات فى (قصة الإيمان ..)	٥
٣ ـ ملاحظات إسلامية على كتاب (أبى ذر والشيوعية)	١٧
٤ ـ أتفسير أم تغرير !	٢٢
٥ ـ جولة ثانية مع الدكتور البهى	٣٣
٦ ـ تأملات فى كتاب (الله والدمار)	٤٢
٧ ـ تعقيب على تعقيب	٥١
٨ ـ حول إبراهيم عليه السلام والبيت العتيق	٥٥
٩ ـ حول (قصة من يوغوسلافية)	٦٢
١٠ ـ من عثرات الأقلام والأوهام	٦٩
١١ ـ إلى الذين يبثون الألغام فى طريق الإسلام	٧٧
١٢ ـ القات فى ضوء العلم والدين	٨٥
١٣ ـ صفات ربنا حقيقة	٩١
١٤ ـ يا أنصار الغناء	٩٧
١٥ ـ الصحابة لا يستسلمون	١٠٤
١٦ ـ إبراء للذمة	١٠٧
١٧ ـ موقف المؤمن عند ذكره ﷺ	١١١
١٨ ـ من هو الشهيد	١١٥
١٩ ـ أجل .. إنه الموت من أجل لا شىء	١٢٠
٢٠ ـ ملاحظات يوجبها العقل والدين	١٢٣
٢١ ـ أغاليط وتحريفات فى كتاب (البداية والنهاية)	١٣٣
٢٢ ـ دليل الكتاب	١٩٠